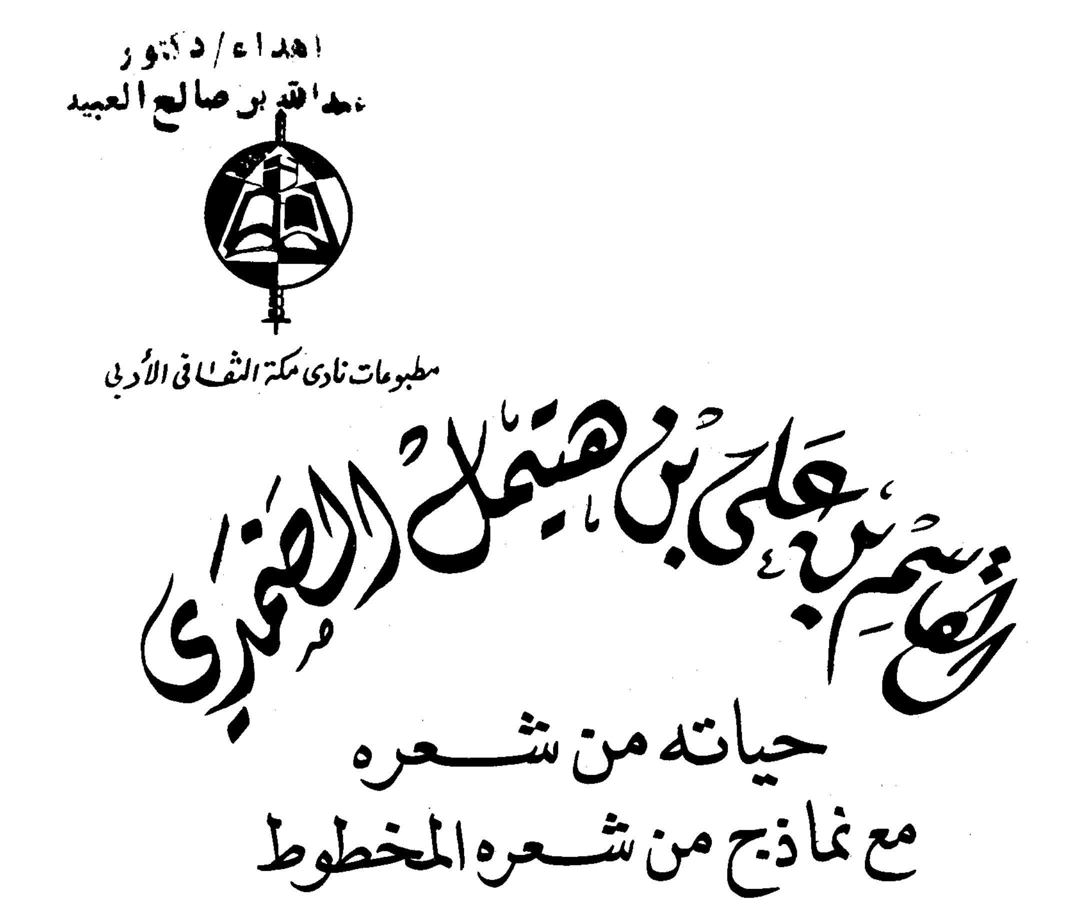


القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي

حياته من شعره
مع نماذج من شعره المخطوط

قراءة وتعليق
حجاب بن يحيى بن موسى الحازمي

الطبعة الأولى
١٤١٤هـ / ١٩٩٤م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

الحازمي ، حجاب بن يحيى بن موسى
القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي.
... ص ؛ .. سم
ردمك ٦-٧-٠-٦١٧-٩٩٦٠
١- الشعر العربي - دواوين وقصائد أ - العنوان

ديوي ٨١١.٧٤ ١٥/٠١٦٦

رقم الإيداع : ١٥/٠١٦٦
ردمك : ٦-٧-٠-٦١٧-٩٩٦٠


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الباحثين عن التراث العربي الحي .. إلى محبي الكلمة الشاعرة .. إلى هؤلاء وأولئك أقدم هذه القراءة المتواضعة عن شاعر فحل من شعراء الأمة العربية والإسلامية في القرن السابع الهجري .

تناقلت شعره الأجيال .. ودوَّىٰ صيته في الآفاق ..

تقـــديم

أحمد الله الـذي لا إلٰـه إلا هو وأصلي وأسلـم على سيدنـــا محمــــد وعلى آلـه وصحابتـه الغـر الميـامين وعلى التابـعين لهم بإحسان إلى يوم الديـن .. أمـــا بعـــد :

فما كان يدور بخلـدي أن يحظـى الجزء الـذي نشرتـه من البـحث الخاص بالشاعـر ابـن هتيمـل بكـل ذلك الاهتمام، ولم يكـن في حسبـاني أن أجــــد من القراء الأفاضل ذلك التشجيع .

فلقـد صدر ضمــــن منشورات نادي جازان الأدبي كتــــاب (محاضرات نادي جازان الأدبي لعـام ١٣٩٨هـ) وكان الكتــاب يضم محاضرات لبــعض كبـار الأدبـاء والمفكريـن بالمملكـة، أمثـال الشاعـر الناقـد الكبير محمــــد حسن عواد، والعلامـة الأديب اللغـوي المؤرخ عبـد القـدوس الأنصاري، والدكتــــور مدني عبـد القـادر علاقي، والشاعــــر الأديب حسن بن علي القـــاضي .. حينها أشفـق علـيَّ خاصة الأصدقــــاء من حشر بحثـــي المتــــواضع إلى جانب هؤلاء الفطاحل ، وظنـنت لكثرة ما أحاطـوني به من شفقـة أن نصيب بحثي سيكـون الإهمال .

ولكـن البـاحث عن التـراث ربما وجـد بعض بغيتـــه في ذلك البـــــحث الصغير المتـواضع، أو هكـذا خُيِّـل إلـيَّ بعـد استقـراء الرسائـل التـي تلقـيتها من بعض القـراء ممن أعـرف ومـن لا أعـرف ولعـــل أجلّهــــا تأثيراً في نفسي تلك الرسائل التي تطالبنـي بالتـوسع في دراسة شعـر هذا الشاعـر الفـذ والبـحث عن ديوانـه ومحاولـة إعـادة نشره كامـلاً ؛ فمـن حق القـراء أن يطّلعـوا على شعـــره كاملاً غير منقوص ولا مبتور، وهـذه أمنيـة أرجـو من الـعلي القديـر أن يوفقنـي

لتحقيقها في مقبل الأيام .. ومن بين تلك الرسائل رسالة تلقيتها من رئيس نادي جازان الأدبي الأسبق الأستاذ محمد أحمد العقيلي يهنئني على ما ورد من ثناء مستطاب على محاضرتي من مدير إدارة الأندية الأدبية برعاية الشباب .

هذا إلى جانب التشجيع الشخصي من الأصدقاء المقربين والإلحاح منهم على توسيع الدراسة وتوضيح صورة هذا الشاعر وشعره، ومحاولة نشر بعض شعره الذي حُرِمَ منه محبو الشعر ومتذوقو الأدب ؛ ولعل مصدر هذا الاهتمام وذلك التشجيع الذي حظي به هذا البحث المتواضع يرجع إلى كونه يرصد حياة شاعر عظيم من شعراء الأمة العربية في القرن السابع الهجري الذين قَدّمَتْهم بلدةُ ضمد بالمخلاف السليماني في منطقة جازان ضمن جهابذة الفكر والأدب خلال تاريخها الطويل !!

وأمام هذا الإلحاح المتواصل عدْتُ إلى مسودات البحث بشيء من الأناة والتروّي فَهذّبْتُ ما يحتاج إلى تهذيب ، وأضفت بعض إضافات وجدتها ضرورية ــ كما خُيِّل إلي ــ ولعلها من أسس البحث، كما وجدت أن أجمل شعر الشاعر لم ينشره العقيلي ضمن ما اختاره من شعره في طبعته الأولى والثانية ومما لم يتسنَّ لي تدوينه ضمن البحث المنشور في كتاب (محاضرات نادي جازان الأدبي لعام ١٣٩٨ هـ) . فحرصت ــ وقد أعدت النظر في هذه الدراسة ــ أن أتحف القاريء المتابع بقصائد أخرى من شعر ابن هتيمل الذي استبعد العقيلي بعضه إما خوفاً من إثارة نعرات قبلية متوهمة ، وإما تحاشياً للمبالغة التي لا يسلم منها شاعر قديم أو حديث ، ومع ذلك ظلت كتب الأدب حفية بمبالغاتهم على مر الأجيال .

وحين أعدتُ النظر وجدتُ فصولا في مسودة البحث لم أكتبها في مبيضة البحث المنشور بهدف الاختصار وعدم الإطالة مع الإشارة إليها في

ثنايا البحث فاخترت منها فصولا جديدة مثل :

(الشيب في شعر ابن هتيمل، الطبيعة في شعر ابن هتيمل، نجد في شعر ابن هتيمل .... الخ) كما توسعت في بعض الفصول .. وأصبحت الدراسة في ثوبها الجديد تشتمل على مدخل وأربعة أبواب وخاتمة ، خُصِّصَ الباب الأول للحديث عن الشاعر : ولادته، ووفاته، وعصره، وصلاته بأمراء عصره وشعرائه وإثبات انتمائه للمخلاف السليماني، وثقافته ، وقبيلته ..

وتحدث البحث في الباب الثاني عن شعره ، فأشار إلى أماكن نسخ الديوان المخطوطة، ووصف النسختين اللتين اعتمدهما أثناء اختيار نماذج هذا البحث ، مشيرا إلى عدد القصائد في كل منهما وعدد الأبيات كما تحدث عن الجزء المطبوع الذي اختاره الأستاذ العقيلي من شعر ابن هتيمل واصفاً طريقة تحقيقه وعدد القصائد التي اختارها ، وعدد الأبيات ، وعرَّج على شعر ابن هتيمل فتحدث عن منهجه الشعري وبعض خصائص وأغراض شعره مفيداً في معظم النماذج من شعر ابن هتيمل المخطوط حرصاً على إمتاع القارىء .. كما تناول البحث بعض الجوانب التي زخر بها شعره كالألفاظ والصور الشعبية ، وأثر البيئة ، ونَجْد، والشيب، والشكوى والتشاؤم، والحكم والأمثال في شعر ابن هتيمل . وخُصِّص الباب الثالث للحديث عن مكانة الشاعر بين شعراء عصره ــ وبخاصة في الجزيرة العربية ــ أمثال ابن المقرب وابن منير، وابن سحبان الضمدي .

وفي الباب الرابع كانت الاستراحة إلى نماذج من شعره تمثل أغراضه الشعرية التي نظم فيها ، وقد وقع الاختيار على نماذج من شعره المخطوط الذي لم ينشر بعد، لإمتاع القارىء بشيء جديد من شعره بذل الباحث في الشرح والتعليق على هذا الشعر المختار ما استطاعه من جهد وتعب معترفا بقصور هذه الدراسة عن تحقيق ما كان يطمح إليه ، طامعاً في فسحة من

العمـــر ليتمكـــن من تحقيـــق الديـــوان كامـــلاً بإذن الله تعـــالى .

وبعـــد :

فإنني أضع هذه الـدراسة بين يدي القـاريء بثـوبها الجديـد آمـلاً أن يجد فيها المتعـة والفائـدة طامعـاً في كرمـه بأن يسدد كل خلـــل يراه ، والله يتـــولى توفيقنا جميعاً فهو حسبنا ونعم الوكيل .

حجاب بن يحيى بن موسى الحازمي

ضمـد في : ١٤١٠/١٢/٣هـ

مقدمة الدراسة الأولى

التي نشرت ضمن كتاب (محاضرات نادي جازان الأدبي لعام ١٣٩٨هـ)(١)

في تاريخ الفكر العربي لحظات إشراق وتوهج يصحو فيها فكر الأمة فيقدم للإنسانية عطاء ثرياً يصور تلك اليقظة وذلك التوهج، وبين طيات التاريخ العربي أمثلة رائعة لذلك الاشراق والتوهج الذي أنار الفكر الإنساني حقبة من الزمن ولازال تراثه يشير إلى أن تلك الفترة كانت دفقاً من النور أضاء الطريق الذي يربط بين الماضي والحاضر .

ولقد وعينا في دراستنا الأدبية أن عصور الانحطاط الأدبية تبدأ منذ أن طغت الصناعة اللفظية بتأثير مدرسة البديع التي أصلها القاضي الفاضل في القرن السادس للهجرة ، فاعتنى الشعراء والكتاب ببهارج الزينة اللفظية، وأهملوا الجوانب الهامة التي تكسب الأدب بصورة عامة خلوده وتفوقه، ووعينا كذلك أن تلك العصور امتدت إلى أن ظهرت بواكير النهضة الأدبية الحديثة على أيدي البناة من رواد النهضة الأدبية المعاصرة أمثال البارودي وشوقي وخليل مطران والرصافي في الشعر ، والمنفلوطي والرافعي، ورفاعة الطهطاوي، وطه حسين، والعقاد، والمازني، في النثر . غير أن هناك استثناءات لفترات توهج وإشراق في أقاليم متفرقة من عالمنا العربي تخللت تلك الاغفاءة فأشاعت فيها الحياة ، ومن بين تلك الأقاليم : الإقليم الواقع في الجزء الجنوبي الغربي بالجزيرة العربية المعروف قديما بالمخلاف السليماني نسبة إلى سليمان بن طرف (٢) الحكمي وحالياً باسم منطقة جازان ، فلقد تألقت

---

(١) انظر كتاب: محاضرات نادي جازان الأدبي لعام ١٣٩٨هـ ص٩ وما بعدها .

(٢) انظر الورقة «٥» من مخطوطة الديباج الخسرواني للحسن بن أحمد عاكش .

فيه لآلِيء الفكر فأضاءت ثنيات التاريخ إبّان حلكته الشديدة فأشرقت في هذا الأقليم شموس حضارات وأنوار فكـر أضاءت بعض منعطفات تاريخ أمتنا العربية أثناء إغفاءته التي كان يعاني منها في الأقاليم الأخرى ، ولعل بداية إشراق تلك الشموس تأتي مع إطلالة القرن السابع الهجري الذي يعد بحق العصر الزاهي للغة والأدب في المخلاف السليماني بخاصة وفي المنطقة العربية الممتدة من مكة المكرمة إلى مضيق باب المندب وما جاوره بعامة ، وتعاقبت العصور الأدبية ــ إن جاز هذا التعبير ــ بُعيد القرن السابع فلم تخل حقبة من ميلاد شاعر يرقق المشاعر ويغني للحياة أو مفكر يهذب الوجدان ويسمو بالعواطف .

وفي مستهل القرن السابع وهي الفترة التي اصطلح على تسميتها «بداية عصور الانحطاط» قدمت ضَمَدْ شاعرين عظيمين من شعراء الأمة العربية حملا رسالة الأدب وقدَّما للغتهما ثروة أدبية وفكرية كان لها من الدويّ والإعجاب ما جعل أصحاب المصنفات في عصرهما والعصور التي تلته يفردون عنهما الدراسات المتتابعة ، فكانا بحق من خيرة شعراء القرن السابع للهجرة لا في ضَمَدْ والمِخْلَافِ السُّلَيْمَانِيِّ وحدهما بل وفي سائر أنحاء الوطن العربي ، ولئن كنت قد حصرت النبوغ في شاعرين فقط من شعراء القرن السابع في ضَمَدْ هما : القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي وأبو عامر منصور ابن سحبان الضمدي بسبب شهرتهما وتحدث المصنفات عنهما فمن يدري لعل الأيام تكشف لنا عن شعراء آخرين عاصروا الشاعرين أو أتوا بعدهما فأسهموا في إثراء المكتبة العربية في تلك الحقبة من تاريخ أمتنا . ولقد استمرت ضمد بفضل من الله حتى وقتنا هذا مركز إشعاع في منطقة المخلاف السليماني، تنجب للفكر رجالاً أفذاذاً، وتغذي اللغة والأدب بأبلغ القول من سامي الشعر وعالي البيان ؛ ففي القرنين الثاني عشر والثالث

عشر [1] مثلا كانت مدينة ضَمَدْ محجَّةً للعلم ومنهلاً لرواده ، وكان بها من العلماء الأجلاء والأدباء والشعراء خلال هذين القرنين ما جعل الحسن بن أحمد عاكش يؤكد في مؤلّفه الموسوم بالديباج الخسرواني ما قاله أحمد بن أبي الرجال عن الحركة العلمية والأدبية في ضمد خلال القرن العاشر وما قبله في كتابه (مطلع البدور) من: أنه مما اشتهر على الألسن أن ضمد لا تخلو من عالم محقق أو أديب بليغ ــ فقال عاكش بعد سرد هذه العبارة : « والمشاهد اليوم ــ أي في القرن الثالث عشر ــ أن قضاة المخلاف والمعلمين جلهم من أهالي ضمد »[2] ولست في مقام الحديث عن الحركة العلمية والأدبية في ضمد ولكن لأنها بلدة شاعرنا القاسم بن علي بن هتيمل المعني بهذه الدراسة أحببت أن أشير بإيجاز شديد إلى هذه الناحية ، وأحيل راغبي الاستزادة إلى (نيل الوطر) و (نيل الحسنيين) لمحمد محمد زباره وهما مخطوطان وإلى (مطلع البدور ومجمع البحور) لأحمد بن أبي الرجال ، مخطوط، وإلى (الديباج الخسرواني في ذكر أعيان المخلاف السليماني) و (عقود الدرر في تراجم رجال القرن الثالث عشر) و (حدائق الزهر في ذكر الأشياخ أعيان الدّهر) للعلامة الحسن بن أحمد عاكش مخطوطات، وإلى (العقيق اليماني في وفيات المخلاف السليماني) للعلامة عبد الله بن علي النعمان الضمدي وهو مخطوط، وإلى (البدر الطالع في تراجم من بعد القرن السابع) للعلامة محمد ابن علي الشوكاني ، مطبوع، وإلى (الجواهر اللطاف في أنساب أشراف

---

(١) لم تعرف حركة العلم والأدب في ضمد ركوداً خلال القرن الثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر فقد برز خلال تلك القرون فطاحل العلماء وفحول الشعراء أمثال العلامة المعروف محمد بن علي بن عمر الضمدي وابن قنبر وأحمد بن عبد الله الضمدي والحسن بن أحمد عاكش .. وغيرهم ..

(٢) الديباج الخسرواني لعاكش مخطوط . ورقة ٨٢ .

صبياء والمخلاف) مخطوط لمحمد حيدر القبي .. ففي هذه الكتب وغيرها من كتب تاريخ المنطقة وما جاورها ذكر وإشادة بمكانة مدينة ضمد العلمية والأدبية تدلنا على أن نبوغ ابن هتيمل وأمثاله أمر تقتضيه الأحوال .

مدخـــل

استمرت صحبتي بابن هتيمل الضمدي شاعر القرن السابع في المخلاف السليماني بخاصة، والجزيرة العربية بعامة ... استمرت علاقتي بهذا الشاعر منذ ما يقارب ثلث قرن من الزمان ولازالت الأيام تزيد صحبتي بالشاعر ابن هتيمل قوة ، وتكسبها متانة ، وتمنحها مزيداً من الصفاء والنقاء ...

فمنذ صدور جزء من شعره بعنوان «ديوان القاسم بن علي بن هتيمل» من اختيار [1] الأستاذ محمد أحمد العقيلي عام ١٣٨١هـ ، وحرصي على التنقيب عن شعر ابن هتيمل لا يتوقف واهتمامي بتسقط أخباره يسبق جل اهتماماتي الأدبية البسيطة، ورغبتي في معرفة المزيد عنه تتجدّد، وشغفي بالحصول على مزيد من شعره المهمل لا يقف عند حد، ولعل هذا الحرص وذلك الاهتمام بشعر ابن هتيمل يرجعان إلى عدد من العوامل، أعرف بعضها فأندفع إليه، ويعرفني بعضها فيمعن في التخفي . ولابد أن أبادر إلى القول : فأقرر بأن ضمدية الشاعر وكونه ينتسب إلى مسقط رأسي ليست إحدى هذه العوامل ؛ لأن مكانة شاعر كابن هتيمل تتجاوز حدود الإقليمية الضيقة وتجعله يحوز على اهتمام جل متذوقي الشعر، وعشاق الأدب، ولربما كانت إشارتي إلى بعض هذه العوامل تساعد المتأمل في جهدي المتواضع على رسم صورة ولو مصغرة عن هذا الشاعر العملاق ، الذي لم ينل شعره ما يستحق من الدراسة والاهتمام، وأرجو مخلصاً أن يحقق هذا الجهد المتواضع شيئاً من هذا .

---

(١) انظر الأعلام للزركلي ج٥ ص ١٧٨

قد يكون من أهم العوامل : اعتراف الأستاذ العقيلي في مقدمته التي صدَّر بها مشكوراً ما نشره من شعر ابن هتيمل .. وأنه ــ أي العقيلي ــ قد اختار [1] بعض شعر الشاعر وحذف كل ما يمت إلى عصبية .. إلخ .

لعل هذا الاعتراف قد كان من أهم العوامل التي دفعتني للتعلق بابن هتيمل وشعره، مما ضاعف اهتمامي بالبحث عن شعر الشاعر المخطوط ودراسته قدر المستطاع، فكان لي شرف أول لقاء مع هذا الشاعر في عام ١٣٩٧هـ من خلال دراسة أدبية كتبتها عن ابن هتيمل وشعره حاولت فيها التعرف على عصر الشاعر، وأسرته، وبيئته، وثقافته، وأبرز خصائص شعره ، وأهم أغراضه الشعرية .. الخ . ولحسن حظي فقد ألقيتُ تلك الدراسة على هيئة محاضرة أدبية حضرها بعض المهتمين بالفكر والأدب وكان من بينهم الأستاذ العقيلي ــ ناشر بعض شعر الشاعر ــ باعتباره رئيس نادي جازان الأدبي الذي تُلْقىٰ فيه المحاضرة آنذاك، فتكرَّم وحاورني وحاورته في بعض القضايا التي أثارتها الدراسة ،وفي نهاية المحاضرة قررَّ النادي برئاسة الأستاذ العقيلي نفسه طبع تلك المحاضرة مما شجعني على المضيِّ في التنقيب عن شعر ابن هتيمل المخطوط، وبرغم ما بذلت من جهود متواضعة فلم أظفر آنذاك إلا بقصيدة واحدة في كتاب مطلع البدور لابن أبي الرجال هي النونية [2] التي رثى بها الإمام أحمد بن الحسين صاحب ذيبين .. وإلاَّ ستة أبيات وجدتها ضمن مختارات أدبية للعلامة الحسن بن أحمد عاكش، وقد

---

(١) يقرر هذه الحقيقة في ص ٣١ من الدراسة التي صدَّر بها نشر ما اختار من الديوان ، وأخيراً أعَادَ طباعة الجزء الذي اختاره تحت مسمى (مختارات من ديوان ابن هتيمل) وذلك في عام ١٤١٠هـ .

(٢) هذه القصيدة ينفرد بها «مطلع البدور ومجمع البحور» فلا وجود لها فى مخطوطتيّ معهد المخطوطات العربية بالقاهرة او مخطوطة جامعة الملك عبد العزيز بجدة المصورتين لدى الباحث

اعتبرت حصولي على تلك القصيدة والأبيات الستة التي تبين لي فيما بعد أنها جزء من قصيدة نشرت ضمن المختارات اعتبرت ذلك فتحاً عظيماً ضاعف من إصراري على المضيّ في توسيع تلك الدراسة قدر المستطاع . وحصل بعدها أن عثرت على مختارات من قصيدة تعد من عيون شعر ابن هتيمل، نشرها شاعر اليمن وأديبه أحمد محمد الشامي في كتابه الواسع الانتشار : (قصة الأدب في اليمن) ومطلعها :

قل يانسيم لأهل الضال والسمر ما صدَّ سامركم عن ذلك السمر

ولكن ذلك التقطع في نفس الشاعر الناتج عن عملية الاختيار جعلني أستمر في الإلحاح على البحث، ثم قدر لي أن حصلت على نسخة من كتاب : (العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية) [1] للجزرجي الذي أورد فيه عدداً من قصائد الشاعر ابن هيتمل بعضها منشور ضمن مختارات العقيلي، ولكنها توضح مقدار ما أصاب تلك القصائد من جراء الحذف والبتر والتشويه باسم الاختيار مما يفقد القصيدة ترابطها .. والنفس الشعري تواصله .. والصور الخيالية تدفقها ،،

ثم أفضل علي الدكتور أحمد حافظ الحكمي [2]فأهداني عشر قصائد مصورة عن مخطوطة معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة وكانت تلك القصيدة التي اختار بعضها الشامي إحدى تلك الروائع ، وحين قرأتها كاملة زادت حيرتي واستغرابي من عدم نشر العقيلي لها ولمثيلاتها برغم ما فيها من طلاوة وعذوبة وظللت أبحث طويلاً في سبب

(١) الجزء الثاني تكرم به الأستاذ الباحث حسن إبراهيم الفقيه أحد علماء القنفذة وعميد الكلية المتوسطة .

(٢) من أنجال العلامة الشيخ / حافظ أحمد الحكمي صاحب المؤلفات الشهيرة رحمه الله ويعمل عميداً للكلية العربية التابعة لجامعة الإمام بالرياض صدرت له بعض الدراسات والبحوث ولديه بعض الأعمال المخطوطة .

حرمانها من النشر، فليس بها ما (يمت إلى عصبية) [1] كما يبرر العقيلي للحذف والبتر . ولم أجد بها ما يحول دون نشره لها سوى أن بها حشداً كبيراً من الألفاظ التي تضطر صاحب الاختيارات إلى الرجوع لبعض معاجم اللغة مما قد لا يتسع له وقته !! .. وليس ذلك بسبب غرابتها الشديدة .. ولكن لقرب ابن هتيمل من منابع اللغة وتمكنه منها .. وبُعْدنا نحن عن الاغتراف من معين اللغة الثر .. والركون إلى الراحة الذهنية بارتياد الأساليب البسيطة . والألفاظ المستهلكة !! إن لم يكن ذلك هو السبب فما هو الدافع لحرمان القاريء من هذه الرائعة التي يقول في مطلعها :

قل يانسيم لأهل الضال والسمر ... ما صدَّ سامركم عن ذلك السمر
واشرح حديث الغضا والنازلين به ... وإن بخلت بشرح الكل فاختصر

وقد يكون هو السبب عينه في عدم نشره لما سأُقدمه من قصائد تفوق كثيراً في روعتها ما اختاره من شعر الشاعر في موضوعها لولا اشتمالها على ثروة لغوية تعوز الدارس إلى كتب اللغة . وإذا كنت قد استشعرت الاعتزاز وأنا أقدم فيما مضى ـ قصيدة [2] واحدة وستة أبيات دليلاً على وجود شعر كثير لابن هتيمل لم ينشر فإنه ليسعدني اليوم أن أقدم بين يدي القاريء قصائد أخرى لم تنشر حرمنا الأستاذ العقيلي من الاستمتاع بما فيها من صور وأخيلة جميلة ومعان مبتكرة باتراً إياها من جسد الديوان المثلم !! وأعد القاريء بالاستمرار في التنقيب عن شعر ابن هتيمل المتبقي ما وسعني الجهد . وأشهد أن هذه القصائد ـ كما سيراها المتذوق ـ تمثل ثقافة الشاعر اللغوية والتاريخية وتؤكد تمكنه من فنه وأصالته فيه . فحتى الشعر الذي قاله في صباه يؤكد فحولته وقوته . استمع إليه يخاطب محبوبه في بعض تلك البدايات :

---

(١) مقدمة المختارات .

(٢) انظر كتاب (محاضرات نادي جازان الأدبي لعام ١٣٩٨هـ ص ٧٢) .

ما كان ضَرَّكَ والأوقــاتُ مُسعفــةٌ أن تجعل السَّمَرَ المُستَعْذَبَ الطفَلَا[1]

أو كقوله في صباه أيضاً يخاطب المحبوبة :

بخلتِ بماعون الكلام على امــرىءٍ وحَلَّلْتِ قتل الصيد وهو حرامُ[2]
ومازلتِ حتى شابَ وهو مُمــوَّهٌ شبابــاً، وحتَّـىٰ شاخَ وهــو غُلَامُ

هذه بعض البدايات فكيف به وقد صلب عوده ؟؟ لقد أتى بالروائع فخلب الألباب حتى تناقلت شعره الأجيال . ولا يفوتني وأنا أقدم هذهِ القصائد أن أؤكد أنها اشتملت إلى جانب الثروة اللغوية على صور أدبية جميلة ومعانٍ مبتكرة .. ولا أجد عليّ غضاضة إذا اعترفت ـــ وأنا قليل البضاعة ذو العملة الرديئة ـــ بأن بعض ألفاظ هذه القصائد قد استوقفتني أياماً أنقب في مظان كتب اللغة عن مدلولاتها .. وأحياناً في بعض كتب التاريخ من أمثال قوله في وصف أحوال الزمان وأنــه يأتي على كل شيء فلا يدوم به ملك جبــار ولا صالح مختار :

أَرْدَىٰ كلــيبَ وحــاجبَ بنَ زُرارَةٍ فضْعــاً ودَمَّــنَ وايــلاً وتميمــاَ
وسَطَــا على لَخْــمٍ وآل مُحــرَّقٍ فتخــرَّم النعمــانَ واليَحْمُومَــا

فكلــيب .. وحـــاجب بن زرارة .. وآل محرق .. ولخم .. وتميم .. ووائل .. والنعمان. هذه كلها أعلام على أبطال أو قبائل أو ملوك !! ولكن ما هو اليحموم ؟

لقد وجدت من معانيها الفرس أو الناقة الشديدة السواد [3]!! ولكن هل هذا هو المعنى الذي أراده الشاعر ؟؟ لقد عطف على أسماء الأعلام فلابد أن يكون علماً ! وهكذا طال بي البحث حتى وجدت أن اليحموم : اسم فرس

---

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) أنظر لسان العرب لابن منظور ج١٥ ص٤٧ .

للنعمان بن المنذر وهكذا فالدهر قد أتى على النعمان بن المنذر وأتى على فرسه الشهيرة باليحموم .

وهذا مثل فقط وإلا فهناك ألفاظ كثيرة استوقفتني وقتاً طويلاً كقوله يصف نياقه التي أقلته إلى بلد الممدوح على عادة شعراء عصره وسابقيه :

قِلاصٌ أبوهنَّ الجديل وشَدْقَمٌ وأخوالُها منها غُزيرٌ وداعرُ

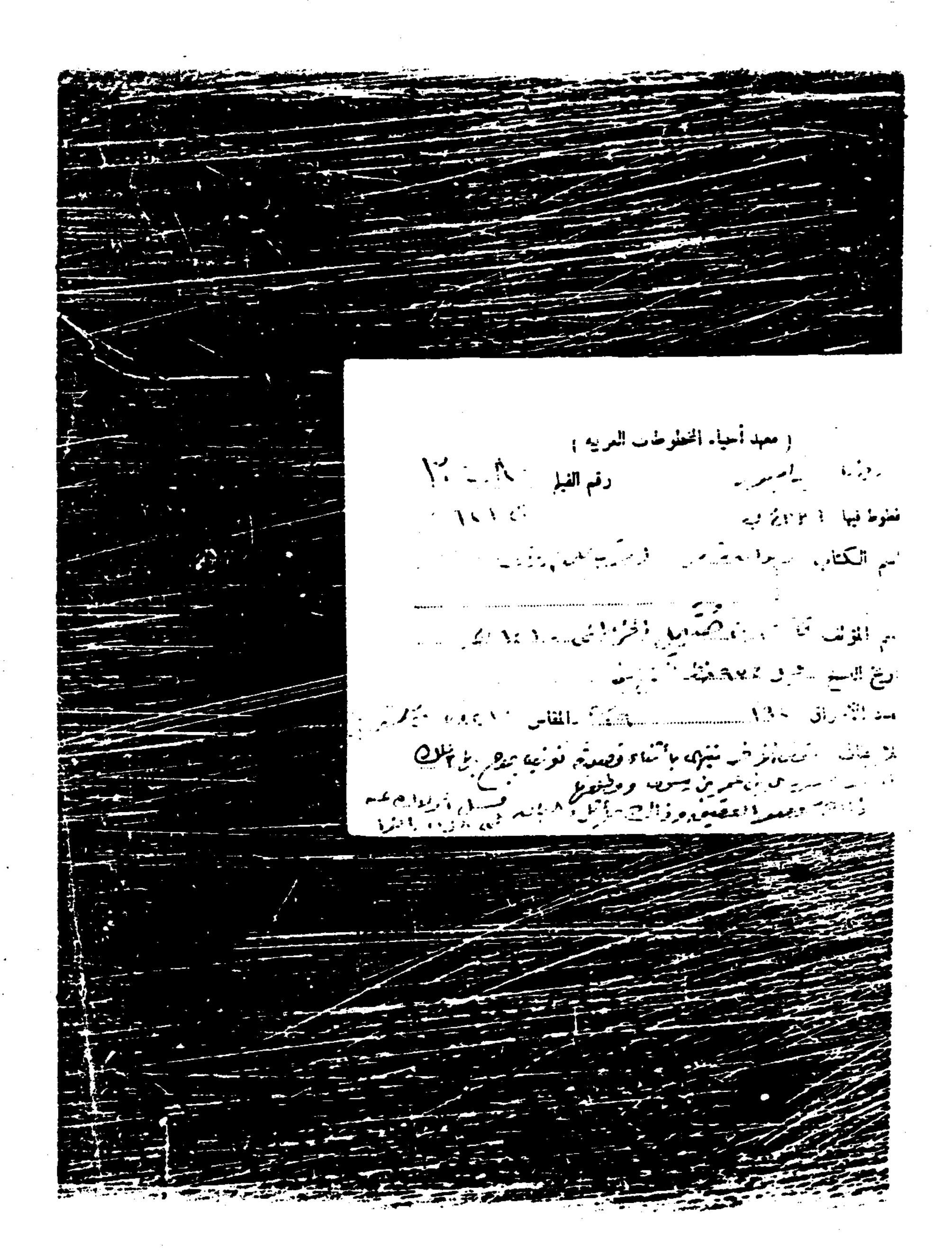
فالجديل وشدقم وغزير وداعر : أسماء إبل مشهورة لعرب مشهورين ولكن ذلك لا يُعرَفُ إلا بعد مشقة وعناء وبحث في المعاجم .

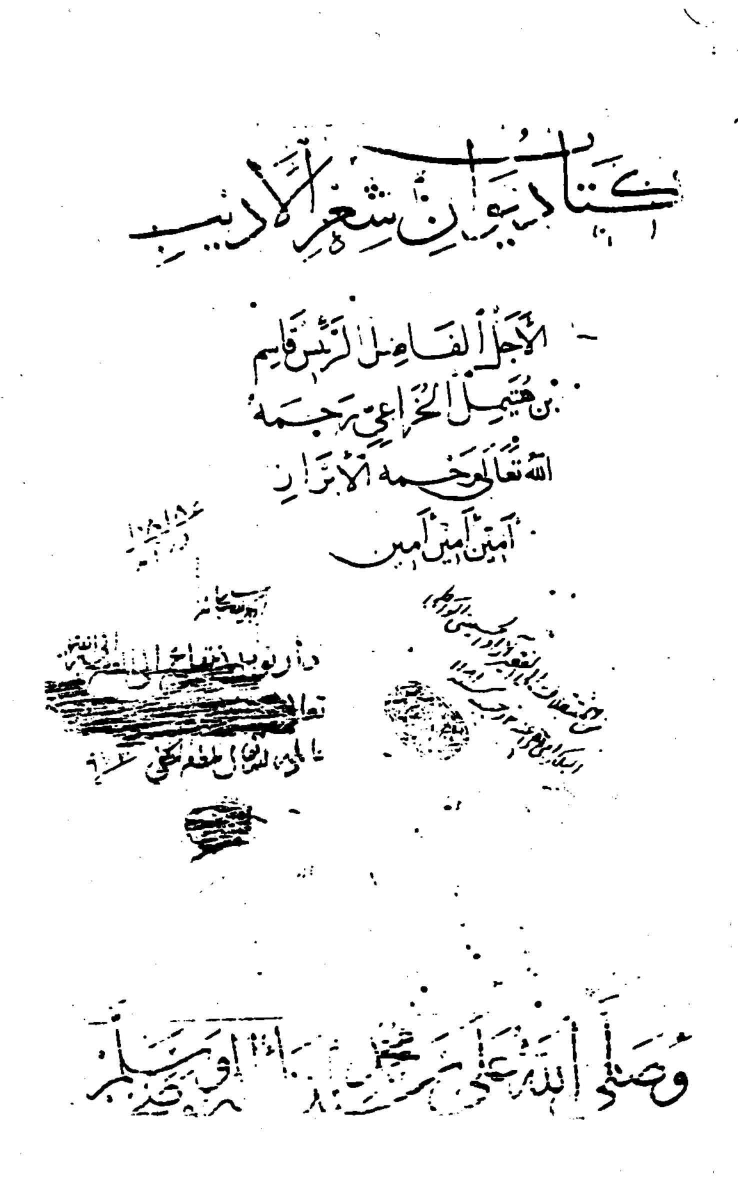
وقد يقول قائل : وما فائدة هذا العناء؟! ولكن الجواب يسبق هذا السؤال البليد بأنه لا فائدة من إعادة كتابة شعر الشاعر مالم نوضح مدلوله ونشرح غامضه ونهيىء السبيل لفهمه وإلا بقى العمل مجرد نقل لا يدخل تحت أي مسمَّىٰ . ولن أتواضع إذا أسميت بعض ما قمت به مجرد تعليق فهو لا يتجاوز الاقتراب فقط من هذه القمة .. وبرغم ما بذلته من جهد متواضع .. وما أنوي بذله — إن شاء الله — فإنني لازلت أؤكد بأن ابن هُتَيْمِل مغبونٌ في شعره مغبون .. ولازال شعره بحاجة ماسة إلى مزيد من الجهد وإلى مزيد من الدراسة فإنَّ به كنوزا وكنوزا .. وبعد .. فبين يدي القاريء جهد المقل أسميته (مغالطة) دراسة أدبية حشدت فيها بعض الفصول التي لم تستوف حقها من العمق وذيلتها باختيار خمس وعشرين قصيدة جديدة ليست هي كل ما بقي من شعر الشاعر المخطوط .. ولكنها بعض من فيضه الزاخر آثرت أن أقتصر عليها نزولا عند رغبة أحد الإخوة الباحثين الذي رغب أن يكون له إسهام أكاديمي في تحقيق ودراسة شعر ابن هتيمل العذب لذلك كان وقوفي عند هذه التخوم تاركا بقية شعره منهلاً عذباً يعب منه الناهلون .. ولن أتردد في العودة بإذن الله إلى ديوان ابن هتَيْمِل المخطوط لأُكمل المشوار الذي بدأته متى تأكدت من عدول باحثنا الأكاديمي عن تحقيقه .

أما القصائد التي عرضتها في هذه الدراسة سواء ما كان في ثناياها أو الخمس والعشرون قصيدة المختارة فقد حاولت شرح غريبها وتقريب بعض معانيها ما وسعني الجهد وهي كما سيرى القارىء تمثل الأغراض الشعرية المتعددة كالمدح والغزل .. والرثاء والعتاب .. الخ وقد عُدْتُ في تحقيقها ــ إن جاز لي هذا التعبير ــ إلى مخطوطتين إحداهما مخطوطة (معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة) ورمزت إليها بالحرف : (م) والثانية مخطوطة جامعة الملك عبد العزيز بجدة ورمزت إليها بالحرف (ج) واعتبرت الأولى أصلاً لتقدم تاريخ نسخها الذي يرجع إلى عام ١٠٦٧هـ مع عدم ذكر تاريخ نسخ المخطوطة الثانية ونقصها .

وأرجو مخلصاً أن تمكنني الأيام أو تمكن سواي من استكمال دراسة بقية شعر ابن هتيمل ونشره محققاً تحقيقاً علمياً ، حتى يضم إلى ما نشر حتى الآن ، فلعل ذلك يكمل صورة الشاعر الذي طوَّف شعره في الآفاق .. ولن يطول الانتظار ــ بإذن الله ــ في عصر الاتصال وتبادل المعلومات وانتشار المعارف، لن يطول الانتظار كثيراً .

(صور من مخطوطات ديوان ابن هتيمل)




كتاب ديوان شعر الأديب

الأجل الفاضل الرئيس قاسم

بن هتيمل الخزاعي رحمه

الله تعالى رحمة الأبرار

آمين آمين آمين

غلاف إحدى النسخ المصورة عن معهد المخطوطات العربية بالقاهرة

هذا ديوان القاسم بن هتيمل

من شاعر المخلاف السليماني الذي نقول فيه

أمير الشعراء :

أما قصائد قاسم بن هتيمل

فهذا أحلى من الصهباء

هو شاعر في عصره فطن وإذا

[illegible]

الشعراء

وكتب محمد [illegible] بكر

في حرة [illegible] ١٠ شوال ١٣٨٠ هـ

[illegible]

هذه النسخة مصورة عن جامعة الملك عبد العزيز وعليها بعض أختام مكتبة الجامعة وبعض كتابات الشيخ العلامة حمد الجاسر .

الصفحة الأولى من إحدى النسخ الخطية الفريدة وهي مصورة عن نسخة دمار باليمن وتبدأ بالقصيدة البائية وليست بالهمزية ولكنها تنفرد بالمقدمة النثرية التي وضعها الشاعر لديوانه .. كما أنها لا تلتزم بترتيب القصائد حسب الحروف الأبجدية مثل بقية النسخ .. وهي غير كاملة .

بسم الله الرحمن الرحيم

قافية الهمزة وقال يمدح أبا بكر بن محمد المبارك ... حاجب ... بني عبيدة ... ويمدح قومهم بني عبيدة رضي الله عنهم

له تفالج من الصبابة داء	فهو داء أعيا الطبيب دواء
علمة ... تلقا	غير لثم الشفاه منها شفاء
... أن ترا ودقت	غير لثم حبل العارفين والآراء
... العيون بالحدق النجل	سواء والطعنة النجلاء
ما ... الحب ... أن تنفع	لو كان حبة صماء
... ولولا والشهوة	لم يخدم الرجال النساء
... للسن	ومن خيفة الأسود الظباء
...	وكانت هباتها أفياء
... على الحب	وتستشعر السلو تياء
...	إن قطعت لبلوى بكا ...
... من ... العهد	إن أحسنت في غرة الوصال
... الثريا	ووشي الجوز ...
... الرملة الوعساء	بالرشى بافتة ملساء
... الحسن والملاحة خديه	فيها جا درا ونارا وماء
... تعذيب	ولا تدخر للنيل عشاء
ماذا بالهموم ...	والنيل والنجا البيضاء
... وصاحب البزازة والفقر	بأكرامك الغني السواء
... رؤية العين	سواء شخصا وليسا سواء
... في صورة الخلق	وليست نفوسنا النعماء
... ابن مليم وعلى ...	هذا الفعل ذاك سواء

هذه هي الصفحة الأولى من الصورة المأخوذة عن نسخة جامعة الملك عبد العزيز .. والنسخة كبقية النسخ مرتبة حسب الحروف الأبجدية وهي غير كاملة .

نضرة الله في البرية لا تذكر بهـ [illegible] ولا حــواء
حرمتني الأيام ان رام الضيم فهلنت بعنوه واباء
وتجافيت عن محل ذيات الذل يمشي الي نبه الضـــراء
يا ابا بكر لست احزبك عني فلك الا محبة وسناء
كلما اسودت الخطوب تطولت فخرقت بيد ابيضاء
انت سمحا فلو مدحت بما يمدح اهل السماح كان هجاء
وتعبت للصديق وللضد فكنت السراء والضراء
خلق كالنسيم هب الا الردى وجود يخجل الانواء
وعلو تمشي السما له ارضا ويضحي على السما سماء
انت حلو المذاق اذا ارسلت ريحك زعزعا ور[illegible]ـاء
اسمة يا بني عبيدة كالاجداء وكالشمس ضيـــاء
يردون الردا فما الا الموت اذا قابل اللواء اللواء
كل مستقتل اذا هم لم يقترعلاما عاف الحياة حيـــاء
واجاز الكرام من كل قوم كان لو احروفا وكنتم اسماء
سبر تلك العقول حتى تميزت فمانا بجدة وسخاء
وخلال [illegible] من عمر فيك فالسك انسا النساء

قافية اليا المرحلة وقال يمدح الامام المعظم انسد.
المكرم احمد بن الحسن [illegible] ذي شفق [illegible]

ته عن كلا دي الركب ان عرض الركب وقل جزوا بالشعب ما نعل
وسمى الشامات اللواتي تزينت عليه اعاليها واسفلها رطب
وقف ريثما تقرا السلام على اللوى فواما وقف لي منك وقرب
فامذهبي لوم الرفيق وانما الوم للوم الصحب ان لا [illegible]
وعز علينا ان نزارت انقضا لما ومثا [illegible] بعدم



بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين

الصفحة الأولى من إحدى النسخ الخطية المأخوذة عن مخطوطة صنعاء وهي من مصورات معهد المخطوطات بالقاهرة وهي مرتبة على الحروف الأبجدية مثل بقية الصور .. ونسختها كاملة كما سيتضح من صورة الصفحة الأخيرة .

تم الديوان المبارك

آخر صفحة من الديوان كما في نسخة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة المأخوذة عن مكتبة صنعاء .

الباب الأول

الشاعر وقبيلته

القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي

عصره .. قبيلته .. مولده .. وفاته .. ثقافته

وإثبات انتمائه للمخلاف السليماني

بعض أحوال عصر ابن هتيمل

أكثر القرائن الواردة في شعر ابن هتيمل تؤكد أنه قد ولد في أوائل القرن السابع الهجري المليء بالأحداث وإذا كان ابن هتيمل الضمدي قد ولد في بداية القرن السابع الهجري وعاشه بكامله فلا شك أنه قد أدرك ما تبقى من خلافة بني العباس الاسمية التي بدأ ضعفها في القرن الخامس الهجري حين استعان خلفاؤها بعد الفرس بالترك السلاجقة (١) فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار، فقد كان استيلاء الأتراك على زمام الأمور إيذاناً ببداية الانحدار حيث تمزق جسد البلاد الإسلامية إلى دويلات وإمارات وإقطاعيات ، وأصبح خلفاء بني العباس في القرن الخامس والسادس والنصف الأول من القرن السابع لا يملكون من أمر الدولة شيئاً وإن تمتعوا باحترام معنوي ضعيف (٢)في بعض الحواضر الإسلامية، أجل فقد ابتليت الأمة الإسلامية خلال هذه القرون بما أصاب دويلات السلاجقة التي كان من نتائج تمزقها وضعفها إيقاظ الفتن الصليبية واجترار أحقادها لغزو أطراف الشام والاستيلاء على كثير من مدنه (٣) ومن أهمها مدينة القدس حيث استمروا في السيطرة عليها قرابة مائة عام حتى قيض الله لها صلاح الدين الأيوبي فاستعادها وأجلى

---

(١) العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية في العصر السلجوقي لمحمد بن سالم العوفي . ص٢٠٥ وتنظر في الصفحات ١٩ــ٢٢ من كتاب مطالعات في الشعر المملوكي للدكتور بكري شيخ أمين .

(٢) تاريخ الأمة العربية لمحمد طلس ج٤ ص ١٢١، وانظر ص (و) من مقدمة (البداية والنهاية) تحقيق د/ أحمد أبو ملحم وآخرين .

(٣) العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العَبَّاسية في العصر السلجوقي ص ١٤٩ .

الصليبيين عنها بعد أن هزم [1] جموعهم، وابتليت الأمة الإسلامية بهجمات المغول الشرسة التي كان آخرها وأفظعها اقتحام هولاكو لبغداد وتخريبها وإحراق وإغراق كتبها وقتل (المستعصم) آخر خلفاء بني العباس بها وذلك [2] سنة ٦٥٦هـ وكان القرن السادس والسابع قد شهد اضطرابا في الحالة العامة في عاصمة الخلافة العباسية الآيلة إلى الدمار في جُل حواضر العالم الإسلامي بما في ذلك مكة والمدينة اللتان شهدتا صراعاً بين الفاطميين والعباسيين من جهة والأيوبيين والرسوليين من جهة أخرىٰ وبين الحسنيين والحسينيين بل بين الحسينيين أنفسهم حتى لقد بلغ بهم الأمر إلى تنازع الأخ مع أخيه والابن مع أبيه ولربما حصل لبعضهم أن أقصى عن السلطة وعاد إليها مرات ومرات كما وقع لراجح بن قتادة [3]، وكانت الجزيرة العربية من الناحية الفكرية تغط خلال هذين القرنين في سبات عميق عدا مكة والمدينة[4] اللتين كانتا ملتقى أفئدة الناس، وعدا بعض المدن في جنوبي الجزيرة العربية حيث كانت بها بعض اليقظة الفكرية برغم ما مني به هذا الجزء من تأخر على السلطة واختلافات مذهبية وصراعات قبلية هنا وهناك .

وكانت إمارة المخلاف السليماني ــ موطن ابن هتيمل ــ واقعة تحت طائل هذه الصراعات فقد حكمها سليمان بن طرف الحكمي وذووه خلال القرن الرابع الهجري ، وكان يُنْسَب إليه المخلاف السليماني ــ وفي أواخر

(١) البداية والنهاية لابن كثير ج٧ ص٧ وتنظر ص ٢٢ من كتاب مطالعات في الشعر المملوكي .

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ج٢ ص ١٠ وانظر ص (ج) من مقدمة (البداية والنهاية) .

(٣) أنظر الصفحات ٤٩ ــ ٥٨ من كتاب بلاد الحجاز للعصر الأيوبي لعائشة عبد الله بامقارشي .

(٤) شعرعلي بن المقرب دراسة فنية د. أحمد موسى الخطيب ص ١٤ .

القرن الرابع استولى عليه الأشراف [1] وأثناء حكم الأيوبيين استمر الأشراف في إمارة المخلاف السليماني ، وحين يحصل اعتداء من أئمة اليمن الأعلى كان الأشراف يستنجدون بالأيوبيين؛ فقد نكّل عبد النبي بن علي بن مهدي [2] بأمراء المخلاف السليماني وقامت بينه وبين الشريف غانم بن يحيى أمير المخلاف السليماني حروب طويلة قُتل فيها الشريف غانم بن يحيى قتله ابن مهدي بعد أن اكتسح عاصمة النجاحين (زبيد) فاستنجد من بقي منهم بصلاح الدين الأيوبي في مصر فأنجدهم بجيش قاده توران شاه وحين وصل توران شاه إلى صبياء انضم إليه أشراف المخلاف السليماني فقصد زبيد عاصمة ابن مهدي فأخذها عنوة وقضى على دولة ابن مهدي وأمر بقتله ثم استمر زحفه حتى استولى على اليمن بأسره وأعاد للأشراف السليمانيين [3] إمارتهم (المخلاف السليماني) .. وحين انتهى حكم الأيوبيين وخلفهم آل رسول في اليمن ظل المخلاف السليماني في حالات من التقلبات فمرة أميره القاسم بن علي الذروي ممدوح ابن هتيمل الذي لا يلبث أن يتعرض لسخط الرسوليين وحربهم واستيلائهم على بلاده وتارة يتوزع المخلاف السليماني إلى إقطاعيات فالغوانم في جازان ــ وآل ذروة في صبياء والقاسميون في ضمد،

(١) الديباج الخسرواني في ذكر أعلام المخلاف السليماني ــ مخطوط ــ للحسن بن أحمد عاكش الورقة (٥) .

(٢) دولة بني مهدي قامت على أنقاض دولة بني نجاح ومؤسس دولة بني مهدي هو: علي بن مهدي ولد في سواحل زبيد باليمن وكان أحد عمال دولة بني نجاح، قال عنه صاحب كتاب اليمن شماله وجنوبه : (نشأ متمسكاً بالعزلة والصلاح وحج ولقي حجاج العراق وعلماءها ووعاظها وتضلع في معارفهم .. كان فصيحاً غزير المعلومات) من كتاب اليمن شماله وجنوبه لمحمود كامل . ص ١٧٤ وأنظر ص ١٥٥ ج١ من كتاب العقود اللؤلؤية للخزرجي .

(٣) بتصرف عن كتاب المقتطف من تاريخ اليمن للقاضي عبد الله عبد الكريم الجرافي ص ١٢٧ ــ ١٢٨ .

وآل هظام في خلب ... إلخ .

والجميـــع محل أطمـــاع الأئمـــة في الجبـــال ، أو الرسولـــيين في اليمن الأسفل، إلى جانب الفتن والغارات التي كانت تنشب بين القبائل بعضها مع بعض [1] هذه بعض الأحوال السائدة بالمخلاف السليماني في أخريات القرن السادس ومعظم سنوات القرن السابع ، وفي هذا المحيط الصاخب ولد ابن هتيمل وعاش فكان صورة لعصره المتقلب ولمحيطه المضطرب؛ فهـــو يمدح القاسم بن علي الذروي الذي هزم عُمَّال المظفر وأجلاهـــم عن بيش وحين جمعوا فلولهم وأعادوا الكَرة على بيش فاستولوا عليها ما كان من ابن هتيمل إلا أن مدح المظفر الرسولي فكان بهذا صورة للاضطـــراب والتقـــلب وكان شعره مرآة تعكس تلك الأحوال فأصبح كل ممدوح يَفْضُلُ بقية الأمراء أو الملوك ، استمع إليه يمدح بني يعقوب أمراء حاي :

إن الملـــوك بَنُـــو يعقـــوبَ قاطبـــةً   قطعا وكـلُّ ملوكٍ غيرَهَـمْ سُوَقُ [2]

وآل ذروة اصحاب الفضل وبقية الملوك بل سائر الأنام فضول :

وأنْتُـــــمْ منَ الحَيَّيْـــــنِ ياآل ذروَةٍ   أُولُو الفَضْل قطعاً والأنامُ فُضُولُ [3]

والمظفر الرسولي يفضل سائر ملوك الدنيا فقد وزنهم الشاعر فلم يجد وزنا سوى لممدوحه المظفر :

ولقـد وَزَنْتُ بكَ المُلوكَ فلـمْ أجـدْ   مِلِكـــاً أراهُ سِواكَ في الميــــزان [4]

ويبالغ في مدحه فيجعله سيد السادات بل ملك الملوك :

---

(١) بتصرف عن مقدمة: (مختارات من ديوان ابن هتيمل دراسة وتحليل) محمـــد أحمد العقيلي ص ١٢ ــ ١٣ .

(٢) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٨١ .

(٣) مخطوطة الديوان وستأتي ترجمة ممدوحه المظفر الرسولي إن شاء الله .

(٤) المصدر نفسه .

مِلكُ المُلُوك وسيّــد الساداتِ مِنْ مُضرٍ ومنْ قحطانها ابنــة هُود [1]

وقتادة بن راجح شريف مكة لا يعدل به في جوده الثقلين :

فلا تَعــدِلْ بهِ الثَّقَلَيْــن جُوداً فليسَ البحرُ يُعـدَلُ بالمَــزَادَةْ [2]

والشريف سلطان القاسمي صاحب ضمد ليس له نِدٌّ ولا مُضَاهٍ في الثقلين :

لعمــرُكَ لوْ نَشدْتَ الخلْــقَ نِدًّا لعَمــرُكَ ما وفَــىٰ الثقــلَانِ نِدًّا [3]

وشاعرنا كعصره المتقلّب راضٍ عن هذا في يومه ساخط عليه غدا أو راض عن سواه أسير صنائعه يسبغ عليه من النعوت ما يوهم القارىء بأنه يهين من سواه مما سبب له بعض المواقف في حياته [4] .

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) انظر موقفه مع المظفر الرسولي في مطلع البدور بسبب مدحه لأمراء حلي الذي قال فيه :

إن الملوك بنو يعقوب قاطبة قطعاً وكل ملوك غيرهم سوق

قبيلة الشاعـر

برغـم كثرة المصادر التـي تحدثت عن الشاعـر : القـاسم بن علي بن هتيمل الضمدي وعن شعره وشاعريته الحقة إلا أنها ظلت جميعها ضنينـة علينـا بتفاصيل حياته «نشأته .. ولادته .. وفاته .. أسرتـه .. قبيلتـه» عدا مجرد ذكـر لقبيلتــه يأتي ذيــلا لاسمه في بعض المصادر كما أتى على الصفحــات الأولى من بعض مخطوطـات الديـوان، غير أن شاعرنـا قد كان بشــاقب فكــــره، وصادق حدسه يصغى إلى الأجيـال، ويفطـن للحيـف الـذي يمنـى به أمثالـه من أساطين الشعـر وأعلامـه ؛ فبـدد حيرتنـا ، ووضـع أمامنـا حزمـة من الضوء الساطـع في أبيات متفرقة تؤكد انتماءه لقبيلة خزاعة العربية الأصيلة ومنها قوله :

إني ورثتُ الشعــرَ عن ضِلّيلــه [1] وعـن الوليـد[2] وعــن أبي تَمَّامِــهِ
فإذَا اعتـزيتُ لدعبِـلٍ[3]، وكُثَيِّــرٍ[4] أصْغَـــىَ إلــيّ، فَقُدْتُــهُ بزِمَامِـــهِ

ومنها قوله :

---

(١) يقصد الشاعر الجاهلي المعروف امرأ القيس .

(٢) والوليد : هو الشاعـر العبـاسي المعـروف البحتـري : أبـو عبـادة الوليـد بن عبيـد ولـد بمنبج سنة ٢٠٤ وتوفى بها سنة ٢٨٤هـ .

(٣) اعتـزيت : انـتسبت إليـه . يقـال إن فلانـاً ليعـزي إلى الخير . انظـر (أساس البلاغـــة ص٣٠١ مادة : عزو) ودعبـل : هو الشاعـر المعـروف : دعبـــل بن علي الخزاعـــي : وقيل دعبل لقبه : ولد بالكوفة سنة ١٤٨هـ وتوفى سنة ٢٣٥هـ وقيل سنـة ٢٤٦هـ . وهو أحد الشعراء المشهوريـن من قبيلـة خزاعـة صليبـة لاولاء كما يقـول شوقي ضيـف ومن بيت شعر فأبـوه شاعـر وعمـه شاعـر وأخـواه : علي ورزيـن كذلك ــ وولـداه: الحسين وعلي .. وابن عمه كل هؤلاء شعـراء، كانت تربطـه بمسلـم بن الوليـد صداقـة ومـودة ــ ظهـرت آثارهـا في عنايـة دعبـل بالجزالـة ونصاعـة القـول وترصيـع شعـره بالمحسنات البديعية نُسب إلى شعراء الشيعة وكان شاعراً هجاءً .

(٤) كثيّر : هو الشاعر الغزل المعـروف بكثيّـر عزة وهـو كثير بن عبـد الـرحمن ينتمـي إلى خزاعة قيل أصلاً وقيل ولاءً .

لستُ بالمُقـــرِفِ أُدلي نَسَبِـــي   بامـرِيءِ القـيسِ وجـدِّي دعبِـلُ

فعوضتنا هذه الأبيات ومثيلاتها عن شح المصادر وأغنتنا عن كزازة معلوماتها وفتحت لنا نافذة نطل منها على ماضي قبيلة عربية عريقة هي قبيلة خزاعة التي تنتمي في أصولها إلي قبيلة الأزد إحدى كبريات قبائل كهلان العربية وقد كان مقر سكنى هذه القبيلة أرض مأرب، وبعد انهيار سد مأرب نزح أفرادها فتفرقوا في بقاع الأرض، وكان الدافع لهم هو انتجاع أرض أخرى بدلاً من مأرب التي انهار سدها ، وأجدبت أرضها، فنزح فرع منهم إلى تهامة، ونزح فرع منهم إلى عمان، ونزح قوم منهم إلى بارق وألمع وراسب وسموا أزد شنوءة، وكان الذين هبطوا إلى تهامة قد سموا أزد الجيش، وكانوا أثناء إقبالهم من اليمن قد نزل بنو مازن على ماء يقال له غسان وأقبل بنو عمرو بن عامر فانخزعوا عنهم (1) فسموا :

خزاعة : وهم : ولد ربيعة، وهما لحيى، وأفصى، أولاد حارثة (2)بن عمرو بن عامر ، وينسبهم بعض المؤرخين إلى عمرو بن ربيعة بن حارثة حيث يعتبرونه أبا خزاعة كلها ومنه تفرقت بطونهم (3) . وزعم قوم أن أبا خزاعة هو كعب ابن عمرو بن لحيي بن قمعة (4) . قال ابن الكلبي في سبب التسمية : (لما تفرقت الأزد من اليمن نزل بنو مازن على ماء يقال له غسان وأقبل بنو عمرو ابن لحى فانخزعوا عن قومهم فنزلوا مكة وأقبل بنو أسلم ومالك وملكان بن

---

(1) دراسات في أنساب قبائل اليمن لأحمد شرف الدين ص ٤٤ ـــ ٤٥ ط٣ .

(2) التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب ص ٢٤١ تأليف محمد بن أحمد الأشعري تحقيق سعد ظلام نشر نادي أبها الأدبي .

(3) نسب قريش لأبي عبد الله المصعب الزبيري . تحقيق : أ. ليفي بروفينسال ص ٢٧٩ ط. دار المعارف بمصر .

(4) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب لأبي الفوز محمد أمين البغدادي ص ٢٩٧ . ط دار الكتب العلمية بيروت .

أفصى بن حارثة فانخزعوا عن قومهم أيضا فسمي الجميع خزاعة) [1] ..

وقد كانت مواطنهم مكة ومر الظهران وما بينهما ، وكانوا حلفاء لقريش وكان لخزاعة ولاية البيت الحرام بعد جرهم ولم تزل بيدهم إلى أن باعها أبو غبشان من قصي بن كلاب حتى قالت العرب : أخسر من صفقة أبي غبشان [2] ويقال لخزاعة حلفاء الرسول ﷺ اشتركوا معه في كتاب القضية عام الحديبية وحين أعان مشركو قريش حلفاءهم بني بكر ونقضوا بذلك العهد كان ذلك سبباً في فتح مكة ، (وقد اعطى رسول الله ﷺ لخزاعة منزلة لم يعطها أحداً من الناس، وذلك بأن جعلهم مهاجرين وهم بأرضهم وكتب لهم كتاباً بذلك) [3] يضاف إلى هذا الفضل أن أم وهب بن عبد مناف جد النبي عليه السلام خزاعية واسمها قيلة بنت أبي قيلة [4]، كما أن أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها خزاعية أيضاً، كما أن بعض أكابر الصحابة رضوان الله عليهم ينتسبون إلى خزاعة أمثال الحارث بن أسد، وعامر بن حصين [5] ومن خزاعة أيضاً بعض مشاهير الشعراء : أمثال كثيّر بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة والشاعر : دعبل بن علي الخزاعي [6] وغيرهم، ولا غرابة أن يوجد فرع من خزاعة في تهامة مادامت قبائل الأزد قد تفرقت في أنحاء المعمورة ، وانخزعت من بينهم خزاعة فتفرقت فروعها هي

---

(١) المصدر والصفحة نفسهما .

(٢) المصدر السابق ص ٢٩٦ .

(٣) التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب ص ٢٤١ .

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٦٠ وانظر ص ٣٢٣ من نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ط١ دار الكتب العلمية ببيروت .

(٥) سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب ص ٢٩٨ .

(٦) جمهرة انساب العرب لأبي محمد علي بن حزم الأندلسي ص ٢٣٨ ط دار الكتب العلمية .

الأخرى، ولا غرابة في وجودهم إلى جانب قبائل عك والجدرة [1] الأزديتين المستقرتين في تهامة ، فلقد شهدت تهامة أسرا عربية انتقلت اليها من أواسط الجزيرة العربية وأقاصيها فاستقرت بها كما شهدت استقرار بعض الأسر الهاشمية التي نزحت من مكة وما جاورها ومن ثم فوجود فرع من خزاعة أسرة الشاعر ابن هتيمل في تهامة ليس بالأمر المستغرب مادامت فروع الأزد قد تفرقت في الآفاق حتى قال شاعرهم :

حلَّتِ الأَزدُ بعدَ مَأْرِبَهَا الغَوْ رَ فأرضَ الحجازِ فالسَّرواتِ [2]

ولا شك في أن فرعا من خزاعة قد استوطنوا المخلاف السليماني ومنهم قبيلة الشاعر التي كان موطنها ضمد .

قال العلامة أحمد بن حسن عاكش [3] نقلا عن جده الحسن بن أحمد عاكش علامة القرن الثالث عشر : (ضمد : واد باليمن تسكنه خزاعة) [4]

---

(١) انظر تاريخ اليعقوبي ج١ ص ٢٠٢ .

(٢) دراسات في انساب قبائل اليمن ص ٤٥ .

(٣) أحمد بن حسن بن محمد عاكش ولد بمدينة ضمد سنة ١٣٢٨هـ كان أحد علماء القرن الرابع عشر البارزين وكانت له حلقة تعليمية في منزله وفي مسجد العقيلي بضمد وكان يفيض على طلابه علماً وعطاءً ومعرفة. حافظ على الثروة العلمية التي ورثها عن أسرته العلمية العريقة أسرة آل عاكش له نشاط اجتماعي مشهور وله بعض المشاركات الشعرية المتميز وإلى جانب اشتغاله بالتعليم فقد عمل بالقضاء وله رسالة بعنوان : (منحة الصَّمَد في الميسور من حديث ضَمَدْ) توفي بمدينة ضمد سنة ١٣٨٨هـ .

(٤) يطلق الجغرافيون القدامى كلمة «يمن» على كل ما وقع جنوب مكة المكرمة حتى كانوا يقسمون قبيلة هذيل فيقولون هذيل الشام وهذيل اليمن وعن مدينة ضمد انظر كتاب من رسائل الوزير الحسن بن خالد الحازمي تحقيق الدكتور عبد الله محمد أبو داهش طبع مطابع الجنوب بأبها ١٤٠٧هـ. وانظر مخطوطة: منحة الصمد فى الميسور عن حديث ضمد للعلامه أحمد بن حسن عاكش. نسخة مصورة لدى =

وبهذا يتأكد لنا أن خزاعة قبيلة الشاعر كانت تسكن ضمد بالمخلاف السليماني وإن انقرضت من المنطقة في عصرنا الحاضر كما انقرضت قبائل أخرى بأسباب الحروب أو المجاعات أو الهجرات فسبحان من لا يزول ولا يحول .

---

*

الباحث.. وانظر كتابنا «نبذة تاريخية عن التعليم فى تهامة وعسير» وانظر فى المعجم الجغرافى للشيخ محمد أحمد العقيلى.

الشـــاعر

هو الفقيه العالم الشاعر المفلق [1] :
(القاسم بن علي بن هتيمل الخزاعي الضمدي المخلافي)

هكـذا ورد اسم شاعرنـا في معظـم المصادر وإن اختصر بعضهـا بعض الألقـاب أو زاد أو نقص .. ففـي الصفحـة الأولى من مخطوطـة ديــوان ابـــن هتيمـل المصورة عن مخطوطـة معهـد المخطوطـات العربيـة بالقاهـرة التـي كتبت في سنـة ١٠٦٧هـ ورد اسمه هكـذا : الأديب شرف الديّـــن قاسم بن علي بن هتيمـل الخزاعـي المخلافي[2] وفي كتـاب العقـــود اللؤلؤيـــة جاء اسمه هكـــذا : (القاسم بن علي بن هتيمل) [3] واختصر اسمه عمر رضا كحالـة : فقـال : (أبـو القـاسم بن علي بن هتيمـل المخلافي) [4] ، أمـا صاحب (الأعــلام) فقـــد أورد اسمه على النحو الآتي : (القاسم بن علي بن هتيمل الخزاعي) [5] .

وجـاء اسمه في مصادر الفكـر الإسلامـي والعربي في اليمن قريبـاً من هذا وكـذلك في مطلـع البـدور ومجمـع البحـور لابـن أبي الرجـال أمـا البَرَدُّوني في

---

(١) تاريخ اليمن الفكـري فى العصر العبــاسي لأحمد محمـــد الشامـــي ص٤٨ نقـــلاً عن مخطوط :«المستطاب» للمورِّخ يحيى بن الحسين.

(٢) صفحـة داخليـة تشبـه الغـلاف وقـد كتب عليها بخط غير واضح بعض أسماء مالكـــي المخطوطـة .. ودونت عليها أبيـات ذكـر فيها اسم الإمـام الـذى تم النسخ بعنايتـــه فى القرن الحادى عشر وهـو عبـد القـادر ابـن النـاصر ابـن الإمـام والمخطوطـة مصورة عن مخطوطـة اليمن توجـد بمعهـد المخطوطـات العربيـة بالقاهـرة برقـم٣٠٤٩ وهـــذا رقـــم الميكروفيلم..وصورتها لدى الباحث.

(٣) العقود اللؤلؤية فى أخبار الدولـة الرسوليـة لعلي بن حسن الخزرجـي ج١ ص٢٨٠ ط١ دار إحياء التراث العربى ببيروت عام ١٣٣٢هـ

(٤) معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ج٨ ص ١٠٩ .

(٥) الأعلام .. لخير الدين الزركلي ج٥ ص ١٧٨ .

كتابه : (رحلة في الشعر اليمني قديمه وحديثه) ومثله أحمد الشامي في كتابه : (قصة الأدب في اليمن) فقد اكتفى كل منهما بذكر اسمه واسم جده هكذا : «القاسم بن هتيمل» [1] .. ولربما كان الشاعر ابن هتيمل هو الشاعر الأكثر غبنا من بين شعراء العربية الكبار الذين ملأوا سمع الدنيا وبصرها ومع ذلك فقد ظلت تفاصيل حياتهم مجهولة للباحثين من عشاق الفن الرفيع، فلقد ترجم له عدد كبير من المؤرخين وأصحاب كتب التراجم وجميعهم اتفقوا على قوة شاعريته كما اتفقوا على الاقتضاب والاختصار حينما أرادوا الحديث عن حياته الخاصة :

(ولادته.. نشأته .. وفاته .. أو أسرته .. عصره .. صلاته بأعلام عصره .. إلخ) . نعم اتفقوا جميعهم على إغفال هذه الجوانب برغم أهميتها الكبيرة ..

فهذا المؤرخ العلامة : علي بن الحسن الخزرجي المتوفي سنة ٨١٢هـ يترجم له مغفلا هذه الجوانب فيقول : (القاسم بن علي بن هتيمل .. شاعر المخلاف السليماني رحمه الله كان فصيحاً حسن الشعر مداحا له في السلطان المظفر عدة قصائد من المشهورات) [2] .

والخزرجي كما ترى أقرب إلى عصر الشاعر ومع ذلك أدار ظهره عن بحث هذه الجوانب وجاء بعده العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال المولود سنة ١٠٢٩هـ والمتوفي سنة ١٠٩٢هـ فترجم لابن هتيمل ترجمة

---

(١) انظر في كتاب البردوني : (رحلة في الشعر اليمني) ص ٤١ وانظر في ص ٣٥٣ من كتاب الشامي (قصة الأدب في اليمن) الطبعة الثانية عام ١٤٠٥هـ ، جدة.

(٢) العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ج١ ص ٢٨٠ ط١ مطبعة الهلال عام ١٣٣٢هـ لعلي بن الحسن الخزرجي المتوفى سنة ٨١٢هـ انظر ترجمة الخزرجي في ملحق البدر الطالع للإمام الشوكاني ج٢ ص١٦٠ .

فضفاضة أسبغ عليه فيها من النعوت دون إشارة إلى تاريخ الولادة، أو مكانها أو نشأة الشاعر أو أسرته أو أي جانب من جوانب حياته، حيث جاءت ترجمته على النحو الآتي : (البليغ الذي يُعَدُّ من البلغاءِ بالخنصر، والسابق الذي يطول على الكل ولا يقصر تصبو له المعاني إذا دعاها ...) إلى أن يقول : (روي أنه لما وصل ديوانه إلى مكة اتفق أدباؤها على تفضيله وقال قائلهم : قد جاء من اليمن ديوان يغني عن كل هذه الدواوين، وقد أورد من شعره العماد الأصفهاني الكاتب ونسبه إلى غيره ...) [1] ثم استمر في الإفاضة إلى أن أشار لبعض خصائص شعر ابن هتيمل ، كما أشار إلى أن ابن هتيمل قد عُمِّر طويلا .. لكنه لم يوضح مقدار عمره ولا زمانه .

واستمر في إشادته بشاعرية ابن هتيمل إلى أن ذكر بعض المواقف المحرجة التي سببها له شعره . [2]

وحين نصل إلى القرن الثالث عشر نجد العلامة الحسن بن أحمد عاكش الضمدي [3] يحدد مكان إقامته ولكنه لا يذكر زمان ولادته، ولا

---

(١) هذا وهم من ابن أبي الرجال نبَّه عليه العلامة أحمد محمد الشامي في كتابه تأريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ج٤ ص٥٨ وأوضح أن العماد الأصفهاني مات قبل ولادة القاسم بن علي بن هتيمل كما أوضح ان ابن أبي الرجال لم يُسنِد الكلام إلى مصدر ووضح أن الأبيات المنسوبة إليه غير موجودة في الديوان الخاص بابن هتيمل فقد تكون لشاعر سبق ابن هتيمل فعارضها .

(٢) مطلع البدور ومجمع البحور نسخة غير مرقمة الصفحات توجد لدى محمد بن علي الحازمي المحاضر بكلية اللغة العربية في أبها ــ وتوجد من المخطوطة نسخة أخرى لدى محمد أحمد العقيلي بجازان وستأتي ترجمة المؤلف إن شاء الله .

(٣) الحسن بن أحمد عاكش الضمدي أحد علماء القرن الثالث عشر البارزين في مختلف الفنون ولد عام ١٢٢١ وتوفى عام ١٢٩٠هـ ترجم له غير واحد انظر ترجمة مختصرة في كتابنا (نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة وعسير) .

مكانها ولا يذكر شيئاً عن أسرة الشاعر أو عن حياته ؛ حيث يقول في معرض حديثه عن موقع ضمد : (ضمد القديم كان بموضع مختارة التي بنى بها الوزير الحسن بن خالد الحازمي قلعته وهو الذي سماها بهذا الاسم وزالت إليه أراضيها وكان فيما سلف يسمى نجران وبه كان الأديب ابن هُتَيْمِل وغيره من أولئك العلماء الأعلام) [1] . قلت وقد أكد ذلك ابن هتيمل في شعره حين قال متبرِّماً من قومه :

أيُقْبَحُ فيَّ في نَجْرانَ مَنْ لا ... يَحِلُّ عليه عند البَيْعِ فِلْسُ ؟

وحين قال :

ياأحمد بن عليّ دعوة مُخْلص ... نَاداك من ضَمَد فكُنتَ مُجيبَاً [2]

أغنيتَني وكَفيتَني في بلدةٍ ... كُنْتُ الغريبَ بها ولستُ غَريبا

وعن عاكش نقل القُبيٌّ صاحب كتاب (الجواهر اللطاف) [3] المتوفي في منتصف القرن الرابع عشر وأضاف إلى ما نقله فقال عند ذكر نجران : (وعلى ذكر نجران فلم يزل يُشكِلُ عليَّ هذا الاسم لا ندراسه من جهاتنا فلم أزل أسأل عنه من ظعن فلم أقف على علم ولا خبر حتى طالعت تواريخ جملة فاستفدت من تاريخ شيخ الإسلام العلامة الحسن بن أحمد عاكش، ذكر نجران القديم المقبور فيه الشاعر البليغ القاسم بن هتيمل الضمدي والشاعر

---

(١) (الديباج الخسرواني في ذكر أعيان المخلاف السليماني) ـ مخطوط للعلامة الحسن بن أحمد عاكش الورقة ٨٢ .

(٢) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٧٣ و ص ١٦٢ ، وأحمد بن علي في البيتين الآخرين هو أمير حلي، أحمد بن علي العقيلي الحرامي .

(٣) صاحب الجواهر اللطاف : هو العلامة محمد حيدر القبي أحد علماء المخلاف السليماني في النصف الأول من القرن الرابع عشر توفى سنة ١٣٥٠هـ .

الأديب سحبان الشهيد ـــ ربما يقصد الشاعر منصور بن سحبان [1] .. فإذا هو (مختارة) [2] المسمى في الزمان والمكان وقد توجهت إلى هذه المدينة المندرسة بنفسي ـــ والكلام لصاحب الجواهر اللطاف ـــ في نزاع بين الأشراف بني الأمير، والحوازمة في أوقاف الحسن بن خالد الحازمي، وشاهدت تلك الأطلال البالية) [3] وأشار في موضع آخر من كتابه الجواهر اللطاف إلى اسمه ونسبه كاملا فقال (العلامة القاسم بن علي بن هتيمل الخزاعي الضمدي) [4] وإذا فقد أضاف العلامة محمد حيدر القبي مكان وفاة الشاعر فقط ولكنه لم يشبع نهمنا فيحدثنا عن مكان ولادته وزمانها ولا عن أسرته ... إلخ شأن سابقيه ، وحين نصل إلى العصر الحديث نجد الدكتور شوقي ضيف لا يضيف جديداً إلى نسبه ولا يقدم لنا شيئاً عن نشأته، وحين يتحدث عن المولد والوفاة يقرر عدم معرفة سنة ميلاده ويعود إلى التخمينات في سنة وفاته . [5] أما خير الدين الزركلي فيقول : (القاسم بن علي بن هتيمل الخزاعي شاعر المخلاف السليماني في عصره وكان كثير التنقل بين

---

(١) منصور بن سحبان الضمدي شاعر معاصر لابن هتيمل وواحد من شعراء ضمد ترجم له الفاسي في العقد الثمين وأورد له عشرة نماذج من شعره وذكر بأنه مات قتيلا وأشار إليه الخزرجي في العقود اللؤلؤية انظر ج٢ ص٣٨ وانظر ورقه ٢١ من الجواهر اللطاف للقتبي مخطوط .

(٢) مختارة : اسم أرض زراعية من أراضي حسن بن خالد الحازمي لازالت تعرف بهذا الاسم حتى أيامنا هذه وتقع شرق مدينة ضمد بالقرب من آثار الحصن الذي بناه الوزير الحازمي المذكور.

(٣) الجواهر اللطاف في أنساب أشراف صبياء والمخلاف مخطوط للعلامة محمد حيدر القبّي الورقه ٣٩ توجد صورة منها لدى الباحث والقبي أحد علماء المخلاف السليماني في القرن الرابع عشر توفى سنة ١٣٥٠هـ تقريبا .

(٤) المصدر نفسه الورقة ٢٤ والورقة ٩٠ .

(٥) تأريخ الأدب العربي ـــ عصر الدول والامارات لشوقي ضيف ص ١١٤ .

اليمن والحجاز مدح المظفر الرسولي ورجال دولته وأحمد بن الحسين القاسمي وبعض أشراف مكة وأمراء المخلاف السليماني عاش ما يقرب من مائة عام ومات فقيراً ، له ديوان مخطوط موجود في معهد المخطوطات، اختار معاصرنا الأديب محمد أحمد عيسى العقيلي قرابة مائة وخمسين صفحة منه وصدَّرها بمحاولة لمعرفة حياة الشاعر وسماها : ديوان القاسم [1] بن علي بن هتيمل الخزاعي الضمدي المخلافي) [2] . وهكذا أدلج بنا خير الدين الزركلي دون إشباع نهمنا .. ومثله فعل عبد الله الحبشي في ترجمته حين أغفل تلك الجوانب فقال : (القاسم بنِ علي بن هتيمل من ناحية المخلاف السليماني مدح ملوك عصره عاصر الملك المظفر ومدحه) [3] . وكذلك فعل عمر رضا كحالة حين أشار إليه إشارة عابرة لا تخلو من تصحيف ؛ حيث قال : (أبو القاسم بن علي بن هتيمل المخلافي «٢٨٥» له ديوان شعر) [4] . فأنت تراه قد جعله أبا القاسم وهو قاسم ، وجعل له تأريخا لا ندري هل يريده لولادته ؟ أم لغيرها أم لشيء آخر لم يسمّه ؟! . وحين نصل إلى الأستاذ محمد أحمد العقيلي الذي يعتبر صاحب الفضل ــ بعد الله ــ في إخراج بعض شعر ابن هتيمل منذ ثلث قرن ؛ حين نطالع المقدمة التي صدر بها ما اختاره من شعر ابن هتيمل نجده يعترف بقصور مراجعه عن إشباع نهمه ونهم قارئه المهتم بمكان ولادة الشاعر وزمانها ومكان وفاته وزمانها .. وكذا الحديث عن حياته ونشأته وأسرته .. « فحتى مخطوطة الشيخ عبد الله بن

---

(١) قلت : قد أعاد طباعة هذه المائة والخمسين في عام ١٤١٠هـ وسماها مختارات بدلا من إطلاق اسم ديوان ولم يضف اليها أي جديد اللهم إلا فهرسا للأعلام دون تراجم لهم في المتن ولا في الهامش .. إلا من ندر .

(٢) الأعلام ج٥ ص ١٧٨ .

(٣) مصادر الفكر الإسلامي والعربي في اليمن لعبد الله محمد الحبشي ص ٣٢٠ ط مركز الدراسات اليمنية بصنعاء .

(٤) معجم المؤلفين ج٨ ص ١٠٩ .

عقيل التي اعتمد عليها الأستاذ العقيلي اقتصرت على ذكر نسب ابن هتيمل على غلافها [١] ومثلها مخطوطة معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية [٢] حيث تشيران إلى خزاعيته ومع ذلك وجدناه يلجأ إلى شعر ابن هتيمل يستنتج بعض الاستنتاجات الجيدة وإن لم يتوسع فيها فقد عاد إلى قول ابن هتيمل الآتي ليستنتج منه انتساب ابن هتيمل إلى قبيلة خزاعة :

لست بالمقرف أدلي نسبي   بامرىء القيس وجدِّي دعبل [٣]

وكان بإمكانه الإشارة إلى أن كتب التراجم تشير جلها إلى خزاعيته، كما تؤكد ذلك أغلفة النسخ الخطية لديوانه والتي تثبت خزاعيته أيضاً . كما استنتج تارخ ولادته التقريبي وأنه في مطلع القرن السابع أخذا من قول ابن هتيمل يمدح أحمد بن الحسين المتوفى في الخمسينات من القرن السابع :

أتحبُّ منك الأربعون بكرِّها   فَوْتاً وتطلبُ خلةً من زينبا

كما استنتج من عدم مديحه للأمراء والملوك الذين عاشوا في القرن الثامن أن الشاعر ابن هتيمل قد توفي في أواخر القرن السابع [٤] ..

---

(١) بتصرف عن مقدمة الأستاذ العقيلي التي صدَّر بها ما اختاره من شعر ابن هتيمل انظر ص٦ ط١ .

(٢) الملاحظ أن ناسخ مخطوطة معهد المخطوطات العربية قد وضع أمام اسم ابن هتيمل عام ٦٥٦ وهذا ليس عام ولادته ولا عام وفاته .

(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٨٣ ط١ والمقرف : بفتح الراء في لهجة أهل المنطقة تعني : الذي لا يحسن استعمال الأشياء ، وبكسر الراء في بعض قواميس اللغة : الهجين وفي كتاب جواهر الألفاظ : المقرف : من أمه عربية وأبوه أعجمي ودعبل : ستأتي ترجمته .

(٤) قلت ولقد كان آخر ممدوحيه حسب ما وصلنا من شعره: شريف مكة أبو نمي الأول المتوفي سنة ٧٠١ انظر ج١ ص٤٧٠ من كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للفاسي . واسمه محمد بن أبي سعد كما يقول ابن هتيمل في قصيدته وكما =

واستنتاجات الشيخ العقيلي برغم عدم الدقة فيها إلا أنها تعطي الدارس فرصة للتأمل الواعي عبر شعر ابن هتيمل عن بعض مراحل حياته .

أما أحمد محمد الشامي : فقد جازف في كتابه تأريخ اليمن الفكري فذكر ـ اجتهاداً ـ سنة ولادته وحددها بعد استنتاجات شبيهة باستنتاجات الشيخ العقيلي واستقراء لشعره الذي أشار فيه إلى مجاوزة الأربعين فحدَّدَ سنةَ الولادة بسنة (٦٠٦هـ) كما حدد سنة وفاته بسنة (٦٩٦ أو ٦٩٧) وذلك استقراء لمديحه للأشْرَف بن المظفر الرسولي المتوفي سنة ٦٩٦ . [1] .

قلت وربما كانت عبارة المؤرخ العقيلي أقرب إلى الصواب من تحديدات الشامي الدقيقة دون مستند وثائقي، فإذا كان الشامي قد جزم بأن آخر ممدوحيه هو الملك الأشرف بن المظفر الرسولي المتوفي سنة ٦٩٦ فإننا نجد في ديوان ابن هتيمل شعراً مدح فيه أمير مكة محمد بن أبي سعد المعروف بأبي نمي والمتوفي سنة ٧٠١هـ . فهل نجزم بوفاته فنُحدِّدها بتأريخ وفاة ممدوحه هذا ؛ إن فعلنا ذلك فلربما نجد لابن هتيمل شعرا خارج الديوان يمدح أو يرثي فيه أحد أعلام أو أمراء القرن الثامن وحينئذ فتحديد سنة الوفاة أو الولادة دون مستند وثائقي يبقى محل نظر !! وربما كان الدكتور شوقي ضيف أبعد نجعة حين قال عن ميلاد ابن هتيمل :

(والمظنون أنه ولد في العقد الثاني أو الثالث من القرن السابع) [2]

ورد اسمه في تأريخ مكة للسباعي ص ٢٥٦ يقول ابن هتيمل :

يهنى بني حسنٍ ما سرّ سيّدَهُم ... محمد بن أبي سعدٍ ويهنيه
ولَمَّ شملَهُمُ عزماً فسادتُهُم ... أنصارُهُ ومواليهِم مواليهِ

(١) بتصرف عن كتاب تأريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ج٤ ص ٦٠ ــ ٦٤ وانظر ج٣ من المصدر نفسه ص٢٥٢ .

(٢) تأريخ الأدب العربي (عصر الدول والامارات) ص ١١٤ لشوقي ضيف .

وذلك لأن شعره الذي استقرأ بعضه كل من الشيخ العقيلي والشيخ الشامي يوحي بأن ميلاد ابن هتيمل قد كان في مطلع العقد الأول من القرن السابع .

وبعد : فقد كنت سأكتفي بما ذكره العقيلي وما نقلناه عن أصحاب كتب الأدب وكتب التراجم وما سيجده القاريء في شعر ابن هتيمل عن حياته وشعره لولا ما أثير من لغط حول انتماء ابن هتيمل إلى ضمد والمخلاف السليماني ؛ لذلك سأحاول في الأسطر القليلة القادمة أن أفنِّد شبهة المدعين وأثبت ضمدية الشاعر ابن هتيمل ومخلافيته بما لا يدع مجالا لمدع أو تلفيقا لملفق .. وأوَّلُ براهيني شعر ابن هتيمل نفسه :

فلا شك أن دارس شعره سيجد فيه ملامح بيئة المخلاف واضحة كل الوضوح فالأثل والأراك ، والسرح، والبشام، والشيح، والحوذان، وغيرها من نباتات وأشجار منطقة جازان المعروفة قديما (بالمخلاف السليماني) كلُّ ذلك يُرصِّع جيد قصائده كما أن الألفاظ والصور الشعبية التي يعجُّ بها ديوانه تؤكد ضمديته بصورة خاصة ومخلافيته بصورة أخص إلى جانب توسُّعه في ذكر أسماء مدن المخلاف السليماني وقراه مما لا يدع مجالا للشك في مخلافيته ؛ كذكره لقرىً : البديع [1] والحسيني [2] ..

---

(١) البديع : إحدى قرىً وادي جازان ولازالت عامرة تِعرف بهذا الاسم بل إنها أصبحت تكون مع بلدة القرفي مدينة عصرية تتوفر بها أهم الخدمات في عهدنا السعودي الزاهر وقد وردت في قول ابن هتيمل كثيراً كقوله :

أراني ونِضْوي إنْ ثَنا الأَثْلُ مُعرْضاً ... يَحِنُّ لمأْثُول البَدْيع ويَشْهَقُ

وقوله : أعندكما عن العَلَمَيْنِ عِلمُ ... وعن خِيمَ البَدْيعِ أهُنَّ هُنَّا

وقوله : وعلى يَمَانِيّ البديع وسَفْحِه ... خِيَمٌ سقَاهُنَّ الهَوَىٰ وسقَاهُ

(٢) الحسيني : قرية معروفة تقع شرق بلدة صلهبة الواقعة شرق مدينة صبياء وتبعد عنها مسافة قريبة لا تتجاوز الميلين . وقد وهم العقيلي فذكر في كتابه المعجم الجغرافي =

والـوَاسِطْ(١) .. والعَمِيْـــم (٢) والجُرُوب (٣)، وضَمَد (٤) ، وبَيْش (٥)،

= أن اسم الحسيني يطلق على قبيلة معروفة وليس الأمر كذلك؛ فالحسيني قرية بها عدد من القبائل وقد ورد ذكر قرية الحسيني في شعر ابن هتيمل كثيراً من ذلك قوله :

حرامٌ علىٰ أَيْكِ الحُسَيْنِّي لاهَفَتْ ... ذَوَائِبُـهُ تِيْهـاً وغـنَّتْ حَمائمُـهْ

وقوله أيضاً: إنَّ من دِمْنَة الجُروب إلىٰ أَيْـ ... ـك الحُسَيني إلىٰ شَآميّ دَارِهْ

فتيـةٌ يُطْعِمُـون ناشِئَـةَ اللَّيْـ ... ـلِ ويستغفرُون في أسْحَاره

(١) الوَاسِط : قرية تقع على عدوة وادي ضمد الجنوبيـة ولازالت تعـرف بهذا الاسم وتشترك مع المحلة في تكوين بلدة كبيرة من قرى وادي ضمد وقد وردت كثيراً في شعر ابن هتيمل ومن ذلك قوله :

ما أنصفتك الصحب ليلَةَ وَاسِطٍ ... رَقَـدوا وطـرفُكَ ساهـرٌ لم يَرْقُـدِ

(٢) العَمِيم : قرية من قري ضمد المندثرة . وقد نقل العقيلي في كتابه المعجم الجغرافي ص ٣٠١ عن علامة ضمد في القرن الرابع عشر الشيخ أحمد بن حسن عاكش أن موقعها يعرف في وقته باسم الزبارة الحمراء وأنها تقع بين بلدة خضيرة ومدينـة ضمد . قلت وقد امتد في عصرنا الحاضر إليها العمران كحي من أحيـاء مدينـة ضمد . وقد وردت في شعر ابن هتيمل كثيراً كقوله :

أهـل شيـح العـميم يميس تيها ... ذوائبـه وهـل سقـى الغمـام

(٣) الجُرُوب : إحدى القرىٰ التابعة لبلدة الحسيني المذكورة معها في قول ابن هتيمل السابق :

إنَّ من دِمْنَةِ الجُرُوبِ إلىٰ أَيْكِ الحُسَيني إلىٰ شآمي دَاره

(٤) ضَمَد : مدينة تاريخية عرفت بالعلم والعلماء قديما وحديثاً وتقع على عدوة وادي ضمد الشمالية انظر أخبارها في صفة جزيرة العرب للهمداني وعقود الدر لعاكش والحياة الفكرية لأبي داهش وغيرها ، سميت باسم الوادي وتتبعها قرى كثيرة وقد وردت في شعر ابن هتيمل كثيراً من ذلك قوله :

ياأحمدُ بن عليّ دعـوةَ مُخْـلصٍ ... ناداكَ من ضَمَـد فكـنْتَ مُجيبَـا

(٥) بَيْش : اسم يطلق على واد عظيم من أهم الوديان في منطقة جازان يقوم على ضفافه عدد كبير من القرى والمدن من أهمها مدينة بيش وكانت تعـرف قديما باسم أم =

والدَّرْب[1]، والريَّان [2] ....) الخ .

إلى جانب ذكره لبعض الأماكن والجبال والوديان المشهورة في المخلاف السليماني مثل : حبلي [3] عَكْوَةْ ، والمشقَّرْ [4] ووادي غَوَانْ [5]

الخشب وقد ذكر بيش في شعر ابن هتيمل كقوله مخاطبا ممدوحه :

ولا تَشْتَغِلْ عن مُلْك بيشٍ وخَرْجِهِ بقطعةِ حيَّانٍ وقِطْعةِ طَرْطَرِ

(١) الدَّرْب : اسم تشترك فيه عدة مسميات ومنها بلدة الدرب المعروفة حاليا بدرب بني شعبة . ولعل الشاعر كان يشير إلى درب النجا الواقعة في وادي جازان الأعلى والمندثرة وكانت بها قلاع كثيرة وكانت عاصمة القطبيين وقد وردت في شعر ابن هتيمل ومن ذلك قوله :

فأدجَ من بُروج الدَّرْبِ يَهْوِي إلى السَّلَبيْنِ من أهلٍ ومالِ

(٢) الرَّيَّانُ : قرية من قرى وادي جازان لازالت تعرف بهذا الاسم حتى أيامنا هذه وقد تطور عمرانها في عهدنا السعودي المزدهر وتوفرت بها بعض الخدمات المهمة وأصبحت تضاهي بعض المدن . قال عنها ابن هتيمل :

ياذاكر الرَّيَّانِ كرِّرْ ذكرَهُ عندي فبي ظمأ إلى الرَّيَّانِ

وقال عنها أيضاً :

حدِّثاني بالله ما فعل الرَّمْـ ـلُ العقيقي بعدنا والبانُ

واللِّوى هل هو اللِّوى وهل الـ ـرَّيانُ بعدنا هو الريانُ

(٣) جبلي عكوة : هما جبلان صغيران يقعان شمال شرق مدينة صبياء على بعد بضعة اميال وقد وردت فى قول ابن هتيمل :

إذَا ذُكرَتْ في سفح عَكْوَةَ خيمةٌ شأَىٰ البرقَ سبقاً مَعْجُهَا ووَجِيْفُهَا

(٤) المشقَّر : جبل أو اسم موضع في جهة بَلْغَازِي على ضِفَاف وادي ضَمَد أو من مصاب الوادي وقد وردت في قول ابن هتيمل :

أرِحْنِي فَمَا صدْري برُكْنِ عِمَايَةٍ فأسلو ولا قَلْبي صَفَاةُ المشقَّرِ

(٥) غَوَّانْ : وَادٍ يتفرَّع من وادي قُرَىٰ وكلاهما رافدان من روافد وادي بَيْش وتقع على ضفتيه عدد من القُرَى من أهمها : بلدة المحَلَّة المعروفة بمَحَلَّة بَيْش وقد ورد ذكرها في شعر ابن هتيمل كقوله :

وهمْ اعدَموا أرض السِّحانِ فلتة إلى أن خَلا غوَّانُهَا وغَريفُهَا

ووادي بِلَاج [١] .. ووادي خُلَب [٢] .. وغيرهـــــــــا .. إلى جانب براهين أخرى سأسردها في الفصل الخاص بـ (صلات الشاعر بأمراء وشعراء عصره وإثبات انتمائه للمخلاف السليماني) فكثيراً ما نجد في شعره إشارات إلى أحداث تأريخية ومواقع ومعارك تأريخية وهي مواقع ومعارك أهمل ذكر تفاصيلها المؤرخون للدول والإمارات التي حكمت أصقاع الجزيرة العربية في القرن السابع الهجري ولاسيما في الحجاز والمخلاف السليماني وتهامة اليمن [٣] وإلى جانب هذه البراهين فقد لاحظنا أن جميع من ترجموا له قد أكدوا انتماءه للمخلاف السليماني بما فيهم مؤرخو الأدب اليمني أمثال : أحمد بن أبي الرجال في القرن الحادي عشر [٤] وقبله الخزرجي في القرن الثامن وأوائل التاسع وكذلك يحيى بن الحسين وباخرمة [٥] وسواهم .. **أما الجبرتي فقد أطلق على منطقة المخلاف السليماني وما حولها مسمى (يمن الحجاز) (٦)**

---

(١) بِلَاج : وادٍ صغير يقع جنوب وادي ضمد بالقرب منه :
قال عنه ابن هتميل :
كنتُ أَرْوي من مائِهِ الزَّاخِرِ العذ ... ب فمَنْ لي بِحسْوَةٍ منْ بِلَاج

(٢) وادي خُلَب : وادٍ خصيب يقع بين مدينة صامطة ومدينة أحد المسارحة وعلى ضفافه قرى كثيرة ويَسْقِي أراضي زراعية خصبة ويقع بالقرب منه مصنع اسمنت الجنوب قال عنه ابن هتيمل :
متَىٰ مَا شَارفَتْ خُلبَاً أَنَاخَتْ ... بأَخْصَبِ ساحةٍ ماءً ومَرْعَىٰ

(٣) بتصرف عن كتاب تاريخ اليمن الفكري فى العصر العباسي لأحمد محمد الشامي ج٤ ص٥١؛ وأنت تلاحظ ان المؤرخ الشامي قد سمىٰ المخلاف السليماني باسمه دون تبعية وسمىٰ تهامة اليمن باسمها الخاص بها !!

(٤) المصدر نفسه ص٥٨.

(٥) المصدر نفسه ص٤٨–٤٩.

(٦) المصدر تاريخ عجائب الآثار للتراجم والأخبار جـ٣ ص ٥٩٧و ٦٠٠ و ٦٠٣

ثقافتـــه

يختلـف مفهـوم الثقافـة بين أمـة وأمـة .. كما يختلـــف مدلـــولها بين عصر وعصر وربما تعاظـم أمـر الاختـلاف بين مجتمـع ومجتمـع متعاصريـــن .. ومما لاشك فيـه أن مفهـوم الثقافـة في عصر وبيئـة الشاعـر ابـن هتيمـل يختلـف اختلافـا كليـا عن مفهومـه في عصرنـا وإن التقيـــا في أهميتها وتأثيرهـــا وشدة الحاجة اليها في تكوين شخصية الشاعر ورسم ملامحه ..

فأما عن ثقافة الشاعر فإذا كان البحث عن نشأة الشاعـر وبدايـة تكوينـه الفكري والعلمـي قد أعيـى الأستـاذ العقـيلي وهـو صاحب المخطوطـات النـادرة وربما أعيـى قبلـه صاحب مطلـــع البـــدور [1] فكيـــف لمثلي ممن لم تتهيــــأ لهم فرصة اقتنـاء أكبر قدر ممكـن من المخطوطـات التـي تتحـدث عن تراث المنطقـة الفكـري والأدبي أن يجدوا ما يشفـي الغليـل ؟ إذاً فلا منـاص لنـا من استـقصاء شعر شاعرنا، فعليه نعول في دراسة حياته وفيـه ما يعوضنـا عمـا بخلت به علينـا كتب التراث (فما هي الحصيلة الثقافية التي حازها شاعرنا ؟) .

وحين نقول الحصيلة الثقافية ، فإننا نقصد بثقافة الشاعـر المتعـارف عليـه آنـذاك : إلمامـه بالشريعـة الإسلاميـة واللغـة العربيـة إلى جانب معرفتـه بالتـاريخ الإسلامي وإحاطته بأيام العـرب في الجاهليـة والإسلام ، وقبـل ذلك كلـه وبعـد ذلك كله إحاطته بأحداث عصره وصلاته الأدبية بأمراء وأدباء وشعراء ومثقفـي عصره .

وهذا كله نجد له دويا في شعر شاعرنا يؤكد لنـا أن لابـن هتيمـل شعـرا

---

(١) هذا تعليل لعدم ذكر صاحب مطلع البدور شيئـا عن حياتـه الخاصة مع عنايتـه بشعـره وصلاته بممدوحيه فقط.

أكثر بكثير مما نشر وربما تكون لشاعرنا دراسات ورسائل ومؤلفات نثرية [1] تكمل جوانب شخصيته [2] ولكنها ربما لازالت تنام في أرفف المكتبات العالمية، كجل تراث أمتنا العربية إن لم تكن قد أتت عليها أيدي الإهمال فاندثرت واندرست ضمن مادرس من تراث أمتنا العربية والإسلامية وسوف تتكون لديكم بعد استعراض النماذج التالية فكرة ـ ولو مبسطة ـ عن ثقافة شاعرنا الواسعة ؛ وفي النموذج الآتي يمدح صاحب [3] حلي فيأتي على عصور أدبية مختلفة حين يستعرض الشريط التالي :

إن رُشتَنِي فزهيرُ رَاشَ جناحَهُ — هِرمٌ وريشُ جناحهِ مُتَفَاقِدُ [4]

والخالدُ بنُ يزيد فاضَلهُ أبو — تمام فاحتملَ المَشقَّةَ خالدُ

والبحتريُّ أنالَهُ ابنَا صاعدٍ — مالا يكفِّيه الحساب فصاعدُ

---

(١) وجدت لابن هتيمل شعرا فى مطلع البدور كما أتحفني الأستاذ محمد ناصرالحازمي بقصيدة نقلها عن مختارات عاكش وقد كتبت عليها هذه العبارة : «وللعلامة الأديب القاسم بن علي بن هتيمل..» وتعتبر هذه القصيدة تحفة فنية رائعة ومن شعره فى مطلع البدور غير المطبوع قصيدة فى رثاء الإمام المهدي. وبعضها غير موجود بأي من صورتي مخطوطات الديوان اللتين عولنا عليهما في هذه الدراسة ـ بعد الله ـ.

(٢) وهاهو ذا الأستاذ العقيلي يتحفنا مشكورا برسالة نثرية وشعرية رد بها ابن هتيمل على معاصره محمد بن حِمْيَر الذي سبقت الاشارة الى رسالته ورسالة ابن هتيمل النثرية تؤكد علو كعبه فى النثر أيضاً حيث يقول فيها ابن هتيمل: (وردت ورود العافية على السقيم والثروة على اليتيم والغنى على الفقير والإطلاق على الأسير......) ورسالة ابن حمير إلى ابن هتيمل تؤكد مخلافية ابن هتيمل وتدحض كل ادعاء يخالف ذلك.

(٣) أمير حلي آنذاك هو أحمد بن علي الكناني الحرامي العقيلي وقد سبقت الإشارة إليه.

(٤) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٦٩.

وعمـــارةُ الحدقُّـــــي قامَ بحالـــــهِ   في مصرَ من ولـد الحسين العـــاضِدُ
ولقـــد علـــمتَ براشِدِ بنِ مظفـــرٍ   ما كان يصنَعُ لابـــنِ حِمْيـــرَ رَاشِدُ

فنـراه قد أتى على عصور أدبيـة مختلفـة من جاهليـة إلى إسلاميـة فأمويـــة فعباسيـة فأيوبيـة ورسوليـة معـاصرة له .. ذاكـراً علاقـة شعـراء تلك الـــعصور بأحداث أمتهم وعلاقاتهم بأمراء تلك الأيام .

وفي شعره تلميح بأيام العرب مما يؤكـد ما قلنـاه عن إلمامـه بتـاريخ الأمـة العربية والإسلامية . ولعلنا ندرك حذقه التام بأيام العـرب في الجاهليـة والإسلام حين ننصت إليه وهو يمدح القاسم بن علي الذروي (١) مشيداً ببعض أيامه :

---

(١) القاسم بن علي الذروي ممدوح الشاعـر ابـن هتيمـل هو :القـاسم بن علي بن محمـد بن غانم بن ذروة ـأحـد أمـراء المخلاف السليمـاني فى القـرن السابـع الهجـــري البارزيـــن وقبيلته الذروات حكـمت وادي صبيـا والمخلاف وماجـاوره وأتى بعدهـم الخواجيـون. وقد كانت له مواقـف من عمـال الدولـة الرسوليـة التـي حكـمت اليمن بعـد الأيوبـيين والتـي كانت تحاول بسط نفوذهـا على منطقـة المخلاف السليمـاني بل تتعداهـا أحيانـــاً إلى مكة المكرمة وقد نشبت بينه وبين الرسوليين عدة معارك سجل بعضها ابن هتيمل فى شعـره كمعركـة بيش التـي انـتصر فيها الـذروي وواصل زحفـه حتـى استـولى على حرض مما اضطرهـم إلى تجييش الجيـوش التـــى انتهت بأسره فى سجـــن تعـــز حيث تعنت فيـه الحاكم الرسولي على الـذروي وشفعائـــه حتـــى قال الـــذروي قصيدتـــه المشهورة ذات المطلع :

من لصَبٍّ هاجَـــــهُ نَشْرُ الصَّبَـــــا   لم يَزِدْهُ البَيْـــــنُ إلا نَصَبَـــــــا

تنظـر التـــرجمة في ورقـــة ٦ من مخطوطـــة الديبـــاج الخسرواني .. وورقـــة ٢٤ من مخطوطـة الجواهـر اللطـاف والجزء الثـالث من مخطوطـة مطلـع البـدور ومجمـع البحـور وتنظر ص ٤ من مقدمة الأستاذ العقيلي للجزء المطبوع من ديوان ابـن هتيمـل، وتنظـر الصفحات ٨٥ ــ ٨٨ من كتاب (تاريخ الفكر في العصر العباسي) لأحمد الشامي.

كان يوم الجروب أشنـــع من كِسْـ ـرَةِ كسرى والفـرس[1] في ذي قاره

كما ندركه في قوله الذي خاطب فيه الذروي أيضاً :

حرضا حزتـــه وأوقـــدت بالـــــرا حة بعـــــــــــــد المعين .. خزازا

وفي قوله أيضاً :

وحامتْ على الأحساب بكرٌ وتغلبٌ إلى أنْ تفانَتْ صيدُ بكـرٍ وتغلبِ [2]

كما نلمس ذلك في مثل قوله أيضاً :

ولـو طُلـــبَتْ بحكـــمِ الحربِ عادتْ بحربٍ دونهَـــا حربُ الْفِجَـــارِ [3]

وفي قوله أيضاً :

فالجهلُ أهـلَكَ قومَ موسىٰ إذْ دعَـــواْ بالجهـلِ عجـلَ السامــريِّ إلٰهَـــا[4]

وفي قوله :

مضى زهيـــرٌ ومولـــىٰ رقّـــــه هَرِمٌ إنّـــي وأنْتَ علـــيٌّ والطِّرمَّـــاح [5]

فهو كما رأينـا يشير إلى أحـداث ومعـارك وأيـام وغـزوات لا يقـتصر فيها على عصر معين وإنما تشمـل عصور الجاهليـــة والإسلام .. وحتـــى الخيـــول العربية التي وقـعت بسببها الأيـام والحروب الطاحنـة يذكرهـا شاعرنـا ويسجـل بعض ملامح تلك الخيول الشهيرة وذلك حين يصف حصان ممدوحه :

---

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص ٦١ .
(٢) المصدر السابق ص ٦٥ .
(٣) المصدر نفسه ص ١٦٤ .
(٤) الجزء المطبوع من الديوان ص ٨٨ .
(٥) مخطوطة الديوان ورقة بدون ترقيم .
(٦) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٣٧ .

فيه شكـــلٌ من الوَجيـــهِ ومـــن لاَ حِقَ في خَطْـــرِهِ وفي خَطَّـــارِه [1]

ويستعرض أحيانا أسماء المشهور منها في مثل قوله :

فمـــا الثَّـــادقُ والزائـــــــدُ والـــداحسُ والأعْـــوَجْ [2]

أما عن إلمام شاعرنا بالتاريخ الإسلامي فقد اخترنا بعض النماذج التي تؤكد هذه الحقيقة أبلغ تأكيد من ذلك قوله مادحا رسولنا الكريم محمداً ﷺ :

أسْرىٰ به اللَّـــهُ إسراءً وكلَّمَـــهُ مِنْ قَاب قَوسينِ أوْ أَدنىٰ بإصْرارَ [3]

وأمَّ مَنْ أمَّ من صفِّ الملائكـــةِ الـــأبـــرارِ فاعْـــجَبْ على برٍّ وأبْـــرار

عَزَّتْ به العربُ العربــاءُ إذْ نُصِرَتْ على جموع لِكسْرىٰ يومَ ذي قَارِ

ويـــوم بدر أمدَّتـــهُ ملائكـــةٌ في جحفلٍ كبياضِ الصبـــح جرَّار

وفي البُراقَ وفي ظلّ الغَمامةِ والـــمعـــراج نصٌّ أحـــاديثٍ وأخبَـــارِ

ويقول مواسياً أحد ممدوحيه :

أمـــا تتـــأسَّىٰ في حنيـــنٍ وخيبـــرٍ وأُحـدٍ بأصحاب النبِّي وبالنبـــي [4]

وكقوله أيضاً مخاطباً أحد ممدوحيه، الـــذي كان قد كرمـــه وفخَّـــم مقداره : [5]

جُعـــلتُ فداكَ إذْ فَخَّـــمْتَ قدري على أهـــل الرِّيـــاسة والفَخَامـــة

فقـــد ولَّـــىٰ النبـــيُّ على قريشٍ وأمـــرَّ دونَ سادتهم أسامَـــة

---

(١) المصدر نفسه ص ٦١ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٣ والوجيه والرحق .. والشادق والزائد وداحس والأعوج اسماء خيول عربية مشهورة .

(٣) المصدر السباق ص ٦٣ .

(٤) المصدر السابق ص ١٦٣ .

(٥) المصدر السابق ص ١٥٧ ، وأسامة بن زيد في البيت الثاني رضي الله عنـه أحـد الشباب الذين أعدهم الإسلام للقيادة الناجحة .

ويقول في بعض مدائحه واصفا بعض معارك ممدوحه: (١)

هي كالفجار الصعب أو كحُنين أو كالشعِّب .. أو ذي قارِ

فهو كما رأينا يشير إلى أحداث إسلامية وإلى بعض غزوات الرسول الكريم عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم مما يؤكد اطلاع شاعرنا الواسع على ماضي أمته وحاضرها .

وهو أحيانا لا يكتفي بالإشارة التاريخية بل نجده يعرج على القصص القرآني من أمثال قوله :

غير بدْعٍ أنْ أخلَدَتْ فرقُ الكفـــر إلى زُخرفِ الحياة اغترَارًا (٢)

قومُ موسىٰ من بعده اتَّخذوا العجـــلَ إلهاً واستعجلوهُ خُواراً

وأصمُّوا الآذانَ عن نهي هرونَ وضلتْ عن دين عيسىٰ النصارىٰ

ودعا نوح قومَ نوحٍ جهاراً (فأصرُّوا واستكبرُوا استكبارًا) (٣)

وبِمَا أسرفوا فلن يَذَرَ اللَّهُ علىٰ الأرض منهُمُ ديّارًا

وكقوله واصفا جيش أحد ممدوحيه :

وتحسب ذا القرنينِ صبَّ عليهِمُ طِلَا الرُّومِ أو دَاود قَدَّرَ في السَّرْدِ(٤)

(١) المصدر نفسه ص ٦١ .

(٢) المصدر السابق ص ٤٣ والوجبه والرحق .. والشادق والزائد وداحس والأعوج اسماء خيول عربية مشهورة .

(٣) المصدر السباق ص ٦٣ .

(٤) المصدر السابق ص ١٦٣ .

(٥) المصدر السابق ص ١٥٧ ، وأسامة بن زيد في البيت الثاني رضي الله عنه أحد الشباب الذين أعدهم الإسلام للقيادة الناجحة .

وكقوله :

ولـــو قُمْتَ تأمُرُهُـــمْ بالصلاةِ وقامـوا إليها لقامُـوا كُسالَـــى [1]
ولـو خَرجُـوا فيكُـمُ للقتـــالِ لما زادَكُـــمْ ذاكَ إلاَّ خَبَـــالَا

وكقوله :

أَحْيَـا التبابـعَ والأذواء فاشتملـتْ بالعدلِ دولةُ قحطانٍ على مُضَرِ [2]
وَجَالَ في الأرض حتَّى قالَ ساكنُهَا هذا خليفةُ ذي القرنينِ والخضرِ

وكقوله مشيراً إلى قصة بلقيس مع نبي الله سليمان عليه وعلى نبينا أزكى الصلاة وأتم التسليم :

فَبلقيسُ لم تؤمنْ بآياتِ ربِّهـــا ولا أَسلَمَتْ لولا سليمانُ والصرحُ [3]

ولعلنا نشرف من بعد على المستوى الثقافي الـذي بلغـه في علوم الشريعة واللغة العربية حين نسمعه يشير إلى علمين من أعلام الشريعة واللغة هما الإمام أبو حنيفة إمام الفقه المشهور والعلامة الخليل بن أحمد الفراهيدي إمام اللغة المشهور ، لعلنا نشرف على مستوى ثقافة شاعرنا حين نسمعه يقول :

فرأينـا أبـا حنيفـــة في الحُجَّـــ ـــة والدين والخليل احتجاجاً [4]

وفي قوله مشيراً إلى الحديث الشريف : (مطلُ الغَنيِّ ظُلْم) :

---

(١) يشير في البيت الأول إلى قوله تعالى : ﴿وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾ سورة النساء آية رقم ١٤٢ .
ويشير في البيت التالي إلى قوله تعالى : ﴿لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالا﴾ سورة التوبة آية ٤٧ .

(٢) مخطوطة الديوان دون ترقيم للصفحات .

(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٣٩ .

(٤) المصدر السابق ص ١٠٩ .

أنتَ مَلِــيءٌ فكيــف تَمْطلُنِــي ما أشبه العسرَ منكَ باليسرِ [1]

وكقوله :

وقلْ هلْ كانَ ذاكَ القلبُ بيعاً بأغلىٰ نظرةٍ أمْ كان رَهْنَــا [2]

بل ربما أدركنا إلمامه بأيام العرب وبأعلام العرب في مثــل قوله :

وليسَ أغْلَىٰ ولا أسمىٰ وأشْرَفَ مِنْ جارِ السّموْ أَلِ إلاَّ جارُ سلطانِ [3]
ما الأسود بن قنان؟ أو معاويــةٌ وما المعلَّىٰ؟ وما حصنٌ وما هاني؟
ومــا حمامُ وهمَّــامُ بن مُرَّةَ؟؟أو جَسَّاسُ وائل؟ أوذُهْلُ بن شَيبان؟

وفي مثل قوله أيضاً :

لا تَكْرهي ليَ سعياً أستفيدُ به زيــادةً وكمالاً بعــد نُقصان [4]
فإنَّ إتْيانَ نارِ الطورِ أظهـــرَ بُرْ هَانَ النبوَّةِ في مُوسىٰ بن عمرانِ
وصار مُسْتَعْدياً سيف بنَ ذي يَزَنٍ فَرَدَّ كسرىٰ عليه ملكَ غَمْدانِ
وابن المهلَّب أبْلــىٰ في تطلُّبــه حتى استقــامَ أميرا في خُراسان
وشَارفَتْ فارسٌ ملكَ الخلائقَ بالـ فضلِ بن يحيى وبالفتح بن خاقانِ

وفي قوله مادحاً :

مُذْقامَ ما فخرَتْ بحَاتِـمَ طَيِّــىءٌ كرما ولا شَرُفَتْ بحاجبَ خِنْدَفُ [5]

---

(١) مخطوطة الديوان، نسخة مصورة عن نسخة معهد المخطوطات العربية .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدرنفسه . وأوس بن حجر وقيس بن عاصم وقس بن ساعدة وهرم بن سنان — وعنترة بن شداد والأحنف بن قيس أعلام عربية مشهورة ومثلهم حاتم الطائي وحاجب بن زرارة في البيت الأول .

مَنْ أوسُ؟ مَنْ قيسٌ؟ ومن قسٌّ ومـن هرِمُ الجواد؟ وعنتــرٌ والأحنـــفُ؟؟

وفي قوله :

ولـــــولَا جُودُ كفِّك للبَرايـــــا لقـــامَ عليهِـــمُ عامُ الرَّمـــــادَةْ[1]

وندرك إلمام شاعرنا بمفردات اللغة العربيـة وقواعدهـا حين نسمعـه يشبـه فعل ممدوحـه في الأعـداء وتـأثيره فيهم بفعـل أداة الجزم حين تدخـل على الفعـل المضارع وذلك في قوله :

أمضَيْتَ فِعْـلكَ في البُغَـاةِ ولم يكُـــنْ فِعْـلاً فتجزمَـهُ الحروفُ مُضارِعـــاً[2]

كما نلمس إحاطته بقواعد اللغة العربية في مثل قوله مادحا :

إنْ طَاوَلُـــوكَ لغايـــــة بَعُـــدَتْ عَنْهُـــمْ فلـيسَ الفعـــلُ كالإسم[3]

أو أَحْدَثُـــــــوا فِعْـــــــلاً برأيهمُ مُستَقْبَـــــلاً فابــــدأهُ بالجَــــزْمِ

وحتى علم الفرائض نجد شاعرنا يشير إلى أحد أبوابه فيقول :

فلا تُطمـع السادات فيمَـــا ورثتَـــهُ فكمْ طَمع في الإرثِ أسقَطَهُ الحجْبُ[4]

بل إننا نجد شاعرنا لا يغفل علم الكـلام فيـأتي ببـعض مصطلحاتـه حيث نسمعه يقول :

عوضت من خير قومـي شر أعْـوَاضِ ومـــن قروم أبي بكـــر بأخفـــاضِ

ومـن جواهـر قومـــي بالجواهـــر في في علم الكلام وأجسام بأعـراض [5]

وعسى أن يكون في هذا القـدر من النماذج التـي ترسم صورة لسعـة أفـق شاعرنا وثقافته الواسعة ما يكفينا عناء البـحث في مصادر الأدب لفتـرة ران على

---

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٢٦ .

(٢) مخطوطة الديوان .

(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٣٢ .

(٤) مخطوطة الديوان .

جل تراثها الإهمال فحرمنا بسببه ثروة لا نستطيع تعويضها إلا في أمثال شعر ابن هتيمل الذي يعتبر بحق سجلا حافلا نجد فيه ملامح من حياته الخاصة والعامة كما نجد فيه تسجيلا حياً لأحداث عصره المحلية ربما يعوضنا عن بعض الحرمان .

إثبات انتمائه للمخلاف السليماني

غير كثير على شاعر كبير كابن هتيمل أن يطوِّف في الآفاق ناثراً درره هنا وهناك باحثاً عن المجد والشهرة والمال فقد كانت لابن هتيمل علائق وُدٍّ موصولة بأمراء عصره في نصف الجزيرة العربية ؛ كأمراء مكة، وأمراء حلي، وأمراء المخلاف السليماني، وأمراء ظفار، وكان يمدح أولئك الأمراء وأقاربهم وولاتهم وعمالهم .. ولعل من وهموا فنسبوه إلى غير المخلاف السليماني قد وقعوا في هذا الوهم بسبب صلات الشاعر المتينة بالرسوليين الذين حكموا اليمن بعد الأيوبيين وربما بسبب صلاته بأئمة جبال اليمن أمثال أحمد بن الحسين [1] صاحب ذيبين وفاتهم أن ابن هتيمل شاعر جوال يتكسب بشعره ويسعى إلى عواصم الإمارات بحثاً عن الشهرة والمجد والمال فلقد اتصل بأمراء اليمنيين وأمراء ظفار وأمراء حلى وأمراء مكة، وأمراء المخلاف السليماني وكانت له مع كل واحد منهم علائق مودة موصولة ، وله في كل واحد منهم قصائد مديح مشهورة ، وفي ديوانه تأكيد هذه الحقيقة . وإذا ما أنعمنا النظر فإننا سوف نجد في شعر ابن هتيمل تسجيلا لبعض الأحداث التي عاصرها في المخلاف السليماني مما يمد الدارس بوثائق

(١) **أحمد بن الحسين بن القاسم بن عبد الله بن القاسم . كان أعلم أهل زمانه أجمع على إمامته أهل مذهبه ، اشتهر بصاحب ذيبين وهو أحد أئمة اليمن الأعلى قال عنه الخزرجي في العقود اللؤلؤية ج١ ص١٢٥ إنه من أمثل أئمة الزيدية المتأخرين علماً وعملا وجوداً وكرماً قتل سنة ٦٥٦ ويقال: إنه قتل في اليوم الذي قتل فيه آخر خلفاء بني العباس (المستعصم) .. كان ابن الحسين صاحب شجاعة نادرة أعجب به ابن هتيمل ومدحه بغرر قصائده .. وحين قتل رثاه بجيد شعره .. انظر ترجمته في كتاب : بلوغ المرام في شرح مسك الختام فيمن تولى ملك اليمن من ملك وإمام للقاضي العرشي ص ٤٨ .**

تاريخية تؤكد أنه من أبناء منطقة جازان المعروفة سابقاً بالمخلاف السليماني والممتدة من شرجة حرض المندثرة الواقعة في حدود المملكة مع اليمن حالياً إلى بلدة حلي بن يعقوب شمالاً ومن البحر الأحمر غرباً إلى سفوح جبال عسير شرقاً، يقول ابن هتيمل مؤكداً مخلافيته بصورة عامة وضمديته بصورة أخص مخاطباً أمير حَلِي [١] :

يا أحمدَ بن علي دعوةَ مُخلِصٍ ... ناداك من ضمد فكنت مجيبا
أَغْنيتَني وكَفَيْتَنِي في بَلْدة ... كنتُ الغريبَ بها ولستُ غريبَا

وينسبه المؤرخ اليمني أحمد بن أبي [٢] الرجال صاحب كتاب مطلع البدور ومجمع البحور إلى بلدة ضمد فيقول : القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي [٣] ثم يتحدث بعد ذلك عن بلدة الشاعر ضمد فيصف مكانتها العلمية بكلام تناقلته عنه كتب الأدب [٤] . ويؤكد الشاعر اليمني الآنسي [٥]

---

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٦٢ ط٢ وأحمد بن علي الذي يهتف به الشاعر هو أحمد بن علي العقيلي الحرامي أمير حلي وأحد زعماء قبيلة كنانة بحلي مدحه ابن هتيمل بغرر له واسرته الحراميون يتوراثون إمارة حلي منذ مطلع القرن الخامس الهجري حين استولى على مدينة حلي رجل من بني حرام كما يقول الفاسي — العقد الثمين ج٤ .

(٢) أحمد بن أبي الرجال : هو أحمد بن صالح بن أبي الرجال مؤلف كتاب مطلع البدور ومجمع البحور ولد سنة ١٠٢٩هـ وقيل سنة ١٠٠٧ ببلاد الشرف في اليمن وتوفى سنة ١٠٩٢ له نظم ونثر جيد ذكر بعض شعره في تراجم بعض شيوخه ومعاصريه أثناء ترجمته لهم في كتابه المشار إليه انظر ج١ ص ٥٩ — ٦١ من البدر الطالع للشوكاني .

(٣) مطلع البدور ومجمع البحور نسخة خطية غير مرقمة الصفحات .

(٤) تناقلت عنه كتب الأدب قوله :(مما اشتهر على الألسن أن ضمد لا تخلو من أديب بليغ أو عالم محقق) مطلع البدور مخطوط .

(٥) عبد الرحمن بن يحيى الأنسي الصنعاني ولد سنة ١١٦٨ بصنعاء وتوفى سنة
=

الذي مدح أمير المخلاف السليماني في القرن الثالث عشر الشريف حمود أبا مسمار يؤكد في قصيدته على مخلافية ابن هتيمل حيث يقول واصفاً روعة قصيدته :

تضاهي قديما رقة ابن هتيمل على شرفا المخلاف منه برود [1]

وينقل الأستاذ العقيلي في تعليقه على ما اختار من شعر ابن هتيمل ما ذكره عاكش في كتابه الذهب المسبوك فيقول :(ضمد القديم : بموضع قرية مختارة التي بنى فيها الوزير الحسن بن خالد الحازمي قلعته وهو الذي أسماها بهذا الاسمَ وكان فيما مضى يسمى نجران وبه كان الشاعر المشهور القاسم ابن هتيمل وغيره من العلماء) [2].

= ١٢٥٠هـ ولي القضاء في عدد من بلدان جهات اليمن شاعر مجيد له مطارحات مع علماء وشعراء وقته ومنهم العلامة محمد بن علي الشوكاني انظر ج١ ص٣٤٠ ـ ٣٥٢ من البدر الطالع للشوكاني .

(١) هكذا ورد هذا البيت في مقدمة الجزء المطبوع من الديوان ص ٩ ط٢ وقد وجدته في نيل الوطر لزبارة على النحو الآتي وذلك ضمن قصيدة الأديب العلامة عبد الرحمن الآنسي في مدح الشريف حمود بن محمد الحسني أمير المخلاف السليماني في النصف الأول من القرن الثالث عشر التي يقول في مطلعها :

لعمرك ماالليث الذي هوّلوا به ولكنما الليث المصور حمود

وقد جاء البيت المشار إليه في نيل الوطر على النحو الاتي :

يعفى قديما رقة ابن هتيمل إلى شرفا المخلاف منه جديد

انظر ص ٤١١ ج١ من نيل الوطر لمحمد زبارة ط المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٣٤٨هـ .

(٢) الجزء المطبوع من ديوان ابن هتيمل اختيار وتعليق محمد أحمد العقيلي ص ١٧٣ وتنظر مخطوطة الديباج الخسرواني للحسن بن أحمد عاكش ورقة ٨٢.

وهاهو معاصر ابن هتيمل شاعر اليمن في القرن السابع محمد بن حمير المولود بوادي سهام في تهامة اليمن يوجه لابن هتيمل رسالة نثرية وشعرية يثبت فيها اختلاف موطنيهما بل تؤكد الرسالة يمنية ابن حمير وشآمية ابن هتيمل ومخلافيته وضمديته حيث يقول ابن حمير في مقطوعاته الشعرية الثلاث الممزوجة برسالته النثرية التي وجهها لمعاصره ابن هتيمل : [1]

إنْ سَعَتْ بيننا صُرُوفُ الليالي | أو تَنَاءَتْ منَّا ومنكَ الخِيامُ
أو رمَىٰ البينُ سَهْمَهُ فَحوَتْنِي | يَمَنٌ واحْتَوتْكَ عنّي شَآمُ
فودادي ذَاكَ الودادُ، وَوَجْدي | ذلك الوجد، والغرامُ الغرامُ

إلى أن يقول :

ضَمَدٌ مذْ حَلَلْتَ فيه عليهِ | حرجٌ أن يحلَّ فيه الملامُ
فَسقَتْ بلدةٌ حوتْكَ الغَوَادِي | ولكَ العزُّ دائماً والدوامُ

ويقول في المقطوعة الثانية :

ولمَّا حَوتْكَ الشامُ عنِّي وأيْمنَتْ | بلادي وهذا الدهرُ أجور حاكمِ [2]

ويقول في المقطوعة الثالثة :

فإنَّما الجَهلُ غَطَّىٰ كلَّ مثلبةٍ | وشاعرُ الشامِ يَرْعَىٰ شاعرَ اليمنِ [3]

وفي هذه المقطوعات الثلاث كما رأينا يقرر ابن حمير أنه يمني حوته بلاده اليمن وأن ابن هتيمل شآمي حوته بلاده ضمد بالمخلاف السليماني — كما في المقطوعة الأولى .. وابن حمير أيمنت به بلاده اليمن في حين

(١) بتصرف عن كتاب التاريخ الأدبي لمنطقة جازان للأستاذ محمد أحمد العقيلي مخطوط الورقات ١٤١ — ١٤٥. أنظر ص ٥٣ — ٥٨ من كتاب تأريخ اليمن الفكري في العصر العباسي .

(٢) المصدر السابق الورقة ١٤٢ .

(٣) المصدر السابق ورقة ١٤٤ .

احتوت الشام ابنها البار ابن هتيمل الضمدي كما يفهم من البيت الذي اخترناه من المقطوعة الثانية، وشاعر الشام ابن هتيمل يرعى ابن حمير شاعر اليمن كما في البيت الأخير.. وإذا فليس بعد شهادة ابن حمير اليمني هذه — وهو المعاصر لابن هتيمل — أي مجال لادعاءات المدعين كيف لا وقد شهد شاهد من أهل اليمن المعاصرين للشاعر !!

كما أننا نجد علاَّمة اليمن ومؤرخها في القرن الثالث عشر الإمام محمد بن علي الشوكاني يؤكد ما قرره ابن حمير من شآمية المنطقة التي احتضنت ابن هتيمل فيذكر أحداثاً وقعت في عصره بالمخلاف السليماني — تلك المنطقة الممتدة من بلدة الشرجة المندثرة الواقعة جنوب بلدة الموسم إلى بلدة حلي في الشمال، فيسمى الشوكاني هذه المنطقة تارة باسمها التأريخي (المخلاف السليماني) وتارة يطلق عليها اسم الأراضي العريشية [1] نسبة إلى عاصمتها الإدارية في ذلك العصر حيث كان الشريف حمود أبو مسمار الحاكم من قبل آل سعود آنذاك يتخذ مدينة أبو عريش عاصمة لحكمه . وهذا صاحب كتاب (نيل المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام) القاضي حسين بن أحمد العريشي اليمني يقول في ص ١٠٩ وهو يصف وصول السيد أحمد بن ادريس في القرن الثالث عشر إلى مكة المكرمة والتفاف طلاب العلم حوله : (ثم وصل السيد أحمد بن إدريس إلى الحجاز واشتهر هنالك بالعلم والفضل وعكف عليه جمع من الطلبة من جهات شتى فمنهم من تهامة شمالى اليمن ومنهم من أبي عريش وآخرون من صبياء وكثيرون من عسير) [2] .. فنجد العرشي قد أوضح تهامة اليمن الواقعة شمالي اليمن ولم يجعل منها كما رأينا أبو عريش ولا صبيا ولا ادعى سواهما، مثله

(١) انظر البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع لمحمد بن علي الشوكاني ج٢ ص ٢٩٧ .

(٢) نيل المرام في شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام :

مثل الشوكاني [1] والواسعي [2] وجلّ مؤرخي اليمن البعيدين عن الهوىٰ .

بل إننا نجد مؤرخ اليمن في القرن الثامن وأوائل القرن التاسع العلامة علي بن الحسن الخزرجي المتوفي ٨١٢ [3] يذكر ابن هتيمل في كتابه في مواضع متعددة ويصرح بأنه شاعر المخلاف السليماني حيث يقول عنه : (القاسم بن علي بن هتيمل شاعر المخلاف السليماني رحمه الله وكان فصيحاً حسن الشعر مداحاً) [4] .

ومن هذه المصادر وسواها استقى الدكتور شوقي ضيف معلوماته عن الشاعر حين قرر قوله : (القاسم بن علي بن هتيمل هو من نجران بوادي ضَمَد في المخلاف السليماني وبها نشأ) [5] .

وإذاً فلا مجال لادعاء يمنية ابن هتيمل إلا إذا كان ذلك من قبيل قول شاعرهم الذي بالغ في مدح الملك الأشرف أحد ملوك الدولة الرسولية في اليمن وقد احتفل بتطهير أبنائه وحشد لذلك حفلا حافلا فقال الخزرجي مبالغاً كعادة الشعراء :

هبَّ النسيمُ معنبرَ النَّفَحَاتِ　　وشدا الحمامُ بأطْيبِ النغمَاتِ [6]
وتَضَوَّعَ اليَمَنُ الخصيبُ بأسْرِهِ　　بالطِّيب من عَدَنٍ إلىٰ عَرَفَاتِ

= تأليف القاضي حسين بن أحمد العرشي حققه وذيله عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة العلامة انستاس الكرملي ص ١٠٩ .

(١) تنظر الصفحات ٢٩٧ وما بعدها من كتاب البدر الطالع ج٢ للشوكاني .

(٢) انظر ص ١٢٥ من كتاب العلامة اليمنى عبد الواسع الواسعي المسمى (تاريخ اليمن أو فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ اليمن).

(٣) انظر ملحق البدر الطالع للعلامة محمد محمد زبارة ص ١٦١ .

(٤) العقود اللؤلؤية فى تاريخ الدولة الرسولية للخزرجي ج١ ص٢٨٠.

(٥) عصر الدول والإمارات للدكتور شوقي ضيف ص٢١٤

(٦) العقود اللؤلؤية ج١ ص٢٣٦

وإلا إذا كان ذلك من باب إطلاق الاتجاه ؛ على أن الجهة الواقعة شمال مكة المكرمة تسمى شاما والجهة الواقعة جنوبها تسمى يمنا أخذاً من قولهم : (هذيل الشام وهذيل اليمن وهما حول مكة !!) وهذه وتلك ادعاءات يعوزها الدليل الواقعي المستمد من عرصات التاريخ .. وعلى أية حال فابن هتيمل الضمدي المخلافي شاعر الأمة العربية .. ولكن الواقع التاريخي يؤكد بأن ضمد بالمخلاف السليماني (منطقة جازان) هي التي أنجبته كما أنجبت كثيرين من أمثاله على مرّ الأيام . وربما (قطعت جهيزة قول كل خطيب) ؛ فها هو ابن هتيمل يؤكد انتماءه للمخلاف السليماني بنفسه حيث يقول :

إنْ ضاقَ بي وطني المِخْلَافُ واهتضمَتْ   أُهلُوْهُ حقي ففي الآفاق متَّسَعُ(1)

وبعد : فمن هو ابن هتيمل هذا ؟ وما هي ثقافته ؟ وما أغراض شعره وما هو منهجه الشعري ؟ وما هي الصورة التي يمكن أن نكونها عن حياته وعصره ؟

كل هذه التساؤلات لا نجد لها جوابا شافياً إلا في ثنايا شعره المطبوع أو المخطوط، ولا شيء يجيبنا عنها سواه .. بعد أن أجفلت كتب التاريخ الأدبي وكتب التراجم عن ذكر شيء يبدد ظنون السؤال اللاهث .

---

(1) عن صورة مخطوطة ديوان ابن هتيمل المأخوذة عن مخطوطة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة التابع لجامعة الدول العربية رقم الميكروفيلم ٣٠٤٩ والمخطوطة غير مرقمة الصفحات والبيتان من قصيدة مدح بها الأمير وهاس صاحب باغتة ومطلعها:

قف بالخيام صدور العيس يانسع   على مصيف بمغناها ومتسع

الباب الثاني

شعر ابن هتيمل

١ــ وصف النسخة المصورة عن نسخة معهد المخطوطات العربية ، أحد مصادر هذه الدراسة ــ تاريخ النسخ ــ نوع الخط ــ عدد أسطر كل صفحة ــ عدد القصائد .. عدد الأبيات .

٢ــ وصف النسخة المصورة عن نسخة جامعة الملك عبد العزيز ــ نوع الخط ــ عدد أسطر كل صفحة ــ عدد قصائدها ــ عدد أبياتها ــ الفارق العددي بين أبياتها وأبيات نسخة معهد المخطوطات العربية .

٣ــ الجزء المطبوع من الديوان ، طريقة محققه .. عدد قصائده .

٤ــ نظرات في شعر ابن هتيمل :

أ) منهج ابن هتيمل الشعري .

ب) الصورة في شعره .

ج) أغراض شعره .

د) الألفاظ والصور الشعبية في شعره .

هـ) أثر البيئة في شعره .

و) «نجد» في شعر اب هتيمل .

ز) الشيب في شعره .

ح) الشكوى والتشاؤم في شعره .

ط) الحِكَم والأمْثال في شعره .

وصف النسختين الخطيتين اللتين اعتمدناهما في الدراسة واختيار النماذج

لديوان ابن هتيمل نسخ مخطوطة متفرقة إحداها لدى الشيخ عبد الله ابن عقيل [1] في الرياض وأخرى بالهند وثالثة باليمن ورابعة بالمكتبة الوطنية بسلطنة عمان وخاسة بمكتبة جامعة الملك عبد العزيز بجدة[2] وقد تهيأ للباحث الحصول على صورة نسختين منها، هما : مخطوطة جامعة الملك عبد العزيز بجدة التي تحمل الرقم ١٩٥ ومختومة بختم مكتبة الجامعة وهذه المخطوطة صورها لنا مشكوراً الأستاذ علي محمد أبو زيد الحازمي [3] . ونسخة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة المصورة عن مخطوطة صنعاء باليمن . ورقم الميكروفيلم في معهد المخطوطات ٣٠٤٩ وهذه النسخة تم

(١) الشيخ عبد الله بن عقيل : أحد علماء نجد المعاصرين وأحد القضاة المشهورين آخر الأعمال التي شغلها حتى عام ١٤٠٥هـ منصب سكرتير مجلس القضاء الأعلى بالرياض له اهتمام بجمع المخطوطات والكتب التراثية ولديه مكتبة عامرة بشتى فنون العلم والمعرفة وفقه الله .

(٢) وهناك نسخة سادسة حصل عليها الباحث مؤخراً وهي مأخوذة عن مكتبة : عبد الله محمد الوريث بذمار باليمن وأولها : (قال العبد المقر بذنبه الراجي رحمة ربه القاسم بن علي بن هتيمل عفا الله عنه : سألني بعض السادة أن أجمع شيئاً مما سمح به الخاطر فأقدمت على ما يقدم عليه العاقل . وآخرها مبتور ينتهي بقصيدة رثاء في ولده سلطان) .

(٣) علي محمد أبو زيد الحازمي : أحد علماء مدينة ضمد بجيزان المعاصرين يعمل مدرساً بالمعهد العلمي بضَمَد أصدر بعض الرسائل والبحوث المحققة أهمها : رسالة الجهر بالبسملة والإسرار في الصلاة الجهرية للعلامة الوزير الحسن بن خالد الحازمي ورسالة بعنوان المسائل التي الاختلاف فيها من الاختلاف المباح للبهكلي وقد صدرتا عن نادي جازان الأدبي .. ولديه أعمال محققة أخرى مخطوطة .

الحصول عليها عن طريق الجهد الشخصي للباحث حيث صورت بعناية في القاهرة . وفي الأسطر التالية سنحاول وصف هاتين النسختين :

١ ــ وصف نسخة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة :

تاريخ النسخ ١٠٦٧هـ وخطها نسخي حسن كتبت بصنعاء، ورتبت صفحاتها وأسطرها ترتيباً رائعاً من غير ترقيم للصفحات .

وعدد الأوراق ٢١٢ ورقة كل ورقة بها صفحتان كل صفحة بها عشرون بيتا خلت صفحاتها من الترقيم وكتب على غلافها :

(هذه نسخة كاملة للديوان ويتلوه ما وجد خارجاً) . ثم تلا ذلك وصف موجز للمخطوطة وعدد الأوراق ومكان النسخ أتت بعد ذلك صفحة عنوان داخلية تسبق الصفحة الأولى وتحمل العنوان الآتي ــ المكتوب بالخط الأبيض في باطن الأسود :

«ديوان الأديب النجيب شرف الدين قاسم بن علي بن هتيمل الخزاعي اليمني[1] المخلافي كافأه الله بالحُسْنَى» .

وصُدِّر بنظم يدل على أن الكاتب قد نسخه بعناية الإمام عبد القادر [2] ابن الناصر بن الإمام يقول من هذا النظم :

حرَّرْتُه رِقاً لمولىً غدا تحريرُ رِقِّي من عطيَّاتِه

(١) لن تُستغرَبْ نسبته إلى اليمن فالناسخ يمني والمنسوخة بعنايته أحد أئمة اليمن وكان يطلق على الجهات الواقعة جنوب مكة (يمن) والجهات الواقعة شمالها (شام) .. وشاعر كابن هتيمل يرغب احتواءه !!

(٢) عبد القادر بن الناصر بن الإمام : المتوكل على الله ولد بكوكبان باليمن ونشأ به وأخذ عن علماء عصره تولَّى إمارة كوكبان ومات بها سنة ١٠٩٨ انظر ملحق البدر الطالع صفحة ١٢٤ .

تلك نهايـــاتُ حيَـــا كفِّـــه في البَـــذْلِ تروْي عنْ بدَايَاتِـــه
نَجْـلُ حسامِ الديـــن عاداتُـــهُ في الجودِ وَالعَلْيَـــا كَعَادآتِـــهِ

إلى آخرهـا . ثم ذَيَّـل تلك الأبيـات باسم الإمـام الـذي نُسِخَ الديـــوان بعنايتـه حيث سماه بـ : «عبد القـادر بن النـاصر بن الإمـام» . وبـدأ الديـــوان بقوله :

قال يمدح أبا بكر بن عمر العبدي صاحب الزيدية ويمدح قومه :
لا تُعالـــجْ منَ الصَّبَابـــةِ دَاءً فهـــو داءٌ أَعْيَـــا الطبـــيبَ دواءَ

وقـد رتب القصائـد حسب حروف الهجـاء حيث بدأ بقصيـدة قافــيتها الهمـزة وحين انتهى من حرف الهمـزة قال في هامش القصائــد المنتهيـــة بروي البـاء : (قافيـة البـاء) وهكـذا حتـى انتهى إلى قافيـة (اليـاء) حيث كانت آخــر قصيـدة في الديـوان : قصيـدة يمدح بها الشريـف محمـــد بن أبي سعـــد بن أبي نُميّ صاحب مكة مطلعها الغزلي :
يقـــولُ مُتلِفُـــه في الـــحُبّ وادِيـــهِ ولـيس من عَزْمِـــه واديـــهِ واديـــهِ

وآخر بيت فيها :
والمُدهِشُ المُدهِشُ السحَّابُ حين بَدَا في رقْمٍ راقِمِه أوْ وشْيِ واشِيهِ

وجاء بعد هذا البيت قول الناسخ :
(تَمَّ الديوان بكرم الله وفضله
يتلـــو ذلك ما وجـــد خارجـــا عن الديــــوان من شعــــره
فمـن حرف الهمـزة قولـه يمدح الصاحب بهاء الديـن محمـد بن أسعـد الحميري وزير الملك المظفر .... إلخ) .

عدد قصائد الديوان : ٢٨٢ قصيدة ومقطوعة .

عدد قصائد المديح فيها :

٢٢٤ قصيدة ، وعدد أبياتها بما فيها المقدمات الغزلية والطللية وحتى الخمريات، والوصف، والحنين ، والشكوى ٥٩٧١ بيتاً تقريباً .

عدد قصائد ومقطوعات الغزل :

٢٥ قصيدة، وعدد أبياتها ٥٦١ بيتا إلى جانب ما يقارب ستمائة بيت (٦٠٠) جاءت على هيئة التشبيب كمقدمات لقصائد المديح .

عدد قصائد ومقطوعات الاستعطاف والعتاب والشكوى :

(١٠) عشر قصائد، وعدد أبياتها (١٠٩) بيتاً إضافة إلى بعض أبيات ترد في ثنايا مدحه قد تتجاوز هذا العدد .

عدد قصائد الرثاء :

(٢٤) قصيدة ، وعدد أبياتها (٦٩٢) بيتاً .

وحين نأتي إل عدد أبيات ديوان ابن هتيمل نجدها : سبعة الآف وتسعمائة وثلاثة وثلاثين بيتا (٧٩٣٣) .

ولقصائد المديح منها الجزء الأوفر، حيث نجد أن عدد أبيات قصائد المديح كاملة (٥٩٧١) بيتا، بيد أن هذا العدد ينقص حوالى (٢٣١٥) بيتا إذا ما اقتطعنا من قصائد المديح مقدماتها الغزلية، والطللية ، والخمريات إلى جانب أبيات الحكمة والأبيات التي تمثل الشكوى من بني زمانه والأبيات التي يرد فيها الاعتداد بنفسه أو بشعره أو التغني بطبيعة بلاده أو وصف نياقه والمهامه التي تقطعها إلى بلدان ممدوحيه ... إلخ .

٢ ـ وصف النسخة المصورة عن نسخة جامعة الملك عبد العزيز بجدة :

تحمل الرقم ١٩٥ ولم يبين ما إذا كان رقم المخطوطة أم رقم الميكروفيلم !!

وعدد أوراقها ٢٤٣ بكل ورقة صفحتان وهذه المخطوطة كتبت بثلاثة خطوط متفاوتة أحدها خط نسخي معتاد والآخران متقاربان في المستوى . عدد أسطر كل صفحة متفاوت من ١٥ إلى ١٦ وهو الأكثر ومن ١٨ إلى ٢٥ وهو الأقل والأخير رديء يرسم بعض الكلمات رسما فيخطيء في ذلك خطأ يذهب بالمعنى .

جاءت الصفحة الأولى تحمل هذا العنوان : (هذا ديوان القاسم بن هتيمل شاعر المخلاف السليماني الذي يقول فيه أحد الشعراء :

أمـا قصائـدُ قاسمِ بنِ هتيمـلِ ... فمذَاقُهَا أحْلَـى من الصَّهْبَـاء
هو شَاعـرٌ في عصرِهِ فَطِـنٌ وَلَـ ... كـنَّ ابنَ حِمْيَرَ سَيِّد[1] الشعـرَاءِ

وكتب تحت هذين البيتين ما يلي : (وكتبه حمد الجاسر في مكة المشرفة ١٠ شوال ١٣٨٠هـ) وليست هناك أية معلومات عن مصدر المخطوط ولا سنة الكتابة ولا اسم الكاتب كعادة الخطاطين . وجاءت الصفحة الأولى تحمل أول قصيدة في الديوان وهي أولى القصائد التي ينتهي رويها بحرف الهمزة وبدأت بقوله : قال يمدح أبا بكر بن محمد العبدي صاحب الزيدية ويمدح قومه بني عبيدة عفا الله عنهم :

---

(١) والشطر الثاني ورد في العقود اللؤلؤية هكذا : (ولكن ابن حمير أشعر الشعراء انظر ج١ ص ١١١ .

لا تُعالــــجْ من الصَّبَابَـــــةِ دَاءً فهْـــوَ دَاءٌ أعْيَــا الطبـــــيبَ دُواءَ

وآخر بيت في القصيدة هو قول الشاعر :

وخِــلَالٌ سَرِيْـــنَ مِنْ عُمَـــرٍ فيكَ فألْـــبسْنَكَ السَّنـــآءَ السَّنَـــآءَ

وقد جاءت قصائد هذه المخطوطة مرتبة حسب الحروف الهجائيـة — مثل النسخة المأخوذة عن معهد المخطوطات العربية وكانت آخر قصيدة في مخطوطة معهد المخطوطات العربية على حرف الياء وهي القصيدة التي مدح بها ابن هتيمل شريف مكة (أبا نُمَيّ) محمد بن أبي سعد حيث يقـول في مطلعها :

يقـــولُ مُتْلِفُـــهُ في الـــحُبِّ وَادِيـــهِ ولـيسَ مِنْ عَزْمِـــهِ وَادِيـــهِ وَادِيـــهِ

وآخر بيت فيها :

والمُدْهِشُ المدهشُ السَّحَّابُ حينَ بَدَا في رَقْمِ رَاقِمِه أووَشْى وَاشِيِهِ

ثم قال الخطاط بعد هذا البيت : (تَمَّ الديوان الفريد يتلو ذلك ما وجد خارجا عن الديوان من شعر ابن هتيمل فمن حرف الهمزة قوله : في مدح الصاحب بهاء الدين محمد بن أسعد الحميري وزير الملك المظفر :

ذَاكَ سَلْـــعٌ وهـــــذِهِ تَيْمَـــــاءُ فابْكِ فيهَا إنْ كانَ يُغْنِي البُكَاءُ

ثم أتى بقصائد تنتهي بحرف البـاء ثم بحرف الـدال وآخـر قصيـــدة مطلعها :

يَاهضْبَـةَ الحِلْـمِ بَلْ ياكَرْمَـةَ الجُــودِ يَاقَـانِصَ الأُسْد بَلْ يَاصَائِـدَ الغِيْـدِ

أما مخطوطة جامعة الملك عبد العزيز فكـانت آخـر قصيـدة في التسلسل الهجائي الأول هي القصيدة التي مدح بها ابن هتيمل شمس الديـــن علي بن يحيى صاحب جازان ومطلعها :

أَتَـــوْا في لَوْمِـــهِ شَيْئـــاً فَرِيَّـــا (فلمَّـــا استَيْـــأَسُوا خَلَصُوا نَجِيَّـــا)

وآخر بيت :

فَتــىً لم تَلْــقَ في الثَّقَلَيْــنِ مِثْــلاً   لَهُ في الصالحاتِ ولا كَنِيَّــــــــا

وأهمل قصيدة (أبي نمي) التي ختمت بها النسخة المأخوذة عن معهد المخطوطات بالقاهرة كما أنها لم تشر إلى انتهاء الديوان وإلى سرد قصائد أخرى خارجة تترتب هجائياً من جديد كما حصل في نسخة معهد المخطوطات وإنما جاء بعد القصيدة اليائية التي مدح بها ابن هتيمل صاحب جازان : (أتوافى لومه شيئاً فريا) جاء بعدها بقصيدته الهمزية التي مدح بها وزير المظفر (محمد بن أبي سعد الحميري) : (ذاك سلع وهذه تيماء) دون إشارة تذكر وهناك قصائد لا وجود لها في هذه النسخة فمن حرف الباء حذفت قصيدتان الأولى مطلعها :

تَنْصُو الصِّبَا وتُرِيــدُ أيَّــامَ الصِّبَــا   أتُــراكَ تَخْلُفُ في الصَّبَابــةِ أشْعَبَــا

والثانية مطلعها :

بَعِيْــــدُ الــــدَّارِ حِلَّتُــــهُ قَرِيبُ   وشاكٍ أصلُ عِلَّتِــــهِ الطَّبِــــــيبُ

والقصيدتان نشرتا ضمن مختارات الأستاذ العقيلي وترتيبهما الثالثة والرابعة في مخطوطة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

ومن حرف الدال قصيدته في مدح القاسم بن علي الذروي ومطلعها :

أعنْدَكُمُ عِلْــمٌ عنِ العَلَــمِ الفَــرْدِ   وهَل لَكُمَا عَهْدٌ بنَاكِثَــةِ العَهْــدِ

ومن حرف الراء قصيدته في مدح المهدي محمد بن القاسم ومطلعها :

أَقَــلُّ فَضلِكَ شيْءٌ لَيْسَ يَنْــحَصِرُ   وشَرْحُ مدْحِكَ يا مَهْديُّ مُنْــحَصِرُ

ومن حرف (السين) قصيدته في مدح علي بن برطاس وزير المظفر، ومطلعها :

خُذْهَــا فَلَــيسَ بأخذِهَــا مِنْ باسِ   كالشَّمسْ تَطْلُعُ مِنْ خِبَــا شَمَّــاسِ

ومن حرف (العين) قصيدته في مدح الإمام أحمد بن الإمام المنصور أيضا التي مطلعها :

دَعْ جُفُوني تَنْهَلُّ وِتْراً وشَفْعاً   أنَا أبكي دَماً إذَا غِضْتُ دَمْعاً

وقصيدته في مدح الإمام أحمد بن المنصور أيضاً التي مطلعها :

أرىٰ كَبِدِي لا تَستَطِيْرُ صُدوعُهَا   وأجْفَانُ عيني لَا تَفْيضُ دُمُوْعُهَا

ومن حرف (اللام) قصيدته في مدح الأمير وهاس بن سليمان ومطلعها :

وهَّاسُ ياابْنَ سُليمانٍ بَقيْتَ عَلىٰ   رَغْمِ الحَسُودِ وَلَا حَالَتْ بِكَ الحَالُ

ومن حرف (الهاء) قصيدته في مدح محمد بن أبي سعد المعروف بأبي نمي ذات المطلع :

يَقُولُ مُتْلِفُهُ في الحُبِّ وَادِيْهِ   وليسَ مِنْ عَزْمِهِ وَادِيْهِ وادِيْهِ

وقصيدته في مدح الشريف على بن محمد الخواجي صاحب صبيا والتي يقول في مطلعها :

لَوْ دَرَّجَ العَانِي بِلَابِلَ عُودِهِ   وَرخيمَ نَغْمَتِهِ ورنَّةَ عُوْدِهِ

كما حفلت هذه النسخة بالكثير من الأخطاء الإملائية التي ربما تسببت في ذهاب المعنى المراد . وفي بعض القصائد لوحظ بعض النقص ؛ فبعضها لا يوجد فيه سوى العدد اليسير من الأبيات من أولها أو من آخرها ، وأحيانا يحذف البيتان أو الثلاثة أو الأربعة وأحيانا العشرة كما في قصيدته (الدالية) ذات المطلع :

فَرَّطْتَ يَوْمَ سُوَيْقَةٍ يَا صَائِدُ   في الصَّيْدِ وَهْو مُخَايِلٌ وَمُكَايِدُ

وربما وصل الحذف في بعض القصائد إلى ثلاثين بيتا كما في القصيدة (الحائية) ومطلعها :

كَيفَ تُصغِـي سَمْعـاً لِلاَحٍ وَلاَحى   هَلْ محا الـحُبَّ مِنْ فُؤادِكَ مَاحِـي

ومع كل هذا النقص إلا أن عدد أبيات هذه المخطوطة قد جاء مقارباً لعدد الأبيات في نسخة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، فإذا كان عدد أبيات نسخة معهد المخطوطات قد بلغ سبعة الآف وتسعمائة وثلاثة وثلاثين بيتا فإن عدد أبيات هذه المخطوطة المصورة عن جامعة الملك عبد العزيز بجدة قد بلغ سبعة آلاف وثلاثمائة وخمسة أبيات، ولأن هذه النسخة قد أخفت عنا تاريخ كتابتها ومكانها فإننا لا نعرف أي المخطوطتين اللتين بين يدينا أسبق ظهوراً مما يتيح للباحث المدقق مشروعية التساؤل اللاهث عن حال النسخ الأخرى وما إذا كا في بعضها إضافات أو قصائد لم تستوعبها مخطوطة معهد المخطوطات العربية !! سؤال لا نملك حق الإجابة عليه إلا بعد أن تتهيأ لنا فرصة الاطلاع على إحدى مخطوطات الديوان الأخرى !!

٣ ـــ وصف الجزء المطبوع من الديوان :

في عام ١٣٨١ هـ أصدر الأستـاذ/ محمـد أحمد عيسى العقيلي مختارات من شعر ابن هتيمل اختار فيها ستا وتسعين قصيدة تضم ألفين ومائتين وسبعة وخمسين بيتا من بين قصائد الديوان المخطوط البالغ مجموعها مائتين وثمانياً وسبعين قصيدة ، تضم سبعة الآف ومائتين وسبعة وتسعين بيتا ، تشمل سائر الأغراض الشعرية المتداولة في عصره وعصور سابقيه وكان الأستاذ العقيلي قد تجاوز الواقع حين سمّى تلك المختارات : (ديوان الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل دراسة وتحليل) [1] فصدرت في مائة وتسعين صفحة من القطع المتوسط، ثم أعاد طباعة هذه المختارات في عام ١٤١٠هـ تحت مسمى : (مختارات من ديوان الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل دراسة وتحليل وتحقيق) [2] أضاف إليها بعض الفهارس دون أن يضيف جديداً من شعر ابن هتيمل ودون أن يتوسع في شرح أو تعليق كان القاريء يتطلع إليهما وبخاصة بعد أن أضاف إلى عنوان المختارات كلمة (وتحقيق) !! ونلاحظ أن صاحب المختارات قد رضخ في الطبعة الثانية لملاحظات المتابعين الذين اعترضوا على تسمية الجزء المختار بديوان ، إلا أنه شفع اعترافه باعتذار عن التوسع في إضافة شيء من شعر ابن هتيمل وعلل ذلك بضخامة الديوان حيث حدد صفحاته بمائتين وثماني عشرة صفحة [3]، والواقع أن عدد صفحات الديوان تزيد عن أربعمائة وأربع وعشرين صفحة من القطع دون المتوسط !! وليس مائتين وثماني عشرة صفحة كما يقول ؛ فنسخة معهد المخطوطات

(١) غلاف الجزء المطبوع من الديوان الصادر سنة ١٣٨١هـ ط١ .

(٢) غلاف الجزء المطبوع من الديوان للمرة الثانية الصادر عام ١٤١٠هـ ط٢ .

(٣) مقدمة الطبعة الثانية من مختارات العقيلي .

بالقاهرة تقع في مائتين واثنتي عشرة ورقة ، وفي كل ورقة صفحتان كل صفحة تضم عشرين بيتا ، وربما زاد هذا المقدار في النسخ الخطية الأخرى إلى عدد من الصفحات أكثر فهو في المخطوطة المصورة عن جامعة الملك عبد العزيز بجدة أربعمائة وست وثمانون صفحة وقد تزيد الصفحات في بعض المخطوطات الأخرى !!

ومع أنَّ صاحب المختارات قد اعتذر عن إضافة شيء جديد من شعر ابن هتيمل في هذه الطبعة فقد توقعنا أن يعيد إلى القصائد التي اختارها في الطبعة الأولى ما حذفه من أبياتها !! غير أنه لم يفعل واكتفى بمجرد التصوير عن الطبعة السابقة ولا شيء سواه، عدا بعض الفهارس التي لا تغني عن شعر الشاعر شيئا ، ولا عن توضيح غامض بعضه . وكنا قد شاركنا في توضيح الحيف الذي لحق بشعر ابن هتيمل ووصفنا اختيارات العقيلي التي سماها في الطبعة الأولى (ديوان :...) بأنها لا تمثل سوى بعض شعر ابن هتيمل الكثير [1] وكان خير الدين الزركلي صاحب كتاب الأعلام قد سبقنا فوصف عمل الأستاذ العقيلي هذا بالاختيار فقال : (لابن هتيمل ديوان مخطوط بمعهد المخطوطات العربية اختار معاصرنا الأديب محمد أحمد عيسى العقيلي قرابة مائة وخمسين صفحة منه وصدرها بمحاولة لمعرفة حياة الشاعر وسماها : «ديوان القاسم بن علي بن هتيمل» [2] . والأستاذ العقيلي كان يصر على تسمية تلك المختارات (ديوان) كما فعل في الطبعة الأولى، ويصر على تسمية عمله بـ: (دراسة وتحليل) ويضيف إلى ذلك في الطبعة الثانية كلمة : (وتحقيق) ... وكان الأستاذ العقيلي قد بين منهجيه الذي رسمه لنفسه متجاوزا أعراف المحققين فقال : (وتحقيق التراث إما أن يورد الأصل ويعلق

---

(١) انظر محاضرة للباحث بعنوان ابن هتيمل حياته من شعره نشرت ضمن كتاب محاضرات نادي جازان الأدبي لعام ١٣٩٨هـ ص ٦٩ .

(٢) الاعلام للزركلي ج٥ ، ص ١٧٨ .

عليه أو أن يختار ما يوائم روح العصر) [1] وهذا المنهج العجيب هو الذي اتبعه فيما سماه دراسة وتحليل لديوان ابن هتيمل وقد أشار إلى ذلك في مقدمة الطبعة الأولى حيث قال : (أخرج من دراستي الأولية للديوان بما يأتي :

١ ــ أن أختار من قصائده ما له دلالة تاريخية أو منحى يتعلق بالمجتمع العام أو الخاص الذي عاش فيه الشاعر ....

٢ ــ أن يحذف ما يمت إلى عصبية أو طائفية معينة أو مبالغة غير مستساغه [2] .

وقد فعل ؛ فاختار ستاً وتسعين قصيدة تشتمل على ألفين ومائتين وسبعة وخمسين بيتا من بين مائتين واثنتين وثمانين قصيدة تمثل سبعة آلاف وتسعمائة وثلاثة وثلاثين بيتا .. وليس لنا على اختياره هذا أي اعتراض مادام قد اعترف مؤخراً بذلك، ولكننا نعاتبه على الحذف والبتر، الذي تعرضت له تلك القصائد تطبيقا لمنهجه الذي أشرنا إلى خطله آنفا فحرم النصوص تدفقها، وحرم الشاعرية تسلسلها وَتَقَطَّع بسببها نَفَسُ الشاعر، واهتزت صورة شعره واضطربت خيالاتها، ومعانيها ولنا أن نتساءل : أيَّةَ عصبية يمكن أن يذكيها شعر ابن هتيمل الذي عاش في القرن السابع الهجري ؟!

وأسرته واحدة من الأسر التي انقرضت من المنطقة!! ومثلها كثير من الأسر التي عاصرها ابن هتيمل ؟

وأي نهج يبيح لصاحبه حق التصرف بنصوص أدبية أصبحت في حكم

(١) صحيفة المدينة عدد ٥٥٨٣ الصادرة بتاريخ ١٤٠٢/١٠/٢١هـ وانظر من ص ١٦٢ من كتابنا (أبجديات في النقد والأدب) ط١ سنة ١٤٠٥هـ الناشر نادي جازان الأدبي .

(٢) مقدمة الطبعة الأولى من الجزء المطبوع من ديوان ابن هتيمل ص ٤ .

التاريخ ؟

وأين تذهب الأمانة العلمية حين نقدم على البتر والحذف والتشويه ؟؟

نعود فنقرر أن عمل الشيخ العقيلي رغم مجانفته لمناهج التحقيق يعد في طبعته الأولى عملا رياديا أفضل فيه بالتعريف بشاعر كبير هو ابن هتيمل واختار من شعره ما يشير إلى شاعريته .. إلا أننا في الطبعة الثانية كنا ننتظر المزيد من شعر الشاعر بعد أن زالت الظروف التي اعتذر بها في الطبعة الأولى حيث قال : (فلي في عملي الرسمي والخاص من اشتغالي بإنهاء الجزء الثاني من كتاب المخلاف السليماني وجميع مواد الأجزاء الباقية ...)(١) .

وبعد أن أصبحت مخطوطات الديوان وافرة العدد .. وأصبح القاريء أكثر إدراكا لمناهج التحقيق وأهميتها في تجلية النصوص ولكن مع شديد الأسف فقد جاءت هذه الطبعة مخيبة للآمال، لا تضيف جديداً كان ينتظره القاريء المتابع ولا تعطي شعر ابن هتيل ما يستحقه من التوضيح والتنقيح .. وحتى لا يظل الكلام على عواهنه ، وحتى لا يظل كلامنا بدون دليل يؤكد ما ذهبنا إليه من أن الأستاذ العقيلي قد شوه معظم النصوص التي اختارها فيما سماه في الطبعة الأولى : ديوان ابن هتيمل وسماه في الطبعة الثانية : مختارات من ديوان ابن هتيمل .. حتى لا يظل كلامنا بدون دليل فإننا نسوق بين يدي القاريء نموذجا واحداً يتضح من خلاله كيف تصرف الأستاذ العقيلي بالحذف والبتر والتشويه في النصوص الشعرية دون مبرر كاف فقضى على التدفق الشعري وسبب قلق النصوص المختارة وحرمنا لذة الانسياب الشعري .

وقد وقع اختيارنا على قصيدة ابن هتيمل في مدح الأمير وهاس بن سليمان بن وهاس صاحب باغته ويشير فيها إلى واقعة حرض بينه وبين الغزى

---

(١) الجزء المطبوع من ديوان (المقدمة) .

عامل المظفر ومطلعها :

أُجيرانَ وادي الأثْلِ مافَعَلَ الأثـلُ؟ ... وما عِلْمُكُم بالرَّملِ هل سُقيَ الرمل؟[1]

والقصيدة بالصفحات ٦٩ ــ ٧٠ من الطبعة الثانية .

فبعد أن يورد السبعة الأبيات الأولى يحذف بيتين هما :

من الخَفراتِ البـيض يقسم أنَّها ... بأجفانِها كُحْلٌ وليس بها كُحْـل

تَغايَرَ نِصفَاهَا، فأرْهـفَ جدلهَا ... وأدمَجَ في خلخالها القضبُ والجذْل

وبعد البيت الثاني عشر حذف سبْعة أبيات قام ببترها من جسد النص دون مبرر هي :

أمير، جبين البـدر فوق طِراقَـه ... شراكٌ وخَدُّ الشَّمس في نَعْلِهِ نَعْـلُ

يُقَـرُّ لهُ بالـفضلِ غيـرَ مدُافَـعٍ ... علـىٰ أنَّـهُ للّـه ثُمَّ لَهُ الـفضلُ

إذَا هَمَّ لم يثْنِ الدُّجـىَ جِدَّ هَمِّـهِ ... وإن قالَ قولاً كادَ يسبِقُـهُ الفعـلُ

جمالٌ تمنَّـاه العـذَارىٰ ولا ترىٰ ... إذا ما رأتـهُ ذاتُ بعـلٍ لها بعـلُ

ثُلاثٌ بحقويـهِ الأمـورُ فتـنتهي ... إلى ملك أدنـىٰ عقوبتـهِ القَتْـلُ

تقـومُ له صيـدُ الملـوك فَلا يَدٌ ... تُمَدُّ ولا تَخْطُو إلى (أَرَبٍ)[2] رِجْلُ

قيامـاً لتقْبيـل الـرِّكابِ وكُمِّـه ... فذلُّهُـمُ عزٌّ وعِزُّهُـمُ ذُلُّ

كما غيرَّ الشطر الثاني من البيت الرابع عشر حسب المطبوع فهو في النسختين المخطوطتين المعتمدتين هكـذا : (هـي الفـرع من فرعٍ النبـوةِ والأصل) غيرَّ (فرع) إلى (روح) وحذف بيتا واحدا بعد البيت الثالث عشر وهو قول الشاعر :

ومن كانَ من سِبْطَـيْ علـيّ وأحمدٍ ... فليس ولا إشكال فيـه له شَكْـلُ

---

(١) مخطوطة الديوان . وانظر ص ٦٩ من مختارات العقيلي .

(٢) في نسخة (ج) : (قَدَم) .

وحذف بعد البيت الرابع عشر أربعة أبيات وهي قوله :

أَوارِثَ منصور بن أحمدَ والَّـــذي ... لهُ الحصْلُ يومَ السبق إنْ حَصَلَ الحصْلُ
تَدَاركْتَ أهلَ البيت منكَ برحمَـةٍ ... وهُـمْ نَبْتُـوا منها كما يَنْـبُتُ البَقْـلُ
أَخَـذْتَ بتَبْـلِ الطالـبين وضعفـه ... وَقَـدُرك أعلىٰ أَنْ يُطَـلَّ لهم تَبْـلُ[1]
ولـيس دمـاءُ النـاسِ كُفْـءَ دِمائكـمْ ... وهلْ يستوي في الطاعة الفرضُ والنَّفْلُ

وحذف بعد البيت السادس عشر بيتين هما قول الشاعر :

ونازلتَهُـم بالسيـف تحتَ غمَامـةٍ ... حماءتهُ وبْـلُ النبّـالِ لَهَـا وبْـلُ
وأعجلْتَهـمُ عنـد الصيـامِ وخَمْـرَة ... فَخَمرُهُـمُ فيـه على مَهَـلٍ مَهْـلُ

وغيَّر حرف العطف في أول البيت السابع عشر فجعل الواو بدلا عن الفاء، وحذف بعده بيتا واحداً وهو قول الشاعر :

فوَاعجبـاً[2](للطفـل) ينـدبُ نَفْسَهُ ... خوارٌ، ولابـوقٌ لدَيْـه ولا طَبْـلُ

وحذف بعد البيت العشرين ثمانية أبيات هي قول الشاعر :

وآبُوا حُفَـاةً قد سَلَـبْتَ نِعالَهُـمْ ... ولا فَرَسٌ تحتَ المَجُوس ولابَغْـلُ
فظلُّوا سُكَارىٰ والصفـاحُ لراحِهِمْ ... مِزَاجـاً وأطْرافُ الرمـاح لها تَعْـلُ
إذا ما صَحَواْ من سُكْرِهمُ دُرنَ بينهِمْ ... من الموت أقْدَاحٌ وإن نهلوا عَلُّوا
يدرون من خَمْر الحريق ودَارُهُـمْ ... تَأجُّ وفي أرجائها الحطَبُ الجَزْلُ
كأنَّكَ لمَّـا جئتَهُـمْ وكأنَّهُـم ... وقد حجروا منكـم سليمـان والنَّمْـل
نَصَرْتَ سليمـانَ العـريضةَ بعدمَـا ... مضتْ حججٌ عنهمْ ونصرُهُمُ خَذْلُ
وحُمِّـلْتَ حقـاً حِملهُـمْ فَحَملْتَـهُ ... بغـارب عَوْدٍ كلُّ حِمْـلٍ لهُ حِمْـلُ

---

(١) تبل الطالبين : التبل الوتر والذحل والثأر .

(٢) في نسخة (ج) : «للطبل» .

وأخيرا حذف آخر بيت في النص وهو قول الشاعر :

وإنّـــي وإنْ أُعطَيتُمـــوني لعالِـــمٌ بأنَّ هنـــيٌّ الرفْـــه[1] أحمد والحقـــلُ

وهذا نصٌّ واحد صنع به كل هذا الصنيع ومزَّق أوصاله وحرم القاريء المتذوق تدفقه وانهماره وجعل أوتاره مبحوحة وأنغامه متقطعة بفعل التقطيع المتعمد !!

(١) الرفه : شرْبُ كل يوم .

٤ ــ نظرات في شعر ابن هتيمل :

(أ) منهج ابن هتيمل الشعري

كان الاهتمام بالبديع والاعتناء بالبهارج اللفظية سائداً في عصر ابن هتيمل والعصر الذي سبقه وفي العصور التي تلته ؛ حيث أصَّلَ القاضي الفاضل مدرسة البديع في القرن السادس للهجرة وكان من فرسانها آنذاك (البهاء زهير) و (ابن سناء الملك) وهما معاصران لابن هتيمل واستمرت العناية بالبديع وربما الإسراف فيه قرونا عديدة إلى أن شعشعت أنوار نهضة الأدب الحديث في أوائل القرن الرابع عشر فكانت مدرسة البارودي في الشعر ومدرسة المنفلوطي في النثر ثورة على ذلك التخلف والجمود الذي استبد فيه الشكل بكل مقومات المضمون حتى لقد وصل الأمر ببعضهم إلى درجة التلاعب بالألفاظ لكن ابن هتيمل ــ برغم معاصرته لأصحاب مدرسة البديع ــ كان استثناء من هذا الضعف فقد تجافي عن صنعة البديع ولم تكن له به عناية تذكر وما وجدناه في شعره من ألوان البديع اتسم بالعفوية والسلاسة . وبَعُد كل البعد عن التكلف والتمحل الذي أغرم به سواه من أمثال قوله متغزلا وقد حشد فيه ألوان المقابلات :

أكرمته فأهانني ، وحفظته فأضاعني ، وأطعته فعصاني [1]

أو قوله مقتبسا :

بلدٌ طيّبٌ وربٌّ غَفُورُ وعطاءٌ سكْبٌ وريحٌ جَنُوْب [2]

---

(١) لا يخفى ما في هذا البيت من مقابلات اتسمت بالعفوية وعدم التكلف . تنظر في المطبوع ص ١٢٣ من الديوان .

(٢) المطبوع من الديوان ص ٣٥ والشاعر اقتبس من الآية : (بلدة طيبة ورب غفور) سورة سبأ آية ١٥ .

وكقوله مقتبسا أيضاً في قصيدة يخاطب بها نفسه :

فلا تَسْتَشْعِري أبداً قُنوطاً ... فإنَّ اللهَ غَفَّارَ الذُّنُوب[1]

وكقوله مقتبسا أيضاً :

أَتوا في لَوْمِهِ شيئاً فَرِيَّا ... فَلمَّا استَيْأَسُوا خَلصُوا نَجِيَّا[2]

وقوله مادحا الذروات :

إنَّ من دِمْنَةِ الجُرُوب إلَى أَيْـ ... ـلكِ الحُسَيَنِي إلى شَآمِّي دَارِهْ

سادةٌ يُطعمون ناشئَةَ اللَّيْـ ... ـلِ ويَستغفرون في أَسْحَارِه[3]

ولعله في اقتباسه التالي يدلّل على استظهاره لكتاب الله الكريم حيث نجده يقتبس في الشطر الأول ويقتبس أيضا في الشطر الثاني فيقول :

ولا تَهِنُوا أو تَحزَنُوا مِنْ عدوِّكُم ... وإن مسَّكم قَرَحٌ فقد مسَّهُمْ قَرْحُ[4]

وكقوله مقتبسا أيضا :

جنَّةُ العشَّاقِ في نَارِ الهَوىٰ ... حيثُ (لا يَبْغُونَ عنْهَا حِوَلَا) [5]

ولعلكم تستعذبون معي الجناس الآتي حتى وإن كان غير تام فهو في

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٨ والشاعر مقتبس آية ٥٣ من سورة الزمر وهي ﴿لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ..﴾ .

(٢) مخطوطة الديوان غير مرقمة الصفحات .. والشاعر اقتبسها من قوله تعالى : ﴿فلما استيأسوا منه خلصوا نجيّاً ...﴾ بداية الآية ٨٠ من سورة يوسف .

(٣) المطبوع من الديوان ص ٦٠ .

(٤) الآيتان في سورة آل عمران، ونص الأولى : ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون﴾ جزء من الآية ١٣٩. ونص الثانية : ﴿إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله﴾ جزء من آية ١٤٠ والبيت في ص ١٣٩ من الديوان .

(٥) الآية ١٠٨ من سورة الكهف ونصها: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ، خالدين فيها (لا يبغون عنها حولا)﴾ والبيت من مخطوطة الديوان المأخوذة عن معهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

غاية العفوية :

فما زَالَ يَلْقَى رامِحاً غَير رَامِحٍ بِعَزْمَتِه أوْ سائِفاً غَيْرَ سَائِفِ[1]

وفي شعره ألوان أخرى من الوان البديع كالمقابلات والطباق والتورية وازدواج المعني ورد الأعجاز على الصدور وسواها من بقية ألوان البديع لكنها في مجملها تأتي عفوية بعيدة عن التكلف متجافية عن التمحل الذي فتن به سواه .

إذاً فشعر ابن هتيمل يمثل مدرسة مستقلة هي بمدرسة الشعر في القرنين الثالث والرابع قريبة الشبه وثيقة الصلة ؛ لأنها تتخذ الشكل وسيلة لتحقيق المضمون لا غاية تحصر همها فيه، وقد لا نجافي الحقيقة إذا اعتبرنا شعر ابن هتيمل يمثل مدرسة مستقلة عن أولئك وهؤلاء سيما وهو يجمع بين سهولة التعبير ووضوح الأفكار فهو السهل الممتنع ـ كما يقال .

(١) المطبوع من الديوان ص ٩٢ .

(ب) الصورة في شعر ابن هتيمل

تعتبر عناية شاعرنا بالصورة خصيصة من أبرز خصائصه الفنية في شعره ولقد منحته من القوة والوضوح والعمق ما يجعل قاريء شعره يشترك معه في استجلاء تلك الصور ويعيش معه لحظاتها، وربما ترك للقاريء فرصة استكمال الصورة على أي نمط أراده .

ويوجد في شعر ابن هتيمل نوعان من الصور :

النوع الأول :

ما يمكن تسميته بالصور البسيطة وهي تلك التي تتجلى في تشبيهاته البسيطة وفي استعاراته بما في ذلك إشاراته إلى أحداث التاريخ أو أحداث عصره ، وهي خصيصة من أبرز الخصائص التي تميز بها شعر ابن هتيمل .

النوع الثاني :

وهو ما يمكن أن نسميه بالصور المركبة وهي تلك الصور التي يرسم فيها مشهداً كاملاً أو مشهدين يجعل القاريء يتخيل شخوصها وأحداثها لأنها تضع أمامه شريطاً من الصور المتتابعة المشتملة على تفاصيل أجزاء ذلك المشهد فيوجزها تارة أو يطيل في تفصيلاتها تارة أخرى، وهو في حالتيه يضع الدليل القوي على أصالته وتفوقه ورسوخ قدمه حين يسير مسار الفحول مع شيء من التجديد والابداع، ففي صوره البسيطة مثلا نجده يحذو حذو القدماء في أصالة الإبداع وروعة التجديد كقوله مخاطبا ممدوحه المظفر [1]

(١) المظفر : هو الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر بن علي بن رسول تولى ملك اليمن بعد والده واستمر ملكه ستا وأربعين سنة كانت دولته أقرب إلى العدل والرحمة والرأفة وكان يجالس العلماء وكان مشتغلا بالعلم وله صلة بالشعراء ، مدحه =

الرسولي :

وأيُّ خصمٍ لكَ أو حاسدٍ كَنَاطِحِ الطَّـوْدِ برأسِ زُجَـاجْ (١)

ومما جدد فيه وأبدع وسبق عصره بمئات السنين تشبيهه الذي صور فيه حبيبته بالمُكيّف فهي في البرد تبعث لضجيعها الدفء والحرارة وهي في الصيف تلطف أجواء الوسائد والأعطاف بتلك النعومة والبرودة :

لذّةٌ للضجيـع في البَـرْد حرٌّ يتلظَّـى به وفي الحَـرِّ بردُ(٢)

وربما حاول تقريب الصورة لذلك نسمعه يكرر هذا المعنى في قوله :

ففـي الوقَـدات كانـون إذا ما لهوتُ بها وفي الشتَّـواتِ آبُ

ويحاول أن يجدد في تشبيهه التالي رغم أنه مسبوق من القدماء فيقول :

رِقّةٌ للقضيبِ والحِقْـفِ والرُّمَّـانِ منها جيـد وردفٌ ونَهْـدُ (٣)

فهو قد أتى بالمشبهات بها أولا وأردفها بالمشبهات كما رأينا .

وقد يكون في الأبيات الآتية صورة للابداع حين يحدد زمنا لروعة العشق والافتتان بالمحبوب فيقول :

ليت الشباب يعـودُ لي ويعـودُ لي مَرَضي به وعيـادتي والعُـوَّدَا(٣)

رُعْيَا الصِّبا أيَّـامَ كانَتْ صذْرُهَـا صَنْدُرُ الغُـلام وكان خدّي أمْـرَدَا

= عدد منهم فأجازه . وكان من شعرائه: محمد بن حمير وسراج الدين أبو بكر بن دعاس والقاسم بن علي بن هتيمل . توفي سنة ٦٩٤هـ انظر ترجمته في كتاب العقود اللؤلؤية ج١ص٢٧٥ــ٢٨٤.

(١) المصدر نفسة ص١١٠.

(٢) المطبوع من الديوان.

(٣) المطبوع من الديوان ص١١٠.

إذْ لاعِـذَارَ ولا نُهـودَ ولم يَحِـنْ   لي أنْ أُطـرَّ ولَالَهَـا أنْ تَنْهَـدَا[1]

وكقوله :

ومُرْهَفَـــةِ المَوَشَّح بِنتُ عَشْرٍ   تُريكَ البَـدْرَ قلِّـد بالنجُـومِ
ومُرْهَفَـــةِ المَوشَّح بنتُ عشرٍ   لهَـا صدْرُ الغُـلام علىٰ الغلامَـةِ[2]

ويكرر افتتانه ببنت العشر فيقول :

ومُرْهَفَـــةِ الموشَّح بنت عشرٍ   سقَاهَـا من مدامِ الحسنِ ساقِـيْ[3]

ويقول :

ومعصفـر الخديـن يسخَـرُ لحظُـهُ   مِنْ ذي الحجىٰ وهو ابنُ عشرِ سنينِ[4]

ويقول :

فَرَغْيـاً ثُمَّ رَغْيـاً ثمَّ رَغْيـاً   لأيَّـام الشَّبيبـةِ والغَـرَامِ[5]
ولي خدُّ الغُلامـةِ بِنْتِ عَشْرٍ   وقَاتِلتِـي لها صَدْرُ الغُـلامِ

ويقول أيضاً :

إنَّمَـا العَيْش والهَـوىٰ قبلَ أن يَنْـ   ـجُمَ ثَدْيٌ أوْ أنْ يدبَّ عِذَارُ[6]

وكأنـه في البيت الأخير قد لخص مذهبه في الـعشق ورأيـه في أحلى أيامه .

ومن الصور الطريفة تصويره لولعه بالمحبوب بالهيئة الآتية :

---

(١) المصدر السابق ص١٤٩
(٢) لم يحن لي أن أطرّ: أي ينبت شاربي. يقال طرَّ الغلام أي نبت شاربه.
(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص١٥٦.
(٤) مخطوطة الديوان .
(٥) تالمصدر نفسه .
(٦) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٥٤ .

أُحِبُّكُـــمُ حُبَّ الجَبَـــانِ لنــــفسِهِ   وإنْ كانَ حظِّي عندَكُمْ غَيْرَ طَائِـلِ[1]

وربما تكون في صورته التالية التي يصور فيه جيوش الشيب وقد غزت مفرقه بعض الروعة حيث يقول :

وراَتْ مفْرِقِـــيْ فأفْزَعَهَـــا لَيْـــ   ـــلٌ تَمشَّىٰ في جَانِبَيْـــهِ نَهَـــارُ[2]

كما نجد في صورته الآتية احتفالية سبق بها عصره حين قال :

فَمَا خِيفَتِي في القُرْب إلاَّ من النَّوىٰ   ولا لَوْعتـي في اليـوم إلاَّ مِنَ الغَـدِ[3]

أما صوره المركبة فينهج في رسمهـا منهجين : أحـدهما تقليـدي قديم متوارث، والثاني إبداعي تجديدي بالنسبة لعصره ، فمن النوع الأول تلك الصور التي تأثر فيها بشعراء الجاهلية وشعراء فجر الإسلام أمثال الشاعر الجاهلي عنترة بن شداد [4] العبسي والشاعر المخضرم حميد بن ثور الهلالي [5] وغيرهما من الشعراء الذين كثر في شعرهم هذا التركيز ؛ ممن

---

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٥٤ .

(٣) مخطوطة الديوان .

(٤) عنترة بن شداد : شاعر جاهلي معروف من أصحاب المعلقات وقد كان من أصحاب الصور المركبة في شعره فهو في النص الآتي يصور ثغر حبيبته عبلة فيطيل في تفاصيل المشبه به حيث يقول :

وكـأن شارة تاجـر بقسيمـة   سبقت عوارضهـا إليـك من الفـم

أو روضة أنفـا تضمـن نبتها   غيث قليـل الدمـع ليس بمعلـم

جادت عليها كل عين ثرة   فتركـن كل قرارة كالدرهـم

سحـاً وتسكابـا فكـل عشيـة   يجري عليها الماء لم يتصرم

فلا يصل إلى وصف ثغر محبوبته حتى يوغل بالقاريء في صور عدة .

(٥) حميد بن ثور الهلالي : شاعر مخضرم عاش شطراً من حياتـه في الجاهليـة يروي د. أحمد عبد الواحد في كتابه : (حميد بن ثور دراسة فنية في شعـر المخضرمين) أنـه =

= آمضى خمسين سنة في الجاهلية، وقد أدرك حُنَيْناً مع قومه هوازن ثم عاش في الإسلام إلى سنة ٣٥هـ صنفه ابن سلام من فحول الشعراء .. ووصفه القدماء بأنه كان أحد الشعراء الفصحاء انظر ترجمته بتوسع في كتاب د. أحمد عبد الواحد. وحميد بن ثور من الشعراء الذين كثر في شعرهم اتخاذ موصوف يناسب المشبه مع التركيز بحدة على الجانب المشبه به وتفصيل جزئياته التي يشاركه المشبه في كثير منها كقوله يشبه وجده بحبيبته بوجد امرأة يئست من الزواج ثم تزوجت وأنجبت ولدا فلما شب عن الطوق وتسلم مقاليد الأمور في قبيلته وأصبح رئيسها ... وفي إحدى المعارك مع أعدائهم فجعت بقتل ابنها فحزنت لفقده يصور ذلك كله أو ينقله إلينا في شكل قصصي فيقول :

فوجدي بجمل وجد شمطاء عالجت ... من العيش أزماناً على صرر القل
فعاشت معافاة بأنْزَهِ عيشة ... تَرَىٰ حسناً أن لاتموتَ من القُلّ
قَضَىٰ ربُّها بعلاً لَهَا فتزوَّجتْ ... حليلاً وما كانت تُؤملُ من بعل
وعدَّتْ شهُورَ الحمل حتّىٰ إذا انقضَتْ ... فجاءت بخرق لادنيءٍ ولا وغْلِ

ولما شب الغلام تسلم قيادة القبيلة :

وقال لهم حمَّلتُمُوني أُمْرَكُمْ ... فلا تتركوني لاطراد ولا خذل
فبينَاهُ يحميهِم ويعطف خلفهم ... يسيرُ بعورات الفوارس والرّجْلِ
هَوىٰ ثائراً حرَّان يعلم أنه ... إذا ما توارىٰ القوم منقطعُ النَّبْلِ
فخرَّ وكرَّت خيله بَيْدَ لونِهِ ... ويثْنونَ خيراً في الأباعِدِ والأهلِ

وبعودون بخبر استشهاده فتذهل الأم المفجوعة وتصل بها الفجيعة إلى محاولة قتل نفسها :

فلما دَنَوْا للحيّ أسْمَعَ هاتفٌ ... علىٰ غفلةِ النِّسْوانِ وهْيَ علىٰ رحلِ
فقامتْ إلى مُوسىٰ لتذبَحَ نَفْسَها ... وأعْجَلَهَا وشْكُ الرَّزيَّةِ والثَّكلِ

هذه القصة الشعرية تشبه حالتيه، ففرحه بلقاء الحبيبة بعد تعطش يشبه فرح هذه المرأة في قصته الشعرية عند حصولها على مولود بعد يأس من الزواج، وحزن الشاعر على فراق الحبيبة يشبه حزن تلك المرأة على فقد ولدها . وابن =

يصفون الشيء فيتخذون له موصوفا يناسبه ثم يلحون في وصف ذلك المشبه أو المشبه به إلحاحا طويلا لإيجاد العلاقة ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به وذلك كقوله في رثاء الفقيه علي بن حسين البجلي [1] :

وَمَا أُمُّ فَرْدٍ شذَّبَ الدّهرُ غُصنهَا — بأَحْداثِهِ تَشْذيبَ إحدَىٰ الجرائدِ[2]
تعوِّذُهُ خوفَ الرَّدىٰ وتُعِدُّهُ — علىٰ كل حالٍ عُدَّةً للشّدائدِ
أَطَافَ بِهِ طيفُ المُنونِ فعادَهَا — من المَسِّ طيفٌ باختلافِ العوائدِ
بأَوْجَدَ مِنِّي ياعليُّ وإنْ هَمَتْ — عليكَ شُئُونُ الشامتِ المُتَواجدِ

فهو كما ترىٰ يشبه حزنه ووجده على المتوفَّىٰ بوجد امرأة انتظرت الزواج طويلا وبعد اليأس تزوجت فرزقت بمولود أخذت تعده للأيام وتنتظر فيه السند والمعين — بعد الله — أمام أهوال الحياة ومصاعبها وأخذت تعوذه بالتمائم خوفا عليه من الردىٰ ولكن القدر لا يرد فقد أتاه الموت في وقت حاجتها إليه فأصابها لفقده طيف من المس الذي ذهب بعقلها .

كل هذا الإلحاح على المشبه به كما نرى من أجل توضيح العلاقة ووجه الشبه لذلك نراه قد أخرج لنا صورتين من صورة واحدة .

وكقوله أيضاً يصف وجده وحزنه على فقيد المخلاف في عصره القاسم بن علي الذروي :

هتيمل يفعل شيئاً شبيها بهذا كما سنرى في النماذج المختارة .

(١) علي بن حسين البجلي : أحد فقهاء اليمن عرف بالكرم والمروءة، شقيق للمتصوف المشهور محمد بن حسين البجلي كان فقيها فاضلا ورعا تفقه به جماعة من أهل عصره كف بصره آخر عمره وكانت وفاته سنة ٦٧١هـ انظر العقود اللؤلؤية ج١ ص١٨٥.

(٢) المطبوع من الديوان ص٨٦.

وما مُرْ جَحِنَّاتُ القلوبِ شَراسِفٌ ظَأَرْنَ على بادي الزَّمانَةِ شَائِفِ[1]
رَوائمَ مايُصبِحْنَ غيرَ عَواكِفِ عليهِ، ولا يُمْسينَ غيرَ عَواكِفِ
إذَا شَارِفٌ حَنَّتْ من البِرْكِ[2] أُرزَمَتْ حذاراً عليه شَارِفٌ بعدَ شَارِفِ
بَصُرْنَ به لم يبقَ غير إهابهِ وأمْطَاقهِ من طوقهِ والشَراسِيفِ
وقد عكَفَتْ من حَوْلِهِ مضرَحِيَّةٌ محدَّبَةٌ آنافُهَا كالمخَاطِفِ
فيرجعن من بُحٍّ كأنَّ حنيها تزمجر رعدٍ في الْغَمَامَةِ قاصِفِ
بأَوْجَدَ منِّي يومَ راحَ ونَعْشُهُ طِوالُ الهَوَادِي سالِمَاتُ السوالِفِ

فهو قد ألح على المشبه به كل هذا الإلحاح وجسمه كل هذا التجسيم وذلك من أجل توضيح العلاقة ووجه الشبه بينه وبين المشبه.

ولعله كثير الشبه في إلحاحه هذا على المشبه به بإلحاح شاعر عربي عاش في العصر الأموي هو : الصمة بن عبد الله القشيري حيث شبه وجده بحبيبته «طيا» بعدة مشبهات بها حين قال :

ووجْدي بطيًّا وجْدُ هَيْمَاءَ حُلِّيَتْ عنِ المَاءِ كَانتْ مُنْذُ خمسينَ ضلَّتِ
إذا سافَتِ الأعْطَان أو شمَّتْ الثَّرىٰ رماهَا ولِيُّ الماءِ عنْهُ فولَّتِ
تَمَنَّتْ أَحَالِيْبَ اللِّقَاحِ وخَيْمَةً بنجدٍ فلمْ يقضَ لها ماتمنَّتِ
إذا ذكرتْ ماءَ الثميرِ وطِيْبَهُ وبرْدَ الحصَا في أرض نجدٍ أرنَّتِ[3]

---

(١) المصدر نفسه ص٩٣ والمفردات ستشرح في مقام آخر وفصل آخر من الدراسة بإذن الله.

(٢) البِرْك : بكسر الباء وسكون الراء :بلدة ساحلية على شاطئ البحر الأحمر بين بلدتي القحمة والقنفذة وتتبع حالياً إمارة مكة وتبعد عنها حوالي خمسمائة وسبعين كيلا تقريباً إلى جهة الجنوب.

(٣) ديوان الصمة بن عبد الله القشيري جمع وتحقيق د. عبد العزيز الفيصل ص٤٢ ومطلع القصيدة: =

كما يشبه في إلحاحه على المشبه به أيضا متمم بن نويرة أخا مالك بن نويرة الذي شبه حزنه على أخيه مالك ووجده به بوجد أظآر ثلاث ؛ إحداها عاطفة علي غير ولدها والثانية محبة لرضيعها والثالثة عاطفة على حوارها وأخذ يلح على وصف حنينهن وترجيعهن وأنه يشجى الأعداد الكثيرة من الإبل كل ذلك من أجل أن يشرح مقدار الحالة المشتركة من الحزن والوجد بينه وبينها[1] حيث يقول :

وَمَا وَجْدُ أَظْآرٍ[2] ثَلاثٍ رَوَائِمٍ ... أَصْبَنَ مجرًّا من حوارٍ ومصْرَعَا

يُذَكِّرْنَ ذَا البَثِّ الحزينِ ببثِّهِ ... إذَا حَنَّتِ الأولى سجَعْنَ لها مَعَا

إذَا شارِفٌ منهنَّ قامَتْ فَرَجَّعتْ ... حَنِيناً فأبْكَى شَجْوهَا البُرْكَ أجْمَعَا

بأوْجَدَ منِّي يومَ قَامَ بِمَالِكٍ ... مُنادٍ بصيرٍ بالفِرَاقِ فأسْمَعَا

والنوع الثاني من الصور المركبة هي تلك الصور التي تتسم بالبساطة وعدم التعقيد في التسلسل وتفصيل الجزئيات كهذه الصورة التي يرسم فيها مشهدا للقاء الحبيبة حين يقول :

طَرَقَتْ نَوارُ وللظلامِ بَقِيَّةٌ ... تَصِفُ الظَّلام وللصَّباحِ شَواهِدُ[3]

وتَجَلْبَبَتْ وَرَقَ الشَّبابِ فَذَائِبٌ ... للحُسْنِ من وَرَق الشَّباب وَجامِدُ

بِتْنَا وطَوْقُ المالكيَّةِ سَاعِدِيْ ... تَلْوِيْ ذَوائِبَهَا وطَوْقِي ساعِدُ

تَحْمِيْ عَوارِضَهَا إذا جَاذَبْتُهَا ... طَرَفَ اللِّثَامِ[4] عَقَارِبٌ وأسَاوِدُ

= ألا من لعين لاترى قلل الحمى ... ولا جبل الأوشال إلاّ استهلت .

(١) مجلة الأزهر الجزء الحادي عشر السنة الثانية والستون ذو القعدة ١٤١٠هـ (قراءة في نص من التراث) بقلم د. حامد الخطيب.

(٢) آظار : الإبل وقيل بل يجمع على أظؤر ـ لسان العرب ج٦ ص١٨٦ـ١٨٧

(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص١٦٨ ط١

(٤) في المطبوع الذي اختاره العقيلي (دون اللثام) وفى المخطوطة المصورة عن معهد المخطوطات العربية(طرف اللثام).

أَفْرَشْتُهَا جَسَدي فَبَاتَ مُضَاجِعِي ... قَمَرٌ عليهِ مِنَ النُّجُومِ قَلائِدُ
حتَّىٰ إذا نَصَلَ الدُّجىٰ وتَعلَّلَتْ ... جَزَعاً وَهبَّ مِنَ الهُجُودِ الهَاجِدُ
قَامتْ تُغالِظُنِي الكَلَامَ فطائِشٌ ... لا يَستَقِيمُ مِنَ الكَلامِ وقَاصِدُ

فالصورة التي رسمها هنا في هذه الأبيات قريبة الشبه بصورة عمر بن أبي ربيعة للقاء أحبابه لافى التفصيلات الجزئية فحسب بل وحتى في خيالها حيث جعل نفسه كعمر ؛ مقصودا من أحبابه بالزيارات والمغامرات الغرامية الليلية (١) .

ولنستمع إليه يرسم صورة أخرى للحظة وداع فيقول :

ومَهْضُومَةِ الكَشْحَينِ لَوْ أنَّ حِجْلَهَا ... وشاحٌ عَلَيْهَا جَالَ في خَصْرِهَا الحِجْلُ (٢)
أشارَتْ بمخضُوب أراعَ عُيونَنَا ... إليهِ البَنَانُ الطِّفْلُ (٣) والسَّاعِدُ العَبْلُ (٤)
وقالتْ وَنَبْلُ البَيْنِ تَرْشُقُنَا بِهِ ... قِسِيٌّ لهَا في كُلِّ جَارِحةٍ نَبْلُ
تَجَرَّعْ أُجَاجَ الصَّرْمِ (٥) واصبرعلى النَّوىٰ ... فلَوْلَا أُجَاجُ الصَّرْمِ ما عَذُبَ الوَصْلُ
وواللهِ مَاأَنسىٰ الوداعَ وموقِفاً ... تَفَرُّقُنَا فيهِ يَمَرُّ ولا يَحلُو

---

(١) من أمثال قول عمر بن أبي ربيعة مدعياً أن حبيبته هي التي تسعى إليه:
أرسلت هند إلينا رسولاً ... عاتباً أنَ مالنا لا نراكا
فيم قد أجمعْتَ عنا صدوداً ... أأردت الصرم أم ماعداكا
إن تكن حاولت غيظي بهجري ... فلقد أدركت ما قد كفاكا
(ديوان عمر بن أبي ربيعة تحقيق وشرح محمد محيي الدين عبد الحميد ط٢ ص ٤٧٤) .

(٢) المطبوع من الديوان ص ٦٩ .

(٣) البنان الطفل : الناعم ، ومنه قول الشاعر :
بأطرافها الحناء في سبط طفل

(٤) الساعد العبل : المتين الكبير .

(٥) الصرم : الهجر والقطيعة .

وإذا كنا قد التقطنا له صورتين : إحداهما يصور فيها لقاء الحبيب ويصور في الثانية لحظة وداع الحبيب فلا بأس بأن نختار صورة ثالثة نراه فيها يرسم وقائع معركة عظيمة وقعت بين ممدوحه أحمد بن الحسين من جهة وبين الحمزات والرسوليين من جهة أخرى ، فانتصر فيها ممدوحه أحمد بن الحسين فأخذ بعد أن أفاض عليه من النعوت يصور أحداث المعركة فيقول :

أَفَاءَتْ عليكَ الخالِعِينَ كَتَائِبٌ … عَدِيْدُ الحَصىٰ والرَّمْلِ دونَ عدِيدِهَا[1]
يَرُدُّ نَسِيمَ الرّيحِ رَكْزُ رِمَاحِهَا … ويَحْجُبُ عَيْنَ الشَّمْسِ خَفْقُ بُنُودِهَا
ومَلْمُومَةٌ مهدِيَّةٌ قَاسِمِيَّةٌ … يَغُضُّ حَدْيدَ الطَّرْفِ لَمْعُ حدِيْدِهَا
تَدُوسُ فِرَاخَ الطَّيْرِ بَيْنَ وكُوْرِهَا … وتَشْدَخُ رُوْسَ العُصْمِ بينَ رُيُودِهَا[2]
وحَوْلَكَ ساداتٌ خَلَتْ من حصُونِهَا … حذَاراً، وغابَاتٌ خَلَتْ من أُسُودِهَا

وشاعرنا في وصف البطولة وتسجيل الوقائع قريب الشبه بأبي الطيب المتنبي في سيفياته . وإذا كنت قد أتيت على بعض ألوان الصور التي زخر بها شعر ابن هتيمل فتعالوا بنا إلى نموذج آخر يشتمل على عدة صور لكنها في هذه المرة صور مشتركة بين الشاعر والقاريء والسامع وهي بما يسمى بـ « أفلام الكرتون» قريبة الشبه ذلك لأن الشاعر يفرض على السامع والقاريء التعبير بالحركة عن الصورة التي أرادها، وهذا من إبداعه الذي لم يسبق إليه ولم يحاك فيه ، وتعالوا بنا نتملّىٰ هذه الصور بل نشترك مع الشاعر في رسمها :

يَمِيسُ قوامُ الرُّمْحِ كَالْغُصْنِ هَكَذَا … ومَبْسمُهُ البَرَّاقُ يَلْمَعُ هَكَذَا
وألفَاظُهُ بِالسّحرِ تَرشُقُ مُهْجَتِي … فأجْعلُ كفِّي فوقَ رأسي هَكَذَا
وأطْلُبُ منهُ الوصلَ سِرّاً فيستَحِي … ويُوْمِي بِتَرْكِ الوَصْلِ بالرَّأْسِ هَكَذَا

---

(١) المصدر نفسه ص ١٤٥٤ ــ ١٤٥ وأحمد بن الحسين سبقت ترجمته .

(٢) بين ريودها : الريود : الأشياء الناتئة من الجبل .

وأَكْتُمُ دمْعِي منْ عَذُولِي مَخَافَةً ... وأَمْسَحُهُ منْ فَوْقِ خَدِّيَ هَكَذَا
وإنْ لاحَ لِي بَرْقٌ بجَازَانَ لَمْ يَزَلْ ... فُؤَادي من الأحزَانِ يخفِقُ هَكَذَا
وللَّه يَوْماً إذْ تَرَانِيَ مِنْكُمَا ... يَسيرُ علىٰ أطْرَافِ رِجْلَيه هَكَذَا[1]

ويستمر على هذا المنوال في رسم صوره المتحركة إلى أن يقول :

وَصَلَّىٰ إلٰهي كُلَّ يَوْمٍ...عَلى الَّذِيْ ... لهُ خَرَّتِ الأصْنَامُ في الأرْضِ هَكَذَا

مختتما هذه الرائعة التي تشبه في روعتها وإبداعها قصيدة «الخال»[2] التي أبدع فيها الحسن بن أحمد عاكش فجاء بثلاثين معنى للخال في شعر قوي وخيال مجنح وعبارات رصينة ، ورد عليه تلميذه ومعاصره أحمد بن محمد الضحوي [3] المعافى بقصيدة مماثلة أتى فيها هو الآخر بمعاني الخال .

ولست في حاجة إلى السؤال عن توضيح هذه الصور فكلنا ساهمنا في تلوينها وزخرفتها !! على أن دارس شعر ابن هتيمل سيدرك فيه هذه الوحدة الشعرية التي تتسم بها أبيات كل قطعة، فليس كل بيت ينفرد بمعناه ، وإنما يرتبط معنى كل بيت بمعنى البيت الذي يليه، وهذه مزية لا ينفرد بها ابن هتيمل وحده، وإنما هي خصيصة يشاركه فيها أكثر شعراء العربية ممن يتخذون العمود الشعري نمطا لسكب نخبهم وأنغامهم .

---

(١) هذه القصيدة أتحفني بها أستاذي محمد بن ناصر الحازمي المدرس بالمعهد العلمي بضمد حين علم عن عنايتي بدراسة شعر ابن هتيمل فله خالص شكري وتقديري .. والقصيدة نادرة لم أجدها في ثلاث من مخطوطات الديوان التي عثرت عليها .

(٢) قصيدة الخال : نشرها الأستاذ العقيلي في مجلة العرب عام ١٣٩٢هـ، ومطلعها والرد عليها وارد في كتاب نيل الوطر/ج١ ص ٢٠٣ ـــ ٢٠٤ لزبارة وقد أبدع فيها عاكش إبداعا تفوق فيه .

(٣) نسبة إلى بلدة الضِّحِي باليمن .

وما أحرى نقاد الأدب المحدثين الذين يصفون قصيدة الشعر العمودي بأنها خالية في مجموعها من الوحدة الشعرية وأنها تقوم فقط على وحدة البيت ما أحراهم أن يلتفتوا إلى خطأ هذه النظرة ليصححوا نظرتهم إلى الشعر الأصيل وليقنعوا أطفال (١) الأدب ممن يدعون التجديد، ببعدهم عن روح الشعر الرصين والأدب الرفيع ، ولاشك أن دارس شعر ابن هتيمل وسواه من الفحول سيدرك هذه الحقيقة أتم الادراك، وسليمس السلاسة والتسلسل في رسم الصور واستجلاء المعاني مع وجودها في قوالب أخاذة وعلى أنغام تألفها أذواقنا وتأنس بها حواسنا .

(١) عنيت بأطفال الأدب من يسمون أنفسهم بشعراء الشعر الحر أولئك النفـ الذين قصرت بهم هممهم عن السير في ركاب الفحول من شعراء العربية ... فأخذوا يقدمون للقراء كلمات تكثر بجانبها النقط وكأن صاحبها يطلب اكتمالها في شعر عجز هو عنه . وأي شعر هذا الذي يدعون؟ إنه لا يمت بصلة إلى الشعر كما أن النثر الفني براء منه فالنثر الفني في غنى تام عن الكلمات المنقطة ..

إذا الشعر لم يهززك عند سماعه فليس خليقاً أن يقال له شعر

(ج) أغراضــه الشعريــة

برغم مما يتميز به شعر ابن هتيمل من جزالة وفخامة، ورقة وعذوبة وسلاسة ومتانة ، فإن الأغراض الشعرية التي نظم فيها الشاعر ة تختلف عن الأغراض الشعرية التي عرفها شعراء العربية في عصورهم المختلفة ، فقد استوفى شاعرنا الأغراض التي سادت في عصره .. .. .. فصاغ ألحاناً في الغزل والحنين وأبدع في الوصف، وتغنى في طبيعة بلاده، وعالج الرثاء، وعرَّج على الشكوى من أهل زمانه ، وشارك في الاخوانيات ، إلى جانب تميّزه في شعر المديح الذي كان له فيه جولات وصولات .. وفي الأسطر القليلة الآتية سنشير إلى بعض أغراضه الشعرية .

أولاً : المديــــح :

يأتي المديح في المرتبة الأولى بين سائر أغراضه الشعرية من حيث عدد القصائد والأبيات، وإن امتزج بالغزل والنسيب، أو المقدمات الطللية، أو حتى الخمريات على عادة بعض شعراء العصر العباسي ، أو مازجه بشعر الشكوى أو العتاب أو ما شابه ذلك ، فقد بلغت القصائد التي حواها ديوانه الضخم مائتين وثمانياً وسبعين قصيدة ، يختص المديح منها بمائتين وأربع وعشرين قصيدة تمثل خمسة الآف وتسعمائة وواحدا وسبعين بيتاً من مجموع عدد أبيات الديوان في مخطوطة اليمن المصورة عن معهد المخطوطات العربية بالقاهرة والبالغ مقدارها سبعة الآف وتسعمائة وثلاثة وثلاثين بيتا[1] ، تشمل سائر الأغراض . غير أننا لو عدنا إلى قصائد المديح لوجدنا المديح الخالص فيها لا يمثل سوى أقل من نصف هذا المقدار وذلك بعد أن نُخرج

(١) أما نسخة جامعة الملك عبد العزيز فإن عدد أبياتها سبعة آلاف وثلاثمائة وخمسة أبيات فقط .

من تلك القصائد : المقدمات الغزلية ، أو **الطللية** ، أو الخمريات ، وبعد أن نستل منها شعر الحكمة أو الحنين، أو وصف الطبيعة ، أو شعر الشكوى .... إلخ . وهي أغراض شعرية أفرد لبعضها غرر قصائده ، وأتى على بعضها في ثنايا مدائحه وربما أتى على بعضها في بعض مراثيه . ولأن شاعرنا قد عُمِّر طويلا فقد مدح أمراء المخلاف السليماني ومدح أمراء حلي وأشراف مكة والأمراء الرسوليين في اليمن وصاحب ظفار وبعض أعيان المخلاف السليماني .

وابن هتيمل في مدائحه يبالغ في الثناء على ممدوحه حتى يهين من سواه كما يشير إلى ذلك صاحب كتاب مطلع البدور [1] . ومن مدائحه نختار قصيدة لم تضمها مختارات العقيلي وهي نموذج يمثل محاولة الشاعر السير على طرائق من أسموهم بالشعراء المولَّدين في العصر العباسي أصحاب المقدمات الخمرية، وحين يرى نفسه قد أسرف في هذا المسار يعود إلى الغزل بل ربما اعتبر وصفه للخمر وساقيها تورية عن الحبيبة التي لا يمسها خشية عليها من الواشين وكيدهم لذلك ينتقل من وصف الخمر إلى وصف الحبيبة ثم يتخلص إلى المديح كما نرى ذلك في قصيدته الآتية التي يمدح فيها الملك الأشرف عمر بن يوسف الغساني [2] :

---

(١) انظر مقدمة المختار من الديوان في طبعته الأولى ص ٢٧ وتنظر مخطوطة مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال نسخة غير كاملة وغير مرقمة الصفحات لدى الأستاذ محمد علي الحازمي . المحاضر بكلية اللغة العربية بأبها .

(٢) الملك الأشرف هو : عمر بن يوسف بن عمر بن رسول تولى إمارة اليمن بعد وفاة والده المظفر وكان ملكا عاقلا فاضلا أديبا لبيبا اشتغل بالعلوم وبرز في بعض الفنون وله بعض المصنفات توفى سنة ٦٩٦هـ انظر ترجمته في العقود اللؤلؤية ج١ ص ٢٨٤ .

قُمْ أدِرْهَا صِرفاً بكأسٍ دهَاقِ(١) ... حُلْوَةَ الطَّعمِ مُرَّةً في المَذاقِ(٢)
كَشقيقِ الرِّيَاضِ أو حُمْرةِ العَنْدمِ(٣) لوناً أو كالدَّمِ المُهْرَاق
صَبَّ فيها الرواوقُ في القدحِ الأزْ ... هَرِ نَاراً سَليمةَ الإحراقِ
ذاتَ لونين لا تُغَادِرُ للحَسي ... سي جِرَاكاً فيهَا وَلَا للسَّاقِي
أكَلَتْ جسمَهَا الدِّنَانُ فأفنَتْـ ... ـهُ فالجسْمُ فانٍ والروُّحُ بَاقِي
فهيَ عندَ التَّحصيْلِ يُوجَدُ فيهَا ... رَمَقٌ خافتٌ من الأرْمَاق
مِنْ يَديْ رَخْصَةِ(٤) البَنَانِ كقَرْ ... نِ الشمسِ حُسناً في الضوءِ والإشرَاقِ
طَفْلَةِ الكَفِّ ضَخْمةِ الكَفَلِ الرَّجْـ ... ـرَاجِ هيفاءَ، لدْنَةٍ في العِنَاق
لو تَرانَا يومَ الفِراقِ وقدْ جَا ... دَ لنا باللِّقاءِ يَوْمَ الفِراقِ
أسعفَتْ غفلةُ الرَّقيبِ فَفُزْنَا ... بالتَّلاقِي في غَيْرِ وقْتِ التَّلاقِي(٥)
قُبَلٌ تُؤْلِمُ الشِّفَاهَ وَضَمٌّ ... كادَ أن يُبْلِغَ النُّفوسَ التَّراقِي
فَحَلالٌ ما كَانَ فَوْقَ الوِشَا ... حينَ حَرَامٌ ماكَانَ تَحتَ النِّطَاقِ
يَامَريضَ الجُفُونِ يَافَاتِرَ النَّظْـ ... ـرةَ سُقْماً، يَاسَاحِرَ الأحْدَاقِ
أيْنَ ذَاك المِيْثَاق؟ والعَهْد يا ... غَيْرَ وفيٍّ بالعهدِ والمِيثَاقِ(٦)
فَإلامَ الإعْرَاضُ؟ أصْلَحَكَ اللّـ ... ـه وطُولُ الإرْعَادِ والإبْرَاقِ
إنَّ في روضِهِ الخصيب(٧) منَ النِّعْـ ... ـمَةِ مَافي سَوادِ العِرَاقِ
بَلَدٌ طيِّبٌ حَوىَ لَذَةَ العيـ ... ـش وروح المشوق والمشتاق
وَهيَ سوقُ الأرْزَاقِ والمَلِكُ الأشْـ ... ـرف معدن الأرزاقِ

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) كأس دهاق : مترعة ممتلئة وصافية (المعجم الوسيط ج١ ص٣٠٠ .)

(٣) العندم : دم الأخوين يقال فتح أفواه عروقه عن دم كأن لونه عندم (انظر القاموس المحيط ج٤ ص١٥٥ وانظر أساس البلاغة ص ٤٣٧ .

(٤) رخصة البنان : ناعمة . المعجم الوسيط ج١ ص ٣٣٦ .

(٥) الخصيب يقصد به الشاعر مدينة زبيد عاصمة ملك ممدوحه الأشرف. وهو اسم كان يطلق على زبيد قديما .

نابــه الذكـــر، شكـــــره ملأ الأرْ ... ضَ ووافىٰ من فوق سبــع طِبَــاق
غَدِقُ المَكْرُمَـاتِ تَجْـرِي يَنَابِيْـــــ ... ـــيـع يديــه بالنايــل الغيــــداق
مشرِفٌ في النَّـوال كفَّــاه في تفـــ ... ـريــق ما في جهاتــه في سبـــاق
حَسَنٌ وجْهُــهُ يَكَــادُ أَنْ يَقْـــــ ... ـطــر حسنــاً من مائِـه الرَّقــراق
فَتَـنَ المحْصنــات حتـــى تبرَّعْـــــ ... ـــن ببذْل الصَّداق قبــل الطــلاق
ياابـنَ مِلْء السَّماءِ والأرْض والعـــ ... ـالم ذِكْــراً ولـــيس ملء الــرّوَاق
وابـنَ مَنْ أَنْفَـقَ الخزائـن في الإســـ ... ـلام حتـــى محت رسوم النفـــاق
قد حَمَيْتُمْ طَوارِقَ المُـلْكِ بالبيـــــ ... ـيض المواضي وبالجيـاد العتـــاق
ما سَنـنتم إلا الــذي سَنــه اللَّـــــ ... ـــه تعـالى في الأَسْرِ والإطـــلاق [1]
حيثُ أَثْخَنْتُـمُ العِــداَ وَجَعَلْتُـــــمْ ... بعـد ضرب الرقـــاب شد الوثـــاق
قد لعمـري طوقتني ياأبـــا المنـــــ ... ـصور[2] طوقــاً علا على الأطـــواق
أَنَـــا عَبْـدٌ لَا أَبْتَغـــي مِنْكَ عِتْقــاً ... وأُحَـــاشِي رِقِّـــي مِنَ الإعْتَـــاقِ
فإذَا مَازَفَـــفْتُ نَحْـــوكَ بِكْــــراً ... فُزْتُ مِنْ زَفِّهَـــا بِضِعْـــفِ الصَّدَاقِ

فالشاعـر كما ترى قد أسرف في وصف حسن وجــه ممدوحــه حتـــى تبرعت ذوات الحسن بصداقهـن بعـد أن فتنهن حسنه اليوسفـــي ، كما نراه قد أغدق عليه من نعوت الكرم والشجاعة ما يوحي بعدم توفر مثل تلك الصفـات في غيره ، فلقد بالغ في الثناء عليه حتى جعل ذكره ملء السمـاء وملء الأرض بل والعـالم كلـه ولا غرابـة في ذلك فهـو شاعـر يتـكسب بشعـره ويرجـو نوال ممدوحـه رجـاءً يلمِّـح به أحيانـا ويصرح به في أحيـان كثيرة كقولـه يمدح علي ابن محمد الذروي .[3]

(١) يشير الشاعر إلى الآية الكريمة ، ﴿ فإذا لقـيتم الذيـن كفـروا فضرب الرقـاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق﴾ سورة محمد . جزء من الآية ٤ .

(٢) مخطوط الديوان .

(٣) علي بن محمـد الـذروي : أحـد أقـارب أمير المخلاف السليمـــاني القـــاسم بن علي

الحِلْمُ والعلمُ والإقدامُ فيــه معــاً   والبرُّ فيه وفيه الدِّيْــنُ والــوَرَعُ
هذَا الأميرُ الــذي أدنــىٰ مواهبــهِ   لِسَائليــهِ جِيــادُ الخيــلِ والخلَــعُ
النفعُ فِيهِ، وفيــهِ الضر قد جُمِعَــا   وآخَــرُوْنَ فمــا ضَرُّوا ولانَفَعُــوا

فالـذرويُّ يمنح سائليه جياد الخيل ، ويمنحهم الخلع الثمينة، ويغدق على معتفيه فيض عطائه الدّفاق لأنه كما يراه الشاعر هو الذي ينفع أشياعه ببره وعطاياه وإحسانه، ويضر أعداءه ببطشه وعنفوانه، أما غيره من الناس فلا يملكون هذه الخلال، ولا غرابة في هذا فآل ذروة الذين ينتمي إليهم ممدوحه هم أولو الفضل وآله دون بقية الأنام على حد قوله الآتي :

وأنتُــمْ من الحيِّــن ياآل ذَرْوَةٍ   أولُو الفَضْلِ قَطْعاً والأنَامُ فُضُولُ[1]

وهذه حقيقة رصدها عنه صاحب مطلع البدور فقال : (إذا مدح أحداً أهــان من سواه) [2]؛ من ذلك قولــه يمدح صاحب حلي : أحمد بن علي الحرامي العقيلي وآله :

إنَّ المُلُوكَ بَنــو يَعْقُــوبَ قَاطِبَــةً   قَطْعاً وكلُّ ملوكٍ غَيرَهُمْ سُوَقُ[3]

ولهذا البيت قصة طويلة عجيبة كادت أن تودي بحياتــه لدى المظفــر الرسولي الذي غضب من هذا القول واستدعاه في جريدة من الخيل في قصة طويلة استوفاها صاحب مطلع البدور وأشار إليها العقــيلي في مقدمــة الجزء المطبوع من الديوان [4] . لذلك عاد الشاعر فمدح المظفر الرسولي وجعله

الذروي والأشراف الذروات أسرة ظلت تتمتع بالسيادة ورئاسة مخلاف صبيا قرونا عديدة .

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) مطلع البدور ـــ مخطوط .

(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٧٤ ط٢ .

(٤) مقدمة الجزء المطبوع من الديوان ص ٢٧ ـــ ٢٨ .

يرجع في وزنه ومكانته ملوك الزمان حيث قال :

ولقد وزنتُ بِهِ الملوكَ فَلَمْ أَجِدْ ... ملِكاً أَرَاهُ سِوَاهُ في المِيْزَانِ [1]

وبالغ في مدحه فجعله سيد السادات، ملك الملوك بما فيهم بنو يعقوب حيث قال :

ملكُ الملوك وسيِّدُ الساداتِ منْ ... مُضَرٍ ومنْ قحطانها ابنة هود[2]

وهاهم الكرماء كلهم أذناب لممدوحه ابن وهاس :

ومتى خبرنا الأكرمين فإنهم ... في الجود أذناب وأنت الراس[3]

وينوع ابن هتيمل في مقدمات مدائحه فهو تارة يشبب بالحبيبة ويتدله، وقد يستعيض عن النسيب بمقدمات طللية يظهر فيها حنينه إلى الديار ، وقد تشاركه رواحله في ذلك الحنين فيطلب من حادي إبله أن لا يريها أثل البديع ؛ ذلك الأثل الذي يحرك حنينها وولهها :

فلا ترها أثل البديع فإنها ... تحن إلى أثل البديع وترزم [4]

كما يؤكد ابن هتيمل التصاقه بمؤثرات العصر العباسي — كيف لا وقد أدرك أواخره !! — فيأتي بمقدمات خمرية يصف فيها أواني الشراب وألوانه وساقيه فيوهمك أنه من ندماء بَشّار ورفاقه — وهو «العلاَّمَة» كما يقول عاكش في إحدى مختاراته — ولكنها المحاكاة والمسايرة والسير على سننهم رأي الشاعر القائل :

---

(١) مخطوطة الديوان .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٨١ .

عادة في القـريض ذكـر المغـاني   والغواني، وهات كأسي ودَنّـي[1]

أو ما عبر عنه ابن هتيمل بقوله :

مِلَّـةٌ أحدثهـا أهـل الهوىٰ   أُصبحَتْ في تَابعيهِـمْ مِلَـلَا

وشاعرنا لا يفرد هذا الغرض المستحدث بقصيدٍ مستقل كما فعل بعض شعراء العصر العباسي ومن سار على سننهم وإنما اكتفى بجعله جزءاً من مقدمة مديحه يتوصل به إلى ذكر الحبيبة ووصف بعض مفاتنها . بل ربما اعتبر لجوءه لوصف الخمرة وساقيها هروبا من ذكر اسم الحبيبة وذكر صفاتها المباشرة خشية عليها من الواشين أو لأسباب أخرى يحتفظ بها لنفسه ؛ لذلك سمعناه يؤكد هذا المعنى وأنه إنما كان يورّي بذلك حيث يقول في إحدى تلك الخمريات المبررة فهو في غنى عن العقار الذي يذهب بالعقل بريق ثنايا الحبيبة :

أديرَاهـا يَمينـا أو شِمَـالَا   وحُثَّاهـا صِغـاراً أو كبـاراَ[2]

فَمَاصِرٌ فتُمَـا قَدَحـاً ورَاحـاً   علـىٰ النُّدمـاء بلْ نُوراً ونـاراَ

عروساً كُلمَّـا اجتُلِـيَتْ تَبـاهَتْ   غُلَالَتُهَـا اصفِـرَاراً واحمِرَارَا

تُعَصْفِـرُ كَفَّ ساقيها وتَـكْسُو   شِفَـاه مُقَبِّـلِيها جلّنَـارَا

ويستمر في وصف ساقيها إلى أن يقول في وصف شِدة تأثيرها :

ومـا وُصِفتْ لشرب القـوم إلاَّ   رأيتَهُـمُ ومـا سِكـرُوا سُكَـارَىٰ

ثم يبرر صنيعه هذا وهو العالم الفاضل بل العلامَّة كَمَا وصفه عاكش وغيره يبرر مجاراته لأصحاب هذا الشأن فيقول :

---

(١) شعراء اليمن في القرن الرابع عشر سلسلة مقالات هي دراسة أدبية للأديب الشاعر أحمد محمد الشامي . صحيفة المدينة ملحق الأربعاء عدد ٣٣٥ في ١٤١٠/١٠/٢٨هـ .

(٢) مخطوطة الديوان .

أوَرِّي عن نوار بوصل أخـــــرى فواعجبـــــاه من صَرْمـــــي نُوَارَا
وَمَـا أنَــا والعقَــار وقــد سقَتْنِــي ثَناياهـــا وعيناهـــا العقــــارَا

ثم ينتقل بعـد ذلك إلى زجـر مطيتـه، ثم إلى الشكـوى من المشيب حتـى يصل بعد ذلك إلى ما سمى ببيت التخلص، وقد يعود إلى التشبيب، وقـد ينتقـل إلى الشكـوى أو الحنين، فهـو يزاوج بين هذا وذاك ولا يستقـر على نمط واحـد من تلك المقدمات وربما أتى على نوعين منها أو أكثر في تمكن واقتدار .

ثانياً : الغــزل :

وحتـى في الغـزل الخالص وهـو قليـل في الديـوان نجده يقـدم بين يدي الحبيبة سؤالاً عن الديار، شيحها وحوذانها، أثلها وأراكهـا ، نسيمهـا وشميمهـا، ثم ينتقل بعد ذلك لمخاطبة الحبيب وذلك من أمثال قوله .

خَلِّنِــي أَنْــدُبُ بَالِــي الطَّلَــــلِ وأرِحْنِــي واستــرِحْ مِنْ عَذَلِــي[1]
أَنْتَ مَشْغُــوْلٌ بِلَوْمِــي والَّـــذِي لُمْتَـــهُ عَنْ لَوْمِـــه في شُغُـــلِ
لستُ لِي إنِّــي لِغَيْــري فاستَمِــعْ قَرَرِي، واشْهَــدْ بأَنِّـــي لَسْتُ لِي
أنــا ذَا مَلَّــكْتُ قَلْبِــي قاتِلِـــي علِّنِــيْ أفعــلُ مالَـــمْ يُفْعَـــلِ
ومِـــرَاضُ المُقَــلِ استَهْوَيْنَنِـــي آهِ مَابِـــي مِنْ مِرَاضِ المُقَـــلِ
وَعُيُـــونٌ عَبثَ السِّحـــرُ بِهَـــا كَحَّــلَتْ أجْفَانَهَـــا بالكحـــلِ
كُلُّ شَمْسٍ تَحْتَ لَيْــلٍ فَاحِـــمٍ نَفْحــةُ الـمِسْكِ وذوْبُ الــعَسَلِ

وكقولـه وقـد حَنَّ للديـار والدمـن لأنها ربما ضمَّت بين رباهــا سيـــدة القلب التي صدّت عنه مراغمـة بفعـل الـوشاة فيتدفـق الوجـدان، مستخدمـا في هتافه لغة تقطر لوعة وحنينا : [2]

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٨٢ .
(٢) مخطوطة الديوان .

أُحِبُّ إلَيَّ بساكِنِي نَجْدِ ... وبِنَشْرِ ذَاكَ الطِّيبِ والرَّنْدِ
يَادِمْنَتَيْ حَضْرَان مَا فَعَلَتْ ... رِيحُ المَصَايِفِ فِيْكُمَا بَعْدِي
نَسَفَتْ تُرَابَكُمَا فَلاحَ لَنَا ... طَلَلُ الجَمِيعِ كَمَنْهَجِ البُرْدِ
وَلرُبَّمَا كَانَتْ تَحِلُّ بِهِ ... رَيَّاالبَدَيْنِ رَشِيْقَةُ القَدِّ
فَعَلَتْ بِقَلْبِكَ مُقْلَتَا هِنْدِ ... مَايَفْعَلُ الصَّمْصَامَةُ الهِنْدِي
صَدَّتْ مَرَاغِمَةً وعَاتِبَةً ... والحُسْنُ مطبوعٌ علَىٰ الصَّدِّ
لَوْ يَعلَمُ المُغْرِي بِفُرْقَتِنَا ... ما عِنْدَ سَيِّدَتِي وَمَا عِنْدِي
لَبَكَىٰ عَلَى تَشَتِيْتِ فُرْقَتِنَا ... وَعَلَىٰ الفِرَاقِ أضَرَّ مِنْ وَجْدِ

ولن نتعمق في غزله، ولن نفسد على القارىء متعته بما نقلناه فنذهب به إلى تحليلات للنصوص أو غوص في أعماقها ولكن نود أن نشير إلى خصيصتين في هذا اللون من شعره: الأولى تجديده في الصور الفنية وسبقه لعصره فقد جعل محبوبته في أحد أبيات قصيدة له تشبه المكيف ملطف الحرارة :

لذة للضجيع في البرد حرّ ... يتلظى به وفي الحرّ برد

والثانية تجريده لزمن الوله بالمحبوب والتدله في عشقه فقد جعل ذلك حين تكون الحبيبة في سن العاشرة ومع أن هذه السن صغيرة إلا أنه كررها في قصائد كثيرة ــ لاقتناعه بذلك؛ مبرراً له بأنه هو العمر الذي يسعد فيه الفتى الأَمْرَدْ ببنت العشر التي لم تنهد :

إنَّمَا العيشُ والهَوىٰ قَبْلَ أن يَنْـ ... ـجُمَ ثَدْيٌ أَوْ أَنْ يَدِبَّ عِذَارُ[1].

لذلك سمعناه يؤكد على هذه السن في قوله :

ومُرْهَفَةُ المَوَشَّح بنْت عَشْرٍ ... لَهَا صَدْرُ الغُلَامِ عَلَىٰ الغُلَامَهْ

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٥٤ .

ثَلَـجْتُ بِصَدرِهَـا وَقَـدَات صَدْرٍ تَبِـيْتُ لَظَـى صَبَابَتِـه ضِرَامَـهْ

وإذاً فالفترة الغنية بالأحلام وحلو الرؤى هي فترة الصبا المبكر جداً في حياة الفتى والفتاة، كما يرى ابن هتيمل . بل هو يرى أن الفتاة في سن العاشرة من البله القواتل اللاتي يتصيدن الأحبة بحسن القدود ورخيم الدلّ وشاعرنا ممن وقع في مصيدتهن .

ومُرْهَفِـة المَـوشَّح بنت عشْرٍ تُرِيكَ البـدْرَ قُلِّـدَ بالنُّجُـومِ[1]
مِنَ البُلْـهِ القَوَاتِـلِ تَيَّمَتْنِـي بِحُسْنِ القَـدِّ والـدَّلِّ الرَّخِيْـمِ
تَخَـطَّتْ نَحوَ مَضْجَعِـيَ الفَيَافِـي فَحـيَّتْ غَيـرَ ذِي سِنَـةٍ وَنَـوْمِ
فَرَشْتُ لَهَـا رِدَايَ ولَـيْسَ نِصفـاً لأنَّ النَّصْفَ مِنْ شِيَمِـي وخَيْمِـي
ولـو أنَّـي قَدَرْتُ هَوىً ورِقَّـا وإجـلَالاً فَرَشْتُ لَهَـا أدِيْمِـي

ولا ندري هل زارته بنت العشر وهو في سن اليفاعة أمرد؟ أم اغترت به البلهاء وقد أخذ يدلس على الغواني فيخضب بياض شعره (الذي ربما حسبته بله الغيد غير خضاب) ؟ نتساءل هذا التساؤل لأننا نجده في مقطع آخر يشكو مما فعلته به أصداغ بنت العشر فيقول :

وواضحـة التَّـرائبِ بنت عَشْرٍ تَوَشَّحَ خَصرُهَـا حضَضاً وَوَدْعـاً[2]
تُرِيْكَ البـدْرَ أُنْصَفَ في عَمُـودٍ مَضَتْ لَيْلَاتُـهُ سبْعـاً فَسبْعـاً
تَرَىٰ في كلِّ عضوٍ بانَ مِنِّـي لِعَقْـرِبِ صَدْغِهـا حُمَـةً ولَسْعـاً

ويظل ابن هتيمل يلهج ببنت العشر حتى وهو يتحسر على أيام الشباب التي تولت وأعقبته الحسرات لذلك سمعناه يردد :

---

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) المصدر نفسه . والحضض : ثمر يشبه حب الفلفل ناتج عن شجر يماثل شجر المر والصنوبر . لسان العرب ج٨. والودع : خرز بيض جوف في بطونها شق كشق النوى . لسان العرب .٦ ص ٢٦٠ .

فرَغْيــــاً ثم رَغْيــــاً ثم رَغْيــــاً لأيَّــــام الشَّبِيْبَــــةِ والغَــــرَامِ[1]
ولي خَدُّ الغُلَامــــــــةِ بنتِ عَشْرٍ وقَاتِلَتــــي لَهَــــا صَدْرُ الغُــــلَام

وبالجملة فقد ظل ابن هتيمل يتغزل ويشبب حتى وقد بلغ من العمر عتيا، ولم يضعف أداؤه في هذا الغرض ولم يَبِنْ عليه التكلف ولم تظهر على شعره في سائر الأغراض بعامة وفي غزله على وجه الخصوص إلاّ روعة الفن وجلال العطاء سواء أكان غزله معاناة وتجربة أم كان مجاراة ومحاكاة على حد قول الشاعر :

عادة في القــريض ذكــر المغــاني والغــواني وهــات كأسي ودنى[2]

ثالثاً : الإخــوانيــــات :

ولابن هتيمل مطارحات شعرية مع أقاربه ومع شعراء عصره تؤكد علو كعب شاعرنا في سائر الأغراض والإخوانيات من هذه الأغراض فها هو ذا يرد على أحد أفراد قومه وقد جاءته منه أبيات لم تسعفنا المصادر بها ولا بمحتواها لولا إشارة ابن هتيمل لها وردّه عليها، ومنها قوله :

ياأَبَــا بَكْــر بنَ هَاشم ياسَيْـــــــــــ ـــــــيِدَ قَوْمِي يَاكَامِــلَ الأَوْصَافِ[3]
ياحياةَ الإسلَامِ يَاأَرْجَحَ الأُمَـــــــــ ـــــــــةِ ياأشْرَفَ الأشْرَافِ
كَيْفَ أصبــحْتُ من لسانك عُتْبــا فيــه رمــزٌ أخفَيْتَــهُ غَيْــرُ خَافِ

---

(١) المرجع نفسه .
(٢) ملحق المدينة الأدبي (الأربعاء) عدد ٣٥٥ بتاريخ ٢٨ـ١٠ـ١٤٠٣هـ.
(٣) مخطوطة الديوان .. وقد جاء عنوان القصيدة (وجاءته ابيات من الفقيه ابي بكر ابن هشام فأجاب)قلت لعل ابا بكر هو الشاعر ابو بكر بن دعاس شاعر الملك المظفر.ترجمه الخزرجي فقال :كان اديباً فاضلا فقيهاً في مذهب الإمام ابي حنيفة نال حظوة لدى الملك المظفر وابتنى مدرسة في زبيد توفى سنة ٦٦٧هـ. انظر العقود اللؤلؤية ج١ ص١٧٤.

زلَّةٌ تَشْهَدُ القَوَافِي بِهَا قَطْـ ـعاً إذَا استُشْهِدَتْ بُيُوتُ القوافِي
ولَو انِّي زَلَلْتُ في النَّعْل أوْ قَـ ـاربتُ ما أدرَكَ التّلافَ تَلَافِي
هلْ تَحَقَّقْتَ أنَّ كُلَّ مَن استَـ ـرْ عَيْتَهُ عاذِرٌ، وأنَّكَ وافِي

إلى أن يقول :

إن يكُنْ ما طَلَبْتَ حقًّا فَصفْحاً لِيَ عنْ هفْوَةِ المُسيءِ الهَافِي
وإذا ما اعتَرَفْتُ فاغفِرْ فَقَالُوا ذَهَبَ الاعترَافُ بالاقْتِرافِ

ويستمر في استرضاء صاحبه ودغدغة عواطفه واستدرار عطفه بالشكوى من الزمان وأهله إلى أن يقول :

فأحِلْ بالَّذِي حَمَلْتَ مِنَ العتـ ـب عَلَينْا مَا في السِّنِيْنَ العِجَافِ

ويرسل إليه معاصره شاعر اليمن محمد بن حمير رسالة نثرية وشعرية [1] يبدأها شعرا فيقول :

إنْ سَعَتْ بينَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي أو تَنَاءَتْ مِنَّا ومِنْكَ الخِيَامُ
أوْ رَمَىٰ البَيْن سهْمَهُ فَحَوَتْنِي يَمَنٌ، واحتَوَتْكَ عَنِّي شَآمُ
فودَادِي ذَاكَ الودَادُ وَوَجْدِي ذلِكَ الوَجْدُ، والغَرَامُ الغَرَامُ
فعليكَ السلام مِنِّي، وأرْضِي أنْتَ مِنْ أهلِهَا عَلَيكَ السَّلامُ

(١) توجد ضمن محتويات مكتبة الأستاذ العقيلي وقد ضمها كتابه الذي سيصدر بعد والذي جعل عنوانه (التاريخ الأدبي لمنطقة جازان) وقد صور لي مشكوراً مقدرا — الصفحات من ١٤٨ — ١٥٠ — التي نقل فيها محتوى الرسالتين كما أوردهما الأستاذ/ أحمد محمد الشامي في كتابه : (تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي) ص ٥٢ — ٥٧ .

فابن حمير — كما ترى يُحيِّي ابن هتيمل أصالة عن نفسه ونائبا عن أرضه وأهلها وهذا يؤكد صادق مودته لأخيه الشاعر لذلك سمعناه يناشده بحق الذكرى :

فاذكُرُوْنَا فَمَا نَسيْنَا هَوَاكُمْ ... لاَ تَنَامُوا إِنَّنَا لاَنَنَامُ[1]

أنتَ مَوْلىٰ الكِرَام لاغَالَكَ الدَّهْرُ ... وَفَحْلُ الكَلام حَيْثُ الكَلامُ

فَسقَتْ بلدَةً حَوَتْكَ الغَوَادِي ... وَلَكَ العِزُّ دَائِماً والدَّوامُ

لذلك جاء رد ابن هتيمل يؤكد عمق الروابط حيث أطلق الشاعر نفسه على سجيتها فناجى الأحباب بذوب وجدانه الصادق، وعرَّج على الديار مروراً بأطلالها الموحشة مستعجلاً نياقه التي تشاركه اللوعة والاشتياق إلى أن يصل إلى ديار صديقه (بسهام) فيدعو لها ولسكانها :

سيِّدي ما دَمي عَلَيْكَ حَرَامُ ... ليسَ في سفْكِهِ عَلَيْكَ أثَامُ

أنتَ أولىٰ منّي برُوْحِيَ فاحْكُمْ ... لَكَ فِيْهَا مِمَّا إليَّ كَلاَمُ

أنَا رَاضٍ فَمَا مَلاَمُ أخِي اللَّوْ ... م لِمَنْ لاَ يَحِيكُ فيه الْمَلاَمُ..

إلى أن يقول سائلا نسيم السحر عن البشام والعقيق واللوى وخيامها وعن ساكني تلك الخيام :

يانَسِيْمَ الأسحَارِ فِيك شَمِيْمٌ ... مِنْ بَشَامِ اللِّوىَ فَكَيْفَ البَشَامُ؟

أعقَيْقُ اللّوَىٰ عَقيْقُ اللِّوىٰ ... والعلَمُ الفَرْدُ والخِيَامُ الخِيَامُ؟

مالَنَا يارفاقُ زعزعَنَا الشَّوْ ... قُ ولِلْعِيسِ تَحْتَنَا إرْزَامُ ؟

أفَبِدْعاً إنْ قُلْتُ يَادَارُ حُيِّيْـ ... ـت ويااربعهم عليك السلامُ

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص ٧٢ — ٧٣ .

لانبَا الغَيْثُ عن سهَامَ ولازا ... ل يمج المياه ريا سهامْ
بَلْدةٌ تُوْجدُ المُرُوَءَةُ والثُّر ... وة فيها ويعدم الإعدامُ
جُمِعَتْ في مُحمِّدٍ[2] آلة الفَضْـ ... ـل فحارت في وصفه الأفهامُ
الجَوَادُ الجَوادُ .. والسيِّد السيـ ... ـدُ والصارم الحسام الحسامُ
رعِفَ السَّيْفُ واليَرَاعَةُ تُمْضِي ... بيديه السيوف والأقلامُ

إلى أن يقول ــ معطيا لصديقه قصب السبق على الآخرين جاعلاً نفسه قرنه في السبق الذي لا يدرك شأوه :

فإذَا ما عَددْتَ في شرفِ السَّعْـ ... ـي عصاماً فأين منه عصامْ
إنَّمَا لابن حِمْيَر قَصَبَ السَّبْـ ... ـق وحيداً وتستوي الأقدامُ
نحن سيفَا غِمْدٍ وقَدْ عَلِمَ العا ... لم أنا ذو النون والصمصامُ

وهنالك نوع آخر من الإخوانيات كتبها ابن هتيمل نيابة عن بعض الأمراء ، وهي وإن كانت من بنات أفكار الشاعر إلا أننا لا نعتبرها من خالص الوجدان ومع ذلك سنورد نموذجا لها فمن ذلك قوله على لسان الشريف محمد بن القاسم المهدي مخاطباً بني عمومته :

(١) وادي سهام باليمن وبه بلدة الشاعر محمد بن حمير .
(٢) محمد : هو محمد بن حمير ممدوح ابن هتيمل في هذا النص وهو شاعر اليمن في القرن السابع ترجم له الخزرجي في العقود اللؤلؤية وقال بأن له ديوانا عزيز الوجود وذكر بأن ابن حمير كان أوحد شعراء عصره وأنه توفى سنة ٦٥١هـ انظر ج١ ص١١٠ من كتاب العقود اللؤلؤية في تأريخ الدولة الرسولية . وترجمه الشامي في كتابه تاريخ الفكر اليمني في العصر العباسي فقال في ص ٩١ : (ابن حمير هذا الاسم الفخم في تاريخ الشعر العربي في اليمن يدور في فلك النجوم السيارة ...) .

بَنـــي عمّنَـــا إنَّ التَّحَـــوُّلَ خُطَّـــةٌ
على الرَّحِمِ الأقْصىٰ فكَيْفَ علىٰ الأدْنَى[1]

أقيمُ علىٰ السُّوءَىٰ إليكُـمْ ولَـمْ يَكُـنْ
مِنَ الرَّأْيِ إلاَّ أن تُقيمُوا علىٰ الحُسْنَى

إذَا أنْتُـمُ لَمْ تَأنَفُـوا العَـارَ لم تَزَلْ
وُجُوهُكُـمُ سُودًا وألسُنُكُـمْ لُكْنَـا

دَعـوُا خَيْمَتَـيْ نَجْرَانَ إنَّ سُرورَكُـمْ
بِعقْوتِهَا أضْحىٰ بعقْوَتِهـا حُزْنَـا

ولا تَسْتَرِقَّـنَّ الدِّيَـار قُلُوبَكَـمْ
فَمَا عَيْشُهَـا خَفْضاً ولا ماؤُهَا يَهْنَا

ومن ذلك قوله على لسان الشريف خالد بن علي الـذروي إلى الأمير شمس الدين أحمد ابن أمير المؤمنين يستنجده لحرب بينه وبين عمـال الملك المظفر :

أمَنْ مُبلِّـغٌ عنِّـي أئِمَّـةَ مَعْشَرِيْ
بَني حَمْـ ـلَ الخَمِيسِ العَرَمْرَمِ

ومَنْ عِزُّهُـمْ عِزِّيْ وَعزِّيَ عِزُّهُـمْ
ولَحْمُهُمُ حمِي وَمَنْ دَمُهُمْ دَمِيْ[2]

لِيَعْلَـمَ شَمْسُ الدِّيـنِ أحمد وابنُـهُ
مُحمدُ شبهُ الرُّوحِ عِيسىٰ بْنِ مَرْيَمِ

بأنَّا شبَبْنَا الحَرْبَ حتَّـىٰ تَضرَّمَتْ
وقـدْ طالَمَـا شُبَّتْ ولـمْ تَتَضَرَّمِ

إلى أن يقـول :

بَني عَمِّنَا حتَّىٰ متَىٰ وإلىٰ متَـىٰ
تَخلُّفُكُمْ عن نصرِنَـا وإلـىٰ كَمِ؟

لنَا ولَهُمْ في الحرْبِ حَوْلٌ مُحَـرَّمٌ
فَمَا عذْرُكُـمْ مِنْ بَعْدِ حوْلٍ مُحَرَّمِ؟

دُعيْتُـمْ إلىٰ الحُسْنـى فإنْ تَتَقدَّمُـوا
إلـىٰ فعِلِهَـا فالـفَضْلُ للمتَقَـدِّمِ

(١) مخطوطة الديوان،

(٢) المصدر نفسه .

رابعاً : الفخــــر :

وابن هتيمل يفخر كثيراً بقوة شعره وجماله ويفخر بمكانته الأدبية ويفخر أحيانا بهممه الكبار، كما يعتز بآبائه وبنخوته، ويفخر بأبويه اللذين أرضعاه الترفع والإباء، كما نجده حتى في حالات العتاب يفخر ويعتز بمكانته الأدبية وحتى حين يمدح نجده في غالب الأحوال يمتن على ممدوحيه بروعة الشعر الذي سكبه في صوالينهم لذالك نسمعه يقول لأحد ممدوحيه متعالياً :

إنْ شئْتَ تعلَمُ مَا شَعِريْ وقِيْمَتُـــهُ فَاسْتَنْشِقِ المِسْكَ مفْضُوْضاً لطَائِمُهُ[1]
يَظَــلُّ مَالُكَ نَظْمــاً وهُوَنَـــا ثِرُهُ وَدُرُّ مَجدِكَ نَثْــراً وهُــوَ نَاظِمُـــهُ

كما نسمعـــه في خاتمة قصيـــدة أخـــرى من قصائـــد مديحه يخاطب ممدوحه قائلا :

أميْــرَ المؤْمنِيــنَ إلـيْكَ سِحْــــراً كَلَامُ الشِّعْرِ لا يَحْكِيْ كَلَامَــهْ[2]
يُقِيْمُ علىٰ سَلِيْفِ الدَّهْــرِ طَوقْـــاً ويخلـــدُ في جَبيـــنِ الشَّمسِ شَامَـــةْ
فَرَأْيُكَ في وَلِــــيٍّ أحْـــــوَذِيٍّ لهُ مِن كُلِّ ذِيْ عِلْـــمٍ عَلَامَــــةْ

ونغمة الاعتزاز والفخر تسري في شعر ابن هتيمل وبخاصة في شعر العتاب، وهاهو ذا يعاتب قومه في الأبيات الآتية فيبدو مدلاً على قومه :

أَرَانِـي وإِنْ كُنْتُـمْ مَوَالِــيَ نِعْمَتِــيْ وَأَهْلِي فِلِيْ من دُونِ أَرْضِكُمُ أَهْـلُ[3]
تُقَبِّلُ كَفِّـي قبــلَ إبــرَاكِ ناقَتِـــي وتُنْجَحُ حاجَاتِي وما حُطَّ لي رَحْـلُ
وأَنتُـمْ أَحـقُّ النَّــاسِ بِي لوْ عَرَفْتُـمُ بِحَقِّـي ولَكِـنْ دُوْنَ مَعْرِفَتِـي جَهْــلُ

---

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص ٧٠ .

فَمَا حِيْلَتِي وَالْحَالَ لَوْ قُمْتُمُ بِهَا   عَلَىٰ جِهَةِ الإنصافِ أَصعَبُهَا سَهْلُ
فَما صنتُ نفسِي عن قتَالِ عدوكُمْ   وَلاَ قُلْتُ مَالِي فِي أُمُورِكُمُ دَخْلُ

وكقوله معتداً بنفسه وأنه صاحب همم عالية لا تطاول :

أَنَا لا تُفَارِقُنِي الهُمُومُ ولم تَزَلْ   تنبيك عنْ هِمِمِ الكريمِ هُمُومُهُ(١)

وقوله أيضاً :

وَكَمْ موْردٍ صَافِي المَشَارِبِ عِفْتُهُ   حذَارَ الأذَىٰ عنْ عِفَّةٍ وَتَكَرُّمِ(٢)

وكقوله :

يَأْبَىٰ لِنَفْسِيَ أَنْ تُغضِي عَلَىٰ مَضَضٍ   قَلبٌ أُجِنٌّ ورَأْيٌ مَا بِهِ خَلَلُ(٣)

وكقوله :

حَرَمَتْنِي الأَيَّامُ أَنْ أَرْ أَمَ الضَّيْـ   ـمَ فَخُلِّفْتُ نَخوةً وَإِبَآءَا(٤)

ويعتز بترفعه عن الشبهات وابتعاده عن حياضها المنتنه فيقول :

فَفِيْ رِجْلِي عَنِ الشُّبُهَاتِ قَيْدٌ   وَفِيْ عُنُقِيْ عَنِ الشُّبَهَاتِ غُلُّ(٥)

ويعزو سبب ترفعه وإبائه إلى أن والديه قد أرضعاه منذ الصغر عزة النفس، وإباء الضيم فيقول :

يَأْبَىٰ لِنَفْسِيَ أَنْ تُغْضِيْ عَلَىٰ طَرَفٍ   مِنَ المَذَلَّةِ أُمٌّ بَرَّةٌ وأَبُ(٦)

ويفخر ابن هتيمل بعزة نفسه، وصونه لها عن الصغار، وترفعه عن الطمع الدنيء وإعراضه عمن يتعمد الإعراض حتى ولو كان ملكا صاحب

---

(١) مخطوطة الديوان ـ.مصدر سابق .
(٢) الجزء المطبوع من الديوان ص ٧٤ .
(٣) مخطوطة الديوان .
(٤) الجزء المطبوع من الديوان ص ٣٣ .
(٥) مخطوطة الديوان .
(٦) الجزء المطبوع من الديوان ص ٣٩ .

ملك وصولجان، فإن عزة نفسه تجعله يقابل ازوراره بازورار مثله ذلك لأنه يحب نفسه ويحترمها :

أَبَىٰ حُبِّي لِنَفْسي أَنْ أَرَاهَا ... أُجَرِّعُهَا هَوَاناً أوْ صَغَاراً[1]
وأَنْ أُدْلِيْ إِلَىٰ طَمَعٍ بِذُلٍّ ... وَمنقَصة تَكُونُ عَلَىَّ عَارَا
إِذَا مَلِكٌ نَأَىٰ عَنِّي ازْوِرَاراً ... نَأَيْتُ بِجَانِبِي عَنْهُ ازوِرَاراً
ومن ضَرَبَ الحِجَابَ فَلَسْتُ آسَىٰ ... لِرُؤْيَتِهِ وَمَنْ خَلَعَ العِذَارَا
أجلْ. إِنِّي اسْتَخَرْتُ اللهَ فِيْمَا ... كَرِهْتُ فَخَارَ لِيْ مِنْهُ وَخَارَا

كما يفخر ابن هتيمل بمكانته الأدبية ،ويعتز بشعره وجودته في جل قصائده :

فَخْراً لِهذَا الزَّمَانِ أَنْ حَظِيَتْ ... رِجَالُهُ بِي ونِسْوَانُهُ[2]
قَدْ عَرَفَتْ حَالِي المُلُوْكُ فَمَا ... تُنْكِرُنِي إِنْسُهُ ولَا جَانُهُ
أَنَا الَّذي لاَ العِرَاقُ تَعْطِلُ مِنْ ... حُلِيِّهِ شِعْرِي وَلاَ خُرَاسَانُهُ
مَالِحبيبٍ[3] فضْلٌ عَلَيَّ وَلَا ... يُحسنُ قَوْلي في المَدْحِ حَسَّانُهُ[4]

ويعتز بترفعه عن المهاترات برغم اقتدار بيانه على دفع اللوم بمثله والرد على أصحاب اللوم ولكنه يعرض عن ذلك ترفعا :

فَلَيْسَ إعرَاضُ وَجْهِيْ عن مُكَافَحَتِي ... وَجْهَ الصَّدِيْق بَمَا يَخْشَى بإعْرَاضِ
إِنِّي لأَرضَىٰ وفي طيِّ الرِّضَا غَضَبٌ ... يَرضَىٰ لِسَانِي وقَلْبِي لَيْسَ بالرَّاضِي[5]

---

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) المصدر السابق .

(٣) حبيب : هو حبيب بن أوس الطائي (أبو تمام) الشاعر العباسي المعروف .

(٤) حسانه : يقصد الشاعر المخضرم حسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله ﷺ وشاعر الإسلام المعروف .

(٥) مخطوطة الديوان .

وَرُبَّ جَائِفَـــةٍ لَيْستْ بِدَامِيــــةٍ   فِي الجَوْفِ أُغْمِضُ عنْهَا أيَّ إغْمَاضِ
وَلَـوْ أشاءُ جَزَيْتُ النَّـاسَ ضَاحِيَـةً   رَمْيـاً بِرَمْـي وإنبـاضاً بإنْبَـاضِ

خامساً : الرثـــاء :

يأتي الرثاء في المرتبة الثانية بعد المديح من حيث عدد القصائد وكذا عدد الأبيات وإن لم يدانه فيهما لغلبة المديح ؛ فلقد عُمِّر ابن هتيمل طويلا — كما يقول صاحب مطلع البدور حتى رثى كثيراً ممن ممدحهم وأثناء عمره الطويل رُزِيءَ بفقد الأقارب والأصحاب والمعارف والخلان، فقد فجع بموت الإخوة والأخوات وفجع بموت الزوجة والأبناء، وحتى عبده : سعْد، وأَمَتُهُ : الخيزران، حين غادروا دنياهم الفانية أعقبوه حسرة ولوعة، إلى جانب فقد الأصحاب والأحباب والخلان وذوي الجاه والسلطان من المعارف والأقران، فكان وجده بأولئك، ووفاؤه لهؤلاء باعث شجونه، فرثاهم جميعا بألوان من الشعر المليء بالحكمة والموعظة، والمتدفق بفيض الأحاسيس، وكانت درجة حرارة رثائه تختلف باختلاف صلاته بالمتوفين فرثاؤه لأبنائه أو لزوجته، أو لإخوانه، يختلف فيه التدفق عن رثائه للأصحاب والمعارف والخلان ؛ فحين فارقه أخوه خليفة الذي كان يتحمل عنه أعباء العشيرة، وكان يتقي به صروف الأيام، وكان سنده في المدلهمات، سالت عاطفته فقال :

بِمَـنْ أَذُود الأعـآدي كلَّمـا كَلَـحَتْ   تَحْتَ العَجَاجِ رِمَاكَ الخَيْلِ والحُصُنِ
ومـن أُحمِّــلُ أَعْبَــاءَ العَشِيْـــرَةِ إذْ   لم تَحْمِلِ الزَّمَـنَ المَعْذُورَ والزَّمَـــنِ

حين مات خليفة هانت دون موته المصائب، فتساوت الأشياء ولم يَعُدْ يأبه بما سيأتي بعد خادثه الجلل الذي فقد بسببه توازنه ورجاحة عقله التي كان يواجه بها الخطوب وليكن ما يكون فلن يكترث بعد هذا المصاب بأي حدث :

مَا شَاء بعــدَكَ فَلْيَــأْتِ بِهِ الزَّمَــنُ فَلا السُّرُورُ يُوَاتِينِــي وَلَا الحَــزَنُ
فَمَـا رَأَتْ يَاأَبَا يَحْيىٰ وَلَا سَمِعَتْ بِمِثْــلِ يَوْمِكَ لَا عيْــنٌ ولَا أُذُنُ(٢)
آسىٰ عَلَــيْكَ ومَالِــي يَاخَلِيْفَــةُ لَا آسىٰ وقـد صَدَقَتْنِي بَعْــدَكَ الفِتَــنُ
تَغَيَّـرَتْ بَهْجَـةُ الأَيَّامِ وانْتَقَضَ الــ ـعَهْدُ الوَثِيْقُ وحَـالَ الحَـيُّ والسَّكَـنُ
لَوْ قَاضَكَ الدَّهْرُ مِنَّـا بِالحَيَـاةِ وبالْـ أَحْيَـاءِ كَانَ عَلَيْــهِ الغَبْــنُ والغَبَــنُ

ويفقد أخاً آخر، وأخته في أسبوع واحد، فيضطرم حزنه ويبكيهما بكـاء مراً ويـأتي رثـاؤه لهمـا نابضا بالأسىٰ واللوعـة ؛ حيث يفتتـح القصيـــدة محدداً موقفه من الحياة :

قُصَارَىٰ المَــــرْءِ رَدُّ المُسْتَعَــــارِ وسَائِلَــةُ الحَيَــاةِ إلــــىٰ قَرَارِ(٣)
وَلسْنَــا بِالخِيَــارِ عَلَــىٰ اللَّيَالِــي ولكِــنَّ اللَّيَالِـــي بِالْخِيَــــارِ(٤)
بِنَــفْسِي أَنْــفُسٌ غُصِبَتْ جِهَــاراً بِأَمْــرٍ دَقَّ عَنْ غَصْبِ الجِهَـــــارِ

إلى أن يقول :

وأَيُّ أَخٍ أَشَمَّ وأَيُّ أُخْتٍ رُزِيْتُ وأَيّ ضَارِيَــــــةٍ وَضَارِي
مَضَتْ مَا أَنْضَتِ (٥) الصَّفَرَاتُ مِنْهَا وَمَــاتَ ومَــا بَدَا شَعَــرُ العِــذَارِ
فيــاربَّ العمَامَــةِ كُنْتَ تَكْفِــي مِنَ الـــحَسَرَاتِ عَنْ ذَاتِ السِّوَارِ
ويَاعَــفَّ الإِزَارِ لَقَـــدْ رُزِيْنَــا عَلــىٰ الأُسْبُــوعِ طَاهِــرَةَ الإِزَارِ

---

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص ٩٩ .
(٢) مخطوطة الديوان .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) (أنضت) : في مختارات العقيلي كتـبت (مـا ابـيضت) ومعنــى: نضي اللــون : نصل، وأنضى الثوب : أبـلاه. نضاوة الشيء : ما سقـط منه عنـد انتزاعـه ـــ وهـذا المعنى أقـرب ، انظـر أساس البلاغـة ص ٤٦١ مادة نضو . وينظـر المعجـم الوسيــط ج٢ .

وإذا كان قد فجع بفقد أخيه وأخته في أسبوع واحد فها هي الأيام تفجعه بفقد ثلاث أخرى في وقت أو أوقات متقاربة فأخذ يبكيهن بلوعة وحسرة :

أَعَاذِلُ قُطِّعتْ كَبِدَي سُدَاساً ... فَضُمِّنَتْ الثَّرىٰ مَوْتاً ودَفْناً [1]
ثَلاثٌ مِنْ صَمِيْمِ أَبِيْ وأُمِّيْ ... ذَهَبْتُ بِيَوْمِهِنَّ وهُنَّ هُنَّا
فَكَيْفَ تَلُوْمُنِي جَلَداً وصَبْراً ... إذَا أَنَا لَمْ أُمُتْ كَمَداً وحُزْناً
ولَوْ نصف المُشَقَّرِ بَعْض ما بِيْ ... لأَرْزَمَ مِنْ تَفَجُّعِهِ وَحَنَّا
يُجَدِّدُ حَسْرتِي ويهْيِجُ وَجْدِي ... بأكْبَرِهَّن أصغرُهُنَّ سِنَّا

وحين فقد عبده (سعدا) رثاه كما رثا أمته (الخيزران) وتذكر أثناء رثائه لسعد من فقد من أقربائه وأحبابه :

وقَائِلَةٍ أَهَانَ عَلَيْكَ سَعْدُ ... أَلَا تَبْكِي وَقَدْ فَارَقْتَ سَعْداً [2]
فَقُلْتُ لهَا قرِيْ عَيْناً فَإِنِّي ... خُلِقْتُ عَلىٰ رَزَايَا الدَّهْرِ جَلْداً
وسعد كَانَ حُرّاً لَيسَ حُرّاً ... بِنِسْبَتِهِ وَعَبْداً لَيْسَ عَبْدا
يَقِيْكَ بِرُوْحِهِ إذْ لاَحَمِيْمٌ ... يَقِيْكَ بِهَا وَيَلْقَىٰ الأَلْفَ فَرْدَا

إلى أن يقول متذكرا من غادروا دنياهم الفانية من أقاربه وخلانه :

وَقَدْ فَارَقْتُ مِنْ سَادَاتِ قَوْمِي ... وَمِنْ سَرَواتِهِمْ شِيْباً ومُرْداً
مَصَاعِب بَعْضُ مَا لاَقَيتُ فيهِمْ ... يَهُدُّ الرَّاسِيَاتِ الشُّمَّ هدَّا

نعم تختلف درجة حرارة رثائه في الحالين فهو حين يرثي الأصدقاء والأحباب يصف فجيعته بفقدهم وربما بالغ في ذلك، لكنه لا يستطيع أن يفتح قلبه على الورق كما فعل حين رثىٰ زوجته أو ابنه سلطاناً أو أخاه خليفة أو إخوانه وأخواته، ففي رثاء الأقارب تسبقه عبراته فيدع قلبه يتحدث على

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) المصدر نفسه .

سجيته وتنهمر عاطفته ويهمي وجدانه .

وفي رثاء الأصدقاء والخلان يذرف دموعه الساخنة، ويستعرض بعض مناقب الفقيد ويصور أثر فقده على أسرته ومجتمعه ولا يلبث أن يتلبسه سلطان العقل فيأخذ في توجيه النصائح لذويه بالصبر والتآسي بالسابقين، نسمعه حين أخذ يرثي أحد أمراء المخلاف السليماني : (الأمير محمد بن وهاس) يقول :

تَأَسَّ فإنَّ المَــرْءَ غَيْــر مُخَلَّـــدِ ... ومَنْ فَاتَ حَيْن اليَوْمِ أدْرَكَ فِي غَدِ[1]
ولا تَقْضِ وَجْداً ولْتَكُــنْ لَكَ أُسْوَةٌ ... بِمَنْ قَدْ تَأَسَّىٰ في عَلـيٍّ وأحْمَــدِ

إلى أن يقول :

بَنِي غانِـمٍ إنْ أَقْصَدَتْكُـمْ يَدُ الـرَّدىٰ ... فَفَـلَّتْ شبَـاةَ المَشْرَفِـيِّ المُهنَّـدِ
فَصَبْـراً فَأَمْـرُ اللَّـهِ قُدْرَةُ قَاهِـرٍ ... مَتَـىٰ مَا تَقُـدْ صَعْبَ المَقَـادَةِ يَنْقَـدِ
وكَـمْ نَازِلٍ مِنْ بُرْجِ قَصْرٍ مُشَيَّـدٍ ... إلَـىٰ قَبْـرِهِ عَنْ صَحْنِ صَرْحٍ مُمَـرَّدِ

وينتقل إلى خطاب المتوفَّىٰ أو نُدْبَته فيقول :

مُحَمَّـدُ كَمْ مِنْ ثَاكِـلٍ مُتَـأَوِّهٍ ... عَلَـيْكَ وَكَـمْ مِنْ شَامِتٍ مُتَنَهِّـدِ[2]
أتَفْنىٰ وَلَبَّـاتُ الجِيَـادِ سَوالِـمٌ؟ ... صِحَـاحٌ؟ وخُـرصَانُ القَنَالَمْ تُقصَّدِ؟

فأنت تلاحظ البون الشاسع بين هذا النفس المتقطع وذلك التدفق العاطفي في قوله يصف حالته وقد فقد حليلته :

أَحِـنُّ حَنِيْـنَ الهِيْـمِ زَادَ خِمَاسُهَـا ... عَنِ الوِرْدِ ذَاتِ العبقريِّ الغَشَمْشَمِ[3]

---

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) مخطوطة الديوان .

(٣) المصدر نفسه .

كأنّــي وأمّ المعزبيّ تَقَـــاصَرَا ... علــىٰ صِفتَيْنَــا مالِكَ ومُتمِّـــم[1]
أبيتُ علىٰ جَنبِ الفِرَاشِ كَأنّنِـــيْ ... ضَجِيعِىَ منْ بعـدِ المليحَـةِ أرْقَـــمُ
فمـنْ لِيَ أنّـي في مكـانِكِ أرْمَـــلٌ ... وأنّكِ منّــيْ في مكانِـــيَ أيِّـــمُ
ومِـنْ ضعـفِ حَظّي أنّني متأخّـــرٌ ... فيـــا بَرْدَهَـــا لوْ أنّنِـــي مُتقَـــدِّمُ

وتظل ذكرى أحبته وإخوانه وأبنائه جراحا ينكأها فقدان صديق أو عزيز فيعود نزيفها ساخنا يعكر عليه ما تبقىٰ من صفو الأيام .

على أنـه قد يجلي أحيانا في وصف حزنـه بفقـد بعض أصدقائـه أو ذوي المكانــة الاجتماعيــة . ولعـــل أجمل مراثيـــه قالها في الأمير القـــاسم بن علي الـــذروي أمير المخلاف السليمـــاني، وفي الإمـــام أحمد بن الحسين صاحب ذيبين ؛ يقول في إحدى مراثيه في القاسم بن علي الذروي :

أَبَا خَالِدٍ ماشِيْـنَ بعـــدَكَ فَلْتَكُـــنْ ... أُمُورُ القَضَا مَأمُونُهَا ومَخُوفُهَـــا[2]
ولـو كُنتُ أقـــوىٰ أنْ أردَّ بقُوّتِـــي ... صُرُوف اللَّيَالِي مَا رَأتكَ صُرُوفُهَـــا
أَمَا كَانَ في جَوفِي لشخصِكَ حُفْرَةٌ ... عنِ الأرضِ لا يخظَىٰ بشخْصِكَ جَوفُهَا

فتلـمس هنـا صدق العاطفـة ، كما تلمسهـا في بعض مراثيـه للإمـام أحمد بن الحسين وإن تفاوتت درجاتها تدفقا وعطاء وحرارة أداء .

(١) مالك بن نويـرة الـذي قتـل في حرب المرتدين أثنـاء معركـة اليمامـة وأخـوه متمـم بن نويـرة الـذي حزن لفقـده كثيراً ورفـع الأمـر للخليفـة باعتبـار القتـل حصل خطأ في الأسر كما تذكر المصادر التاريخية .. وقد رثى متمم أخاه مالكاً بغرر القصائد .

(٢) الجزء المطبوع من الديوان ص ٩١ . ط ٢ .

سادساً : العتــاب :

.. أربـع قصائـد أو خمس هي التـي خصصهـا ابـن هتيمـل فقــط لهذا الغرض من قصائد الديـوان على كثرة عدد قصائـد الديـوان، وأبيـات متناثـرة في ثنايا قصائـده المختلفـة، إحـدى هذه القصائـد الأربـع موجهـة على لسان أحــد أمـراء المخلاف السليمـاني لأبنـاء عمومتــه يحثهــم فيها على الاجتماع ويعــاتبهم على التفرق :

بَنــي عمِّنَــا إنَّ التَّحَــوُّلَ خُطَّـــةٌ عَلىٰ الرّحِمِ الأقْصىٰ فكيف علىٰ الأدْنىٰ[1]
إذَا أنتُـمُ لَمْ تَأْنَفُــوا الْعَــارَ لَمَ تَزَلْ وُجُوهُكُـمُ سُوْداً وألْسُنُكُــمْ لُكْنَــا

والثانيـة مقطوعـة صغيرة، عدد أبيـاتها ستـة، وجههـا الشاعــر لأحــد ممدوحيـه من أمـراء حلي، وقـد قلـل عطـاءه، ولم يكافئـه على مديحه، ولم يتذكـر ما بينهما من ود قديم فعاتبه قائلا :

مَدَحْتُكَ مَدْحـاً لو مدَحْتُ ببــعضِهِ وأَدْنَاهُ صُمَّ الصَّخْرِ جَادَتْ جَنَادِلُـهْ[2]
وَمَــالَكَ لاَ سَاوَيْتَ بِي مَنْ رَفعْتَــهُ عَلَــيَّ، وَلَا مَا ثَلْتَ بِيْ مَنْ أُمَاثِلُــهُ
فَهَبْنِـيَ فَهًّــا لَا أَفُــوْهُ بِلَفْظَـــةٍ وَلَا أُحْسِنُ القَوْلَ الَّـذِي أَنَـا قَائِلُــهُ
أَمَــا بَيْنَنَــا وُدٌّ قَدِيْـــمٌ مُؤَكَّـــدٌ أَوَاخِــرُهُ مَحْفُوظَـــةٌ، وأَوَائِلُــــهُ؟

وهي تسير في موسيقاها الداخليـة والخارجيـة على غرار قصيـدة بشار بن برد ذات المطلع :

إذَا كنتَ في كلِّ الأمــــور مُعاتِبـــاً صديـقكَ لمْ تلْـقَ الـذي لا تُعَاتِبُـــهْ

وإن خالـفتها في المعنـى. ويلاحـظ هنـا أن الشاعـر قد ألح في العتـاب من

---

(١) مخطوطة الديوان .
(٢) المصدر نفسه .

أجل أمور يمكن تجاوزها مادام هناك ود قديم !!

والقصيدة العتابية الثالثة : موجهة لأحد أشراف المخلاف السليماني، يعاتبه فيها على قطع النوال، ويستنهض همته للمواصلة :

يَاصَلاحَ الصَّلاحِ يَاأَجْـوَدَ الأَجْـــ ـــوادِ حَقّـاً يَاأَشْرَفَ الأَشْرَافِ[1]
كَيْفَ أخلَفْتَنِي؟ وَمْثِلُكَ لا يُقْـــ ـــدِمُ في وَعْدِهِ عَلَى الإِخْـلَافِ
لَيْسَ هَذَا الوفَاءُ مِنْ شِيَمِ الحُسْـــ ـــنِ وَلَا مِنْ شَرَائِـطِ الإِنْصَافِ
وَبِـوُدِّي لوْ اعْتَذَرْتَ، لسَامَحْـــ ـــتُ وَلَكِنْ أسعَفْتَ بالإِسْعَافِ

وتأتي قصيدته الرابعة خالصة لوجه العتاب في أمور تستحق العتاب فهو يعرض فيها معاناته من إعراض قومه عنه وخذلهم له في مواقف الحياة وتلون أخلاقهم فتأتي قصيدته معبرة عن ذاته المكلومة .. بل المجللة بالحزن العميق :

تُلَاقُونَنِـــي كُلٌّ مُسِرٌّ ضَغِينَـــةً بَواطِنُكُمْ فيهَا خِلَافُ الظَّوَاهِــرِ[2]

لذلك فقد طلب منهم الابتعاد عنه وتسليمه صراحة لنوائب الدهر فهو على استعداد لمواجهتها بمفرده بعد أن يئس من وقوفهم بجانبه :

دَعوْنِي فَمَا أَرتَابُ مِنْ خَذْلِ خَاذِلٍ وَلَا أَتَرَجَّى مِنْكُمُ نَصْرَ نَاصِرِ[3]

أجل سيواجه الحياة بمفرده، وسيواجهها بشجاعة يتحمل من أجلها مرارة العيش :

إِذَا كَانَ حُلْوُ العَيْشِ تَحْتَ مَذَلَّـةٍ سَعَيْتُ لِمُرِّ العَيْشِ تَحْتَ الحَوافِرِ[4]

(١) المصدر نفسه .
(٢) المصدر نفسه .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) المصدر نفسه .
(٥) المصدر نفسه .

وهو سيتحمل تخليهم عنه وما يتبع ذلك من عنت الأيام لأنه حسن الظن بمن بيده مقاليد الأمور ؛ فهو مؤمن بالقضاء المحتوم، والقدر المقدور، ومدرك أن الفرج يأتي بعد الشدة، واليسر بعد العسر، وأن خالقه وبارئه لن يسلمه إلا إلى خير :

مَعَ العُسْرِ يُسْرٌ والأُمُورُ يَحلُّهَا عنِ الحَالِةِ الأوْلَى صُرُوفُ المَقَادِرِ(١)

وَفِي اللهِ لي ظَنٌّ فَيَارُبَّ عاجِزٍ أديل على ماضِي العزيمة قَادِرِ

وابن هتيمل قد يعاتب ممدوحه إن بدت منه جفوة، أو قلّ عطاؤه أو بلغه عنه ملام، وهاهو يخاطب ممدوحه موسى بن علي الكناني من أمراء حلي، في لهجة تتجاوز مرارة العتاب لتدخل إلى باب الاستعطاف :

وَيَا وَاحِداً مَا حَكَاهُ الأَنَامُ وَلَا جَاوَزُوا فِعْلَهُ فَاغْتَرَبْ(٢)

أَتَانِيَ مِنْكَ تَلَظِّي العِتَابِ وحَسْبِيَ مِنكَ دُخَانُ اللَّهَبْ

وَفِي بَعْضِ مَا قَالَ عَنْكَ الرُّوَاةُ أَنَّكَ كَنَّيْتَنِي باللَّقَبْ

وَمَا جِئْتُ ذَنْباً أُجَازَى بِهِ فَكَيْفَ القَضَاءُ وكَيْفَ السَبَبْ؟

وكُنتُ أُعِدُّكَ لِلْمُعْضِلَاتِ وَدَفْعِ العَظِيْمِ وكَشْفِ الكُرَبْ

حَسَرْتَ ذِرَاعَيْكَ عَنْ مُعْضَلاتِي وأبَرَزْتَ نَحْرِيَ نَحْوَ النُّوَبْ

أَنِلْنِي بِعَطْفِكَ مِمَّا يُنِيلُ وَهَبْ لِيَ ذنْبِي فيمَا تَهَبْ

ومن العتاب الخالص أبيات وجهها إلى أحد أصدقائه الخُلَّص وقد بدا له منه جفوة ، يقول فيها :

أَمَسْعُودُ بنَ عَمْرٍو يَاثمَالِي وَسيِّدَ مَعْشَرِي وَرَئِيسَ بَيْتِي(٣)

أَرَاكَ عنْ الإخَاءِ أضَعْتَ عَهْدِي لديْكَ ولَيْتَ حَقِّي أيُّ لَيْتِ

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر نفسه . .

(٣) المصدر نفسه .

مَضَىٰ زَمَــنٌ أُعلِّــلُ فِيــــهِ نَفسي   بعَــلَّ، وَغَيرِهَــا، وَعَسىٰ، وَلَيْتِــي
تُلَبِّـــي صَوْتَ مَنْ نَادَاكَ جَهْـــراً   لِمَنْفَعَــةٍ وَمَــا لبَّـيْتَ صَوْتِـــي
وإنْ قَالَ الـوُشاةُ صَغَـوْتَ سَمعــاً   لَهَـمْ وَضَحِـكْتَ مِنْ كَيتٍ وَكَـيْتِ
إذَا لَمْ تَصْطَنِعْنِـــي في حَيَاتِــــي   فَأَيُّ صَنيعَــةٍ لَكَ بعْــدَ مَوْتِـــي؟
فإنَّكَ إنْ تُعَـــوِّضْ فِيَّ غَيْــــري   كَمَــنْ بَاعَ المُحَلَّــىٰ بِالسُكَـيْتِ
خُذِ المُثْلــىٰ فكَـمْ ميتٍ كَحَـــيٍّ   فَحَاذِرْهَــا وَكَــمْ حَيٍّ كَمَـــيْتِ

سابعاً : الهجـــاء :

أما الهجـاء كغـرض مستقـل يفـرده بقصائـد موجهـة فلا وجـود له في شعـر ابـن هتيمـل، فقـد نقـل الشامـي عن المؤرخ يحيى بن الحسين في كتابـه (المستطـاب) مخطـوط : بأن ابـن هتيمـل كان عفيفـاً عن الهجـــاء والسب عدا أبيات هنا وهناك تمتزج بالشكوى من حاسديـه وشانئيـه ومنكـري فضل أدبـه ، وهو يفعل ذلك دون ذكر للأسماء كقوله :[1]

وكَمْ مَعْشَرٍ رَامُوا خُضُوعِيْ وذِلَّتِي   فَحَلَّقت عنهُــمْ لا أَذِلُّ وأَخْضَعُ[2]
أَرَىٰ مِنهـمُ ما لَا يَرىٰ الغيرُ مِنْهُـــمُ   وأسمَـعُ مِنْهُـمْ غَيْـرَ مَا الغَيْـرُ يَسْمَـعِ
نَبذْتُهُـمُ خَلْفِـيْ وَلَــمْ أَخْشَ مِنْهُـــمُ   لِعِلْمِـــيَ أَنَّ اللهَ يُعْطِـــي ويَمْنَـــعُ

وقـــوله :

وَمَا يَسْتَوي فِي الـفَضْلِ ليثٌ وأَرْنَبٌ   وَلَا فِي عُلُوِّ القَـدْرِ صِلٌ وعَقْرَبُ[3]

وقولـــه :

(١) تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي للشامي ص ٤٩ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) الصل : الثعبان .

أطَلْتُ بِتُربَـةِ المخْـلاف مُكْثِـي   فَلِي مِنْ غَيرِ جِنْسِي فيـهِ جِنْسُ (١)
أُنَافِـقُ بالتَّخَلُّـقِ فِيـهِ جنًّـا   كَأَنَّهُـمُ مِنَ الإيهَـامِ إنْسُ
أَبَرُّهُـمُ تُبِـرُّ به فَيَجْفُـو   وَأَلْيَنُهُـمْ تَلِيْـنُ لَهُ فَيقْسُو
وَلَـوْ طَهَّـرْتَ طُوْلَ الدَّهْـر كَلْبـاً   بأَمْـوَاهِ البسيطَـةِ فَهْـوَ نجْسُ

وأمثـال ذلك في شعـره كثير، غير أنـه لم يهاج شخصاً بعينـه كما يتضح من تتبع شعره الذي يغلب عليه المدح وإن بطنه بالشكوى .

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٧٣ ــ ١٧٤ .

(د) المبالغة في شعره

وإذا كنا قد أتينا في الصفحات السابقة على معظم أغراضه الشعرية فإننا نود أن نشير إلى إحدى سماته الشعرية، التي ربما تعرض بسببها للمواقف المتباينة ؛ تلك السمة : هي المبالغة في شعره وبخاصة في شعر المديح، فلقد لامه عليها صاحب مطلع البدور ومجمع البحور — كما سبق أن أشرنا — وأورد بعض المواقف التي تعرض لها الشاعر بسبب تلك المبالغات، كما عاقبه الأستاذ العقيلي في مختاراته بالحذف والبتر فلم يوردها ضمن ما اختاره من شعره .

وأحسب أن ابن هتيمل ليس بدعا في هذا الشأن فلاشك أن لمبالغاته نظائر وأشباها في الشعر العربي ربما تجاوزتها، كما أظن أن تلك المبالغات ضرورة يقتضيها عصر الشاعر، إذا ما أدركنا أن سوق الشعر بعامة والمديح على وجه الخصوص كانت رائجة في القرن السابع وإذا ما أدركنا كذلك أن شاعرنا كان يتكسب بشعره كغالبية شعراء العربية في عصره والعصور التي سبقته، لذلك نجده يبرر لزوجته، أو لطيفها الذي يخاطبه سعيه الحثيث في مدح الأمراء والأشراف، ويضرب أمثلة من التاريخ تؤكد نجاح المثابرين في السعي نحو تحقيق مآربهم فيقول :

لا تَكْرَهِي لِيَ سَعْياً أستفِيْدُ بِهِ ... زِيادَةً وكَمَالاً بعْدَ نُقْصَانِ[1]
فإنَّ إتْيانَ نَارِ الطُّورِ أَظْهَرَ بُرْ ... هَانَ النُّبُوَّةِ في مُوْسَىٰ بن عِمْرَانِ
وابنُ المُهَلَّبِ أَبْلَىٰ في تَطَلُّبِهِ ... حَتَّىٰ استقَامَ أميراً في خُرَاسَانِ
وشَارَفَتْ فارسٌ مُلْكَ الخَلائِقِ بالـ ... ـفَضْلِ بن يَحْيَىَ وبالفَتْحِ بنِ خَاقَانِ

ومهما يكن من أمر مبالغات ابن هتيمل فلا أظنه في مبالغاته يصل إلى

(١) مخطوطة الديوان — مصدر سابق .

الحد الذي ذهب إليه ابن هانيء[1] الأندلسي الذي بلغ حداً من الغلو في المبالغة حين مدح المعز لدين الله الفاطمي [2]، فأتى بالعجب العجاب الذي أشار إلى بعضه صاحب قصة الأدب في الأندلس[3] وسواه .[4]

كما أنها قد لا تصل إلى المستوى الذي ذهب إليه أبو نواس (الحسن ابن هانيء) [5] حين خاطب ممدوحه قائلا :

(١) هو محمد بن هانيء بن محمد الأزدي ولد في إحدى قرى أشبيلية سنة ٣٢٠هـ وقيل سنة ٣٢٦هـ يتصل نسبه بالمهلب بن أبي صفرة واسرته أزدية قحطانية لها ماضيها الحافل . كان أبوه شاعرا من شعراء المغرب انتقل إلى الأندلس واستقر بأشبيلية حيث ولد شاعرنا ونشأ فيها وتنقل بين مجامع العلم يثقف نفسه ثم رحل إلى قرطبة ونهل من معارفها وعاد فاتصل بأمير أشبيلية ثم هاجر بعد ذلك إلى المغرب واتصل بالخلافة الفاطمية وزعيمها الأول المعز لدين الله الفاطمي ومدحه بغرر شعره وكانوا يسمونه متنبيء المغرب قتل سنة ٣٦٢ وحين علم المعز بذلك حزن عليه وقال : كنا نريد أن نفاخر به شعراء المشرق . انظر قصة الأدب في الأندلس لمحمد عبد المنعم خفاجي . ج٢ ص ١٧٤ . وانظر المفصل في تاريخ الأدب العربي لعلي الجارم وأحمد أمين وآخرين ص ١٠٨. .

(٢) هو المعز لدين الله الفاطمي ولد بالمهدية سن ٣١٨ هـ وبويع له بولاية العهد في حياة أبيه وتولى الخلافة سنة ٣٤١هـ وبابتداء حكمه ابتدأ عهد جديد للدولة الفاطمية حيث أخذوا يوسعون نفوذهم في شتى الأقطار وفي عهده بنى جوهر الصقلي قائده مدينة القاهرة وبنى الأزهر فاتخذها المعز عاصمة ملكه إلى أن توفى سنة ٣٦٥هـ . انظر ج٢ من كتاب قصة الأدب في الأندلس ص ١٧٨ — ١٧٩ .

(٣) قصة الأدب في الأندلس ج٢ ص ١٨٣ .

(٤) المفصل في تاريخ الأدب العربي ص ١٠٩ .

(٥) الحسن بن هانيء بن عبد الله الحكمي بالولاء كان أبوه مولى للجراح بن عبد الله الحكمي . ولد في لاهور سنة ١٣٩ هـ ونشأ بالبصرة اتصل بالخلفاء العباسيين فمدح بعضهم، رحل إلى دمشق ثم مصر وعاد إلى بغداد وعاش بها إلى أن توفى =

وأَخَفْتَ أهلَ الشِّرْكِ حتَّى إنَّهُ   لتخَافُكَ النُّطَفُ التي لَمْ تُخْلَقِ[1]

أو الحد الذي وصلت إليه مبالغة الشاعر منصور [2] النمري حينما قال مادحا لهارون الرشيد :

إنْ أخْلَفَ القَطْرُ لَمْ تُخْلِفْ مَواهِبُهُ   أَوْ ضَاقَ أمرُ ذَكَرْنَاهُ فَيتَّسِعُ[3]

ومع كل هذا وغيره فقد تناقلت كتب الأدب هذه الأبيات وأمثالها كنموذج لبعض أنماط التفكير في عصور قائليها، ولم تستبعدها كما فعل العقيلي في مختاراته . وبالمناسبة فإني بعد أن عرفت شك الأستاذ العقيلي فيما يرويه صاحب مطلع البدور عن قصة مديح ابن هتيمل للقاسم بن علي الذروي بقصيدته التي يقول مطلعها :

الله أكبر هذا منتهى أملي   هذي الجروب وهذا القاسم بن علي[4]

وأن الذروى كأفاه ببقر الحرث وشك العقيلي كذلك في صحة نسبة القصيدة إليه وأنه يعزو ذلك لعدم وجودها ضمن قصائد الديوان . بعد أن عرفت كل هذا تتبعت حال هذه القصيدة فوجدت مبرر الأستاذ العقيلي غيرَ

بها . له ديوان شعر مشهور وقد عرف بشعر المجون . انظر معجم المؤلفين ج٣ ــ ص ٣٠٠ لعمر رضا كحالة والعصر العباسي الأول ص ٢٢١ ــ ٢٣٧ لشوقي ضيف .

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ج٥ ص ٣٣٤ .

(٢) هو منصور بن الزبرقان بن سلمة من قبيلة النمر بن قاسط وهو تلميذ الشاعر العتابي . مدح هارون الرشيد كما مدح الفضل بن يحيى البرمكي ومدح يزيد بن مزيد الشيباني، لم يتعلق بلهو ولا بمجون كان شاعرا مجيدا يعتني بانتخاب الفاظه وانتقاء معانيه حتى يأتي بالطرائف. انظر جواهر الأدب ج٣ ص ٦٨ وانظر العصر العباسي الأول ص ٣١٥ .

(٣) العقد الفريد ج٥ ص ٣٣٥ .

(٤) مقدمة ديوان ابن هتيمل «اختيار العقيلي ص ١٣» .

مُقْنِع وإن لم توجد ضمن قصائد الديوان المرتب حسب الحروف الأبجدية للأسباب الآتية :

١ ـ أن للديوان نسخاً كثيرة متفرقة فربما سقطت هذه القصيدة أو غيرها من بعض النسخ .

٢ ـ أن إحدى النسختين اللتين بين يدي وهي : المأخوذة عن معهد المخطوطات العربية بالقاهرة والمنقولة عن مخطوطة اليمن، يقول ناسخها عند نهاية قصائد الديوان :

«تم الديوان الفريد بكرم الله وفضله، ويتلو ذلك ما وجد خارجا عن الديوان فمن حرف الهمزة قوله في مدح الصاحب بهاء الدين .....»[١] ولم نجد إلا حروف الهمزة والباء والدال . وإذاً فهناك شعر لابن هتيمل خارج الديوان مرتب على الحروف ربما تكون هذه القصيدة إحدى روائعه، وربما تكون قصيدته الوصفية ذات المطلع الرائع الذي يقول فيه :[٢]

يَمِيْسُ قوامُ الرُّمحِ كالغُصْنِ هَكَذا ومبسَمُهُ البرَّاقُ يلمَعُ هكَذَا

ربما تكون هي إحدى تلك الروائع المفقودة . وربما أتت قصيدته التي رثى بها الإمام أحمد بن الحسين التي يقول في مطلعها :

أَقْسَمْتُ أحلِفُ صادقاً وأنَا الذي ما قَطّ أحلِفُ آثماً بيميني

إنَّ الشجاعَةَ والسمَاحَةَ والنَّدىَ حَلَّتْ بقَبْرِ في رُبَا ذِيْبِيْنِ[٣]

ربما أتت دليلا على أن لابن هتيمل شعراً خارج الديوان المخطوط

---

(١) نسخة مصورة للديوان عن معهد المخطوطات العربية برقم (٣٠٤٩)توجد لدى الباحث.

(٢) القصيدة التي أتحفني بها أستاذي الشيخ محمد بن ناصر الحازمي المدرس بالمعهد العلمي بضمد وأحد علماء ضمد الأفاضل.

(٣) مخطوطة مطلع البدور ومجمع البحور لابن أبي الرجال ج٣

وربما تكون هذه القصيدة وغيرها مما جاء خارج الديوان !!

٣ ــ ما وجدته في مطلع البدور ؛ فقد ترجم ابن أبي الرجال للإمام الهادي الذي عاش في القرن التاسع وأورد له أبياتا مدح بها العلامة : على محمد[1] البكري، وضمَّنَ في أحد أبيات القصيدة الشطر الأول من مطلع قصيدة ابن هتيمل حيث قال :

دعْ ذكر ما بالحمىٰ والبان والعلم	وعدِّ عن معهد بالأبـرقين خلي[2]
وقدِّم الخوض في المقصود مبتدئاً	واعجل فقد خلق الانسان من عجل
وافىٰ[3] نظامٌ بديع اللفظ محكمه	مُتَبَّرٌ صِيْنَ عن هزل وعن خطـل
فقلت لما فضَضْتُ الختم عن مُلَحٍ	«اللَّـهُ أكبـرُ هذا منتهى أمَلي»

ولا شك أن تضمين الإمام الهادي لأحد أشطر هذه القصيدة يؤكد قول صاحب مطلع البدور بأنها قصيدة مشهورة ؛ وإلا لما تداولها الناس في القرن التاسع وضمنوها روائع أشعارهم . وبعد : فما الذي يمنع أن تكون هذه القصيدة من شعره الذي غرَّدَ به بعد أن أتم ترتيب ديوانه على الحروف الأبجدية ؟ فقد تكون موجودة في نسخ خطية أخرى لم تصل الينا بعد . وربما تسعفنا بها الأيام !!

(١) البكري: أحد علماء الصوفية في اليمن روي له صاحب مطلع البدور كرامات تذهل القاريء. والإمام الهادي كان معجباً بشعر ابن هتيمل فقد أشار إلي شعره وهناك قصيدة غراء تحكي (إذا جئت الغضا ولك السلامة). والشطر الأخير يمثل الشطر الأول من مطلع قصيدة لابن هتيمل يقول فيها:

إذا جئت الغضا ولكَ السّلَامَةَ ... فطارحْ بالتحيّة رِيْمَ رَامَةْ

(٢) مطلع البدور الجزء الثالث مخطوطة غير مرقمة الصفحات .

(٣) في النسخة الخطية (أفاً) .

(هـ) الألفاظ والصور الشعبية في شعره

وشاعرنا متمكن من اللغة العربية، وأُقسم أني قد وقفت عند بعض مفرداته أيّاماً، وهو مع ذلك قد خلد لنا في شعره ألفاظاً وصوراً شعبية لا يزال معظمها حياً ومتداولاً في لهجات المنطقة حتى وقتنا هذا . وإن كان بعض تلك الألفاظ له وجود وأحياناً جذور بين مفردات اللغة العربية الفصحىٰ ، والحق أنه ليس ابن هتيمل وحده من شعراء المخلاف الـذي نهج هذا النهج في الاحتفاء بلهجة قومه، وتخليد الأقرب منها إلى اللغة الفصيحة في شعره، بل إننا نجد من شعراء المنطقة من نحا هذا النحو، كالجراح (١) ابن شاجر الذروى مثلا، حيث توجد في ثنايا شعره هو الآخر ألفاظ وصور شعبية كثيرة (٢) .

وفي الأسطر التالية نعرض بعض النماذج لهذه الألفاظ والصور الشعبية التي تعتبر في تقديري جزءًا لا يتجزّأ من لهجتنا التي نتخاطب بها .

من أمثال قوله :

---

(١) الجراح بن شاجر بن حسن الذروي الصَّبّيَانِي أحد شعراء المخلاف السليماني في القرن العاشر الهجري ينتمي إلى قبيلة الذروات الأشراف له ديوان شعر أغلبه في مدح جمال الدين المهدي بن أحمد بن دريب بن خالد بن قطب الدين أورد أكثره القبي في الجواهر اللطاف واختار العقيلي من شعره ما سماه ديوانا نشره في الربع الأخير من القرن الرابع عشر وتوجد لدى الباحث صورة من ديوانه المخطوط ، انظر الجواهر اللطاف ورقة ٢٦ وورقة ٩٩ .

(٢) كلفظة «يطيح» الواردة في قوله :

فهنـــاك تم بهم وأمضى فيهم ... عزم يطيـــح بلملـــم وصفـــاء

إنْ طِبْتَ مِنْ دُونِهِمْ طعْماً فلا عَجَبٌ فالأرضُ ينبتُ فيهَا الكَرْمُ والدَّحَقُ[1]

وقوله :

بَكَ الرَّيْب[2] قَدْ مَاتَتْ هُنَاكَ خَدِيجَةٌ وفَاطِمَــةٌ أمُّ الحُسَيْــنِ ومَرْيَــمُ

وقوله :

أوَ مَارَأَيْتَ مَنَــازِلَ ابْنَــةِ مَالِكٍ حَطَّتْ[3] فُؤَادَكَ مَوقِــداً لِلْمُوقِــدِ

وقوله :

أنَا مِنْ وَعِيدكَ والوُعُــودِ أحيــ ـصُ في صدْقٍ وكِــــذْبِ[4]

وقوله :

لستُ بالمُقْــرِفِ[5] أُدْلِــي نَسبِــيْ بامِرِيءِ القَــيْسِ وجَــدِّي دعبــلُ

---

(١) الدحق نبات له ثمر مر المذاق يشبه طعم الحنظل وفي شكله يشبه صغار الحبحب والبيت في ص ١٧٥ من الجزء المطبوع .

(٢) بك الريب : عبارة للتوبيخ تستعمل وهو هنا يخاطب نفسه ليقول «لا تجزع فقد ماتت زوجة النبي عليه السلام خديجة وابنته فاطمة» والبيت في صفحة ٩٥ من المصدر نفسه .

(٣) حطت : معناها جعلت وصيرت ووضعت . والبيت في ص ١٧٩ من المصدر نفسه .

(٤) أحيص : أي أنه متورط لا يعرف مخرجا من ورطته . والبيت في ص ١٧٨ من المصدر نفسه .

(٥) نبهني الأستاذ الفاضل حسن القاضي . الأديب والشاعر المعروف والمدرس بمعهد جازان ووجدة العلميين إلى أن كلمة «مقرف» قد يكون مقصد الشاعر بها المعنى اللغوي الذي يورده صاحب القاموس المحيط (ص١٨٤ج٣) بأنه : الهجين وهو من أُمُّهُ عربية وأبوه غير ذلك لأن الإقراف يأتي من جهة الأم وقد عُدْتُ إلى لسان العرب فوجدته في الجزء الحادي عشر صفحة ١٨٧ يستعرض معاني كلمة مقرف على النحو الآتي :

إبل مقرفة بفتح الراء : أي مستجدة ـــ وقرفت الرجل : عبته فهو مقروف وقرف

وقولـه :

نبذوا الحفاظ فما ترى من ينقد الـ ـمنقود[1] أو من يعتب المعتوبا

وقوله مخاطباً ممدوحيه الذين يجعلهم ذهبا وبقية الناس نحاسا :

أيـن حال الناس من حالكم ليس صرف الصفر[2] مثل الذهب

وقوله مخاطباً ممدوحه :

أغنيتني وخطوب الدهر قد سحتت[3]
مالي، فلا سبدي عند ولا لبد

وكقوله أيضا :

وكيف يبرد حَرِّي أو يبوح جوىً
صدري وبين ضلوعي جمرة تقد

الرجل بسوء رماه. والمقرف بكسر الراء هو الذي داني الهجنة من الفرس والمقرف من الخيل : الهجين الذي أمه برذونة وأبوه عربي، والمقرف : النذل ، وجه مقرف : أي غير حسن .
هذه بعض معانيها اللغوية ولم أجدها بفتح الراء على صيغة اسم المفعول إلا في قولهم : إبل مقرفة «بمعنى مستجدة، وقرفت الرجل : عبته فهو مقروف وقد يكون استعمال الشاعر لها على المعنى اللغوي وإن كان جل شعر ابن هتيمل يميل إلى السهولة وعدم الإغراب ومع ذلك فلازالت كلمة مقرف بفتح الراء تستعمل في لهجتنا بمعنى الذي لا يعرف الأصول ولا يحسن استعمال الأشياء ولا يعرف بواطنها ونتائجها .. وكأنه غير الأصيل/ والبيت في ص ١٨٣ من الجزء المطبوع من الديوان .

(١) المنقود : الأمر المذموم . والبيت في ص ١٦١ من المصدر نفسه .
(٢) الصفر : النحاس . والبيت في ص ٣٧ من المصدر نفسه .
(٣) سحتت مالي : أي ذهبت بكل ما معي ولم تبق لي شيئاً والبيت في ص ١٤٦ من المصدر نفسه .

وقوله :

أراشى[1] جفــوني أن تنــام وترعـــوي
دمــوع أذاب الــبين راقي جمودهـــا

وقوله :

ألــنت ليَ الدنيــا فهـــبت رياحهـــا
رخـــاء وكانت وهْـــيَ ساكنـــة نكب
ومكنتنــــي من درهـــا ولقـــد أرى
ومـــا في يدي من در أخلافهـــا شخب[2]

وكقوله :

إذَا شَارِفٌ[3] حنَّتْ مِنْ البِـــرْكِ[*] أُرزَمَتْ
حِذَاراً عَليـــهِ شَارِفٌ بعْـــدَ شَارِفِ

وقوله :

جَرَّبْتُ بعَـــدَكَ قَوْمـــاً لَوْ عَرَضْتَهُـــمُ
لِلْبَيْـــعِ بالمَـــاءِ وَسْطَ النِّيـــلِ مانَفَقُـــوا[4]

---

(1) راشاه : في لهجتنا بمعنى داعبه ودغدغ معاطفه . وهي في اللغة الفصيحة رشا الفرخ : إذا مَدَّ رأسه لينام والبيت في ص١٤٣ من المصدر نفسه .

(2) شخب، في لهجتنا معناه : القبضة الواحدة من الحليب، وفي اللغة لا يبعد عن هذا المعنى، ففي المثل العربي : «شخب في الأرض وشخب في الإناء» . ومعناه الحلب . والبيتان في ص ١٣٣ من المصدر نفسه .

(*) البرك : بكسر الباء وسكون الراء وهي بلدة ساحلية سبقت الإشارة اليها .

(3) شارف : معناها في لهجتنا : الناقة أي ناقة وهي في اللغة «الناقة المسنة الهرمة» والبيت في ص ٩٣ من المصدر نفسه .

(4) نفقوا : نفق معناها في لهجتنا: يبيع على الآخرين ومعناها في اللغة الفصيحة «نفق البيع راج» والبيت في ص ١٧٥ من المصدر نفسه .

ولعل بعض المتعجلين في الحكم يظن حين قراءة هذه النماذج أن شاعرنا قد أعوزته ثقافته اللغوية، فلجأ إلى الألفاظ المبتذلة أو العامية، واستعاض بها عن الفخامة والجزالة التي يميل إليها بعض شعراء العربية، ولكنني أطمئن هؤلاء أن شاعرنا يعد شعره قاموسا لمفردات اللغة العربية، وبين طيات شعره مئات الألفاظ التي لا نستطيع هضمها أو إدراك جمالها إلا بالرجوع إلى قواميس اللغة وكتب البلغاء ذلك لأنه يراعي في شعره أحوال من يكتب لهم فيأتي بما يناسب مستوياتهم .

وكان بودي أن أعرض الكثير من النماذج التي تتضح فيها جزالة الشاعر وفحولته وإحاطته بأوابد اللغة وشواردها، ولكن الرغبة في الاختصار والرغبة في عدم الإطالة لم يسمحا لي بذلك وسأكتفي بإيراد نموذج واحد، تاركا للمتتبع فرصة الاستمتاع بتلك الشوارد في مظانها بين أنغامه الشعرية العذبة .. وإليكم النموذج المختار :

قال في رثاء القاسم بن علي الذروي :

أَرُكْبَانَ رِسْلَاتٍ[1] خِفَافٍ خِفَافُهَا[2] طِوَالٍ مَثَانِيْهَا[3] دَوامٍ أُنُوفُهُا[4]

عَرَاجِيْنُ[6] نَخْلٍ مَالَ عنهنّ رِيْفُهَا[7] بَرَىٰ نحضَهَا[5] طُولُ السُّرَىٰ فَكَأَنَّهَا

---

(١) رسلات القوم : طوالها .

(٢) خفاف خفافها : ليست بالثقيلة التي تسبب بطء السير وتعثره .

(٣) مثانيها : المثاني : الحبل الذي يربط بالزمام ويوصل بحبل الناقة السابقة لها .

(٤) دوام أنوفها : كناية عن مواصلة السير واستمراره .

(٥) نحضها : لحمها أي أزال لحمها مواصلة السير وكثرته .

(٦) عراجين : العرجون هو عود النخلة القديم قال تعالي : ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾ .

(٧) مال عنهن ريفها : زال عن أعواد النخل أوراقه ورؤاه ونعومته .

تُوَاهِقُ[1] هُوْجَ الذَّارِيـاتِ[2] كأَنَّمَا زَفيـفُ[3] الرِّئَـالِ النَّافِـرَاتِ زَفيفُهَـــا
إذَا ذَكَرتْ فِي سفْحِ عَكْـوَةَ[4] خَيْمَـةً شأْ[5] البرقَ سْبقاً مَعْجُهَا[6] ووحِيْفُهَا[7]
لِمَنْ تَخِذُونَ اليَعْمَلاتِ[8] وَمَنْ لَكُـمْ إذَا الحَرْجَفُ[9] النَّكْباءُ شَفَّ شَفِيْفُهَا؟
قِفُوهَـا ولَـوْ قَدْرَ الفَـــوَاقِ، فَرُبَّمَـــا أَرَاحَ عليهَـا بعضَ شيءٍ وُقُوفُهَـــا[10]

ويستمـر على هذا المنـوال يوغـل بنـا في متاهـــات الإغـراب ومجاهـــل اللغـة . أقـول ذلك وأنـا على يقين من أن كثيريـــن ممن ستتـــاح لهم قراءة هذه الأبيـات لن يدركـوا عن أي شيء كان يتحـدث الشاعـر ولـن يفهمـوا ذلك إلا بالرجوع إلى قواميس اللغة، لفك رموز تلك الألفاظ وتوضيح غامضها ...

وليس معنى هذا أن شاعرنا كان مغربـا في شعـره، لا يفهمـه إلا الخاصة، كلا . فشاعرنـا كان يخاطب كل الفئـــات، لذلك نجده تارة يختـــار الألفـــاظ الجزلة الفخمة وتارة يدنو من مستوى العامة فيخـاطبهم بلغـة شاعريـة قريبـة إلى

(١) تواهـق : تسايـر وتسابـق قال في القامـوس «تواهقـوا» : استـــووا في الفعـــال : تسايروا .
(٢) هوج الذاريات : الذاريات : الرياح وتوصف بالهوج إذا اشتدت .
(٣) زفيف الرئال : زفيف : تفزيع، الرئال : أفراخ النعام المفزع.
(٤) عكوة أو العكوتـان : جبـلان صغيران شمال وادي صبيـا .. ويـراهما المسافـر شرق مدينة صبيا، إذا حاذاهما من جهة الغرب، ويقصد الشاعـر بسفـح عكـوة : مدينـة الزرائب المنقرضة والتي كان يتخذها ممدوحه مقرا .
(٥) شأ البرق : سبقـه. وقـد وردت بهذا الشكـل في النسخـة الخطيـة ولعـل صحـــة خطها (شأى) .
(٦) معجها : عدو النياق يمينا وشمالا كناية عن شدة سرعتها .
(٧) وحيفها : سرعتها .
(٨) اليعملات : النياق المسنة .
(٩) الحرجف : الريح الشديدة .
(١٠) الأبيات في ص ٩٠ ــ ٩١ من الجزء المطبوع من الديوان .

مداركهم وأفهامهم وهو بذلك يطابق مستوى الأحوال ، ويعطي لكل مقام مقالاً .

ولنعد الآن إلى النص وبين أيدينا قبس من المعجم يضيء لنا أدغاله، فالشاعر يسير هنا على طريقة المتقدمين ، فيصف النياق التي تحمل مريدي فضل ممدوحه ويبدأ في وصفها من أخفافها . فهي ليست خشنة ثقيلة حتى تسبب لها تعثرا في السير أو إبطاءً ، وقوائمها طوال، لذلك كانت خطواتها سريعة ومتباعدة من أجل ذلك أطيلت الحبال التي تثنى بها فتوصل بسابقاتها ... وهي لكثرة سيرها واستمرارها فيه قد دميت أنوفها ، ونحلت أجسامها ، حتى سارت تشبه عود النخلة القديم الذي ذهبت خضرته وتساقطت أوراقه وجف رواءه، وهي مع ذلك تسابق الرياح الهوج فتسبقها ، وكأنها فراخ النعام الذي فُزِّع من مأمنه فهب مذعورا ، فسرعتها في سيرها تشبه سرعة أفرخ النعام المفزوع، وكلما تذكرت خيمة الممدوح الموجودة في سفح «عكوة» (*) أسرعت في سيرها ، حتى أعجزت في عدوها السريع ساري البرق، فلم يستطع اللحاق بها ، وفي الختام يشفق عليها من مواصلة السير المنهك فيطلب من حداتها أن يوقفوها للراحة ولو مقدار الوقت القصير بين الحلْبتين لأن ذلك ربما يعيد إليها النشاط، ويريحها من بعض ما تعانيه من سيرها السريع المتواصل .

على أنني أعود فأذكرٍّ أن هذه الأبيات قدم بها ابن هتيمل مرثيته في أمير المخلاف السليماني في القرن السابع القاسم بن عِلي الذروي حيث قال بعدها :

(*) عكوة : أحد جبيلن صغيرين غير مأهولين يقعان شمال شرق مدينة صبيا ببضع أميال وقد سبقت الإشارة إليهما .

رُوَيْداً أَيَاذَا الـرَّكْبِ قَاسِمَ قُدْنَـهُ   حُتُوْفُ الْمَنَايَا لَابَقِيْنَ حُتُوْفُهَـا[1]

وبعد : فهذه الأبيات الستة نَقَلَنَا فيها ابن هتيمل كما رأينا إلى جزالة المتنبي [2] وإغراب الفرزدق وفحولة أبي تمام ... فاضطرنا فيها إلى

---

(١) المصدر السابق ص ٩١ .

(٢) **وبمناسبة ذكر المتنبي : فلقد مرت بي أبيات لشاعرنا ابن هتيمل يعاتب فيها ممدوحه الملك المظفر حين أكرم بعض أدعياء الشعر في عصره وأين هم من أدعياء الشعر في عصرنا؟ فذكرني ذلك بموقف مشابه لأبي الطيب المتنبي : يقول ابن هتيمل في هذا المعنى ص ٨١ من الجزء المطبوع من ديوانه :**

لك الخير فعل الخير في غير أهله   لعمرك فعل غرسةُ غير مثمر
فلا تطعم الغربان طعمة أجدل   وتعطي ضباع الشعر حظ الغضنفر
وانك إن أهملتني أو تناسخت   عليّ الليالي من سنين أوشهر
أتاك وإن كنت الغنيّ عن الذي   يجيئك تفويف الصناع المحبر
من اللاء ماغنّى الوليد «ابن بلبل»   بهن ولم يخلع على ابن المدبر

وقبله قال المتنبي :

إذا الجود أعطى الناس ما أنت مالك   فلا تعطين الناس ما أنا قائل
أفي كل يوم تحت ضبني شويعر   ضعيف يقاويني قصير يطاول
لساني بنطقي صامت عنه عاذل   وقلبي بصمتي ضاحك منه هازل
وما التيه طبي فيهم غير أنني   بغيض إليّ الجاهل المتعاقل
وأكبر تيهي أنني بك واثق   وأكثر مالي أنني لك آمل
لعل لسيف الدولة القرم هبة   يعيش بها حق ويهلك باطل

انظر ديوان المتنبي ج١ ص ٢٣٦ ــ ٢٣٧ .

وقال أيضاً في موقف آخر :

يرومون شأوي في الكلام وإنما   يحاكي الفتى فيما خلا المنطق القرد
فهم في جموع لا يراها ابن دأية   وهم في ضجيج لا يحس به الخلد
ومني استفاد الناس كل غريبة   فجازوا بترك الذم إن لم يكن حمد

انظر ديوان المتنبي ج٤ ص ١١٠ تحقيق البرقوقي .

استصحاب المعجم ولـولا ذلك لما استطعنـا إدراك المعـاني والأفكـار التـي ذهب إليها .

ولئـن كانت معانيـه في هذه الأبيـات قديمة ومتداولـة ، إلا أنـــه قد جدد في دمجه بين أشواقـه وأشواق نياقـه للقـاء الممـدوح ؛ فهـــي تبادلـــه الشعـــور وتسابقه شوقا للقـاء ممدوحـه لذلك فهـي كلمـا ذكـرت خيمـة ممدوحـه جدت في السير حتىٰ سبقت هوج الرياح وساري البرق تطلعا للقاء الممدوح .

(و) أثر البيئة في شعره

« التعبير الذي يلقي المعنى مجرداً يخاطب الذهن وحده ... والتعبير الذي يرسم للمعنى صورة وظلا يخاطب الحس والوجدان » (١).

بهذه العبارة القصيرة أجمل المرحوم سيد قطب ما يكتب عنه دارسو الأدب الصفحات الطوال والدراسات المطولة ، أجل فمتى استطاع الشاعر أن يخلع الحياة وتبادل العواطف على ما حوله من أشجار وأزهار ... وخيول وجمال .... وكثبان ورياح .... فيجعل بعضها أو جلها تشاركه أفراحه وأتراحه ، متى استطاع الشاعر ذلك ، استطاع أن يخاطب في القاريء الحس والوجدان والمشاعر .... وهذا ما اصطلح على تسميته : «بالطبيعة في الشعر» (فهو الشعر الذي يمثل الطبيعة أو بعض ما اشتملت عليه) (٢).

وقد يستريح الشاعر إلى الطبيعة لأنها هواء عليل وظل ظليل، ومهاد وثير، وهي إلى جانب هذا وذلك قلب نابض ، وحياة شاملة ، وعواطف سامية ترضي حاجة القلب إلى المتعة بالجمال الذي بثته يد الخالق العظيم في ألوان الطبيعة الساحرة بأطيارها وأزهارها ونسماتها العاطرة .

ولقد عُرفت الطبيعة في الشعر العربي منذ عصوره الأولى (٣) ، عُرفت كعنصر فعّال من عناصر نموه وازدهاره، وبث الحياة فيه . عرفها تشحذ العقول وتنمي المواهب، وعرفها توحي بالصور وتلهم بالمعاني، كما عرفها تسمو بالعواطف وتهذب الحواس الشفافة ، فتلونها بلونها ، وتصبغها بصبغتها ، فتحيلها إلى جزء منها لا يريم عنها ، ومن هنا قالوا : « الشاعر ابن

(١) كتب وشخصيات . / لسيد قطب .

(٢) شعر الطبيعة في الأدب العربي لسيد نوفل ص ٢٣ .

(٣) عرفت في شعر امريء القيس — كما عرفت في شعر عنترة وشعر علقمة وزهير وعبيد بن الأبرص كما عرفت في شعر الصعاليك .
(انظر كتاب شعر الطبيعة في الأدب العربي) تجد نماذج لذلك لا تخطئها العين .

بيئته » وشاعرنا القاسم بن علي بن هتيمل يأتي في طليعة أولئك الشعراء الذين تأثروا بالطبيعة ، وأثروا بها شعرهم فجاءت معظم قصائده حدائق ذات بهجة ، وخمائل ازدانت بألوان الثمار، وشتى الأزهار . ولعلنا حين نستعرض بعض نماذج من شعره نلمس شدة ولعه بالطبيعة ومشاركته إياها ، وتمازجه معها ، وما أحلى أحاديث الشاعر عن مراتع صباه ومأوى خلانه ، تجده يستعذب أخبار رياضها التي ترف باخضرار ونضارة، وظلها الذي يشبه الكواكب وقد ازينت به نباتاتها وزهورها . وإذا ما هب النسيم على روابيها، نشر العطر الفواح من شميم الشيح والحوذان والرند فكأن المسك والعنبر قد جمعا :

أَعِدْ لِي أَحادِيثَ العذَيْبِ وكَرِّرِ ... وهاتِ لَنَا عَنْ حاجرٍ ومُحَجَّرِ[1]
وكيفَ اللِّوىٰ مِنْ بَعدِنَا؟ أَرِيَاضُهُ ... تَرِفُّ بَرَقْرَاقِ النَّضَارَةِ أَخضَرِ؟
يَظَلُّ يُنَاغِي الشَّمسَ لُؤْلُؤُ طَلِّهِ ... بأَبْيَضَ في أَحْوىٰ النَّبَاتِ وأَصفَرِ
كأَنَّ ذهَابَ المُزْنِ نَمْنَمَ فَوْقَهُ ... سَبَائِبَ[2] مروٍ أَوْ درَانِكَ[3] عبْقَرِ

---

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص ١١٧ .

(٢) سبوب وسبائب وسبيبات : الحبل والخمار والعمامة والوتد . وشقة رقيقة كالسبيبة ورد في لسان العرب لابن منظور ج١ ص ٤٣٨ : السبب : الثوب الرقيق وجمعه أيضا سبوب. وفي الحديث: «ليس في السبوب زكاة» وهي الثياب الرقاق .

ويقول : والسبب : الستر .. والسبب : الخمار . والسبب : العمامة . والسبب: شقة كتاب رقيقة. والسبيبة مثله، والجمع السبوب والسبائب .. وعليه قولهم
ونسجت لوامع الحرير ... سبائبا كسرق الحرير

(٣) درانك : ثياب تستخدم ستورا وفرشا فيها صفرة وخضرة كما ذكر صاحب القاموس المحيط ج٣ ص ٣٠١ .

قال صاحب لسان العرب : الدرانيك ضرب من الثياب أو البسط له خمل قصير كخمل المناديل وبه تشبه فروة البعير والأسد .

وعليه قول رؤبة :
جعد الدرانيك فل الاجلاد ... كأنه مختضب في أجساد

إذَا مَا النَّسِيمُ الرَّطْبُ صافَحَ تُرْبَهُ ... تَعَطَّرَ مِنْ حوذَانِهِ المُتَعَطِّرُ
وَهَلْ مِنْ شَمِيْمِ الشِّيْحِ وَالرَّنْدِ نَفْحَةٌ ... مُمَسَّكَةٌ في طَيِّ نَشْرٍ مُعَنْبَرِ

وارتباطه بطبيعة بلاده لا يماثله ارتباط، فهو يفضلها على مجالي الطبيعة أياً كانت ولا يرى لها مثيلا في حسنها وجمالها، فهو لا يستعيض عن جمالها بأي جمال .

فَمَا عاضَنِي في بَانَةِ الرَّمْلِ عَائِضٌ ... وَلَا سَرَّنِي بَعْدَ الكَثِيْبِ كَثِيْبُ[1]

ويحن إلى مجالي الطبيعة في مرابعها ، ويجد في إلمامه ببعضها إطفاء لما تكنه جوانحه من لواعج الشوق وتراه يسأل — بكيف .. وما .. يتساءل عن جبال الأبرقين وشيحها ذي الذوائب الراقصة، ويسأل عن نجد وعن نسيمه ، وعن خزاماه، ويشبّه حنينه إلى مجالي الطبيعة ومفاتنها بحنين الابل العطاش حين ترد المنهل بعد ثلاثة أيام أو أربعة أو خمسة .

وكَيْفَ جبالُ الأَبْرقَيْنِ أُشِيحُهَا ... ذَوَائِبُهُ تَهْفُو عَلَىٰ عذَبِ الوَرْدِ[2]
وَمَا حَالُ نَجْديِّ النَّسِيْمِ وَمَا رَوَىٰ ... خُزَامَاهُ عَنْ نَجْدٍ وعَنْ سَاكِنِي نَجْدِ
فَرُبتَمَا أَطْفَأْتُمَا مِنْ جَوَانِحِي ... بشِمٍّ رِيَاحِ القُرْبِ مَعْمَعَةَ البُعْدِ
أَحِنُّ إِلَىٰ الرَّمْلِ العَقِيْقِيِّ واللِّوَىٰ ... لِوَاهُ حَنِينَ الخامِسَاتِ إِلَىٰ الوِرْدِ

ويهتف حين يشاهد بعض أحبابه من ألوان الطبيعة فيعبر باسم الإشارة «ذاك» مغتبطا أجل هذا هو الأثل والبان — والأراك والشيح والحوذان :

ذَاكَ العقيقُ وَذَاكَ الأَثْلُ والبَانُ ... فَسَلْ أُولٰئك عن الحَيِّ الذي بانُوا[3]
هلِ الأَرَاكُ إِذَا مَرَّ النَّسيمُ بِهِ ... تَعَانَقَتْ منْهُ أَغْصَانٌ وأَغصَانُ؟
وهلْ عنِ الشِّيحِ والحُوذَانِ لي بَدَلٌ ... بالشِّيحِ شيحٌ وبالحوذَانِ حوذَانُ؟

---

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٧٧ .
(٢) الجزء المطبوع من الديوان ص ٥٢ .
(٣) المصدر نفسه ص ١٢٨ .

وأحيانا يخصص أثلا معينا له في نفسه ذكريات، فيحن إليه، ويتساءل عنه في لهفة كما نراه يتساءل عن أثل الواسطِ الذي كان مقيلا لأحبابه ... ومكان اجتماعه بخلانه

هلِ الأثْلاتُ اللاءِ غربيَّ وَاسِطٍ نَواعِمُ خُضرٌ مَا بِهِنَّ ذُبُولُ[1]
وهلْ هُنَّ غَضَّاتٌ كأنَّ فُروعَهَا فُرُوعُ العَذَارىٰ ظِلُّهُنَّ ظَلِيْلُ
فَقَدْ طَالَمَا أَمْسَتْ وظلَّتْ ودَوحُهَا مَبيْتٌ لغِزْلَانِ الحِمىٰ وَمَقِيْلُ

ولا غرابة في هتافه هذا فالنعيم المقيم في نظر شاعرنا لا يتم إلا إذا هبت الريح الجنوبية المعروفة بالنعامىٰ ، فهي تأتي وقد حملت في ثناياها عبير الزهور وأنفاس الخزامىٰ وشميم الشيح لذلك سمعناه يقرر :[2]

نَعيمُكَ ما أَتَتْكَ بِهِ النُّعَامىٰ[3] ومَا شَرَحَتْهُ أَنفَاسُ الخُزَامَى
وَمَا ذَكَرَ النَّسيمُ الرَّطْبُ عنْ مَنْ تَرَحَّلَ عنْ أَرامَ ومَنْ أَقَامَا
أهلْ شيحُ العَمِيْمِ[4] يَمِيْسُ تِيْهاً ذَوائِبُهُ وهلْ سقىَ الغمَامَا؟

ويزاد به شغفه فيتساءل في وله وهيام :

أمُحَدِّثي بالرَّمْلِ هلْ منْ نُبْذَةٍ فِيْمَا رَوَيْتَ عَنِ البَشَامِ المُوْرِقِ
مِنْ مائِهِ الصَّافِي النَّمِيرِ وظلِّه الضْـ ـافِي الظليلِ وطلِّهِ المُتَرَقْرِقِ[5]

لا غرابة في هتافه فحنينه إلى مجالي الطبيعة بلغ به مرحلة تجاوزت الْوَلَه حتى صار يعانق بعض الغصون لفرط صبابته ووجده :

(١) المصدر نفسه ص ١٨٢ .
(٢) المصدر نفسه ص ٧٦ .
(٣) النعامىٰ : قال صاحب الصحاح : هي الريح الجنوبية لأنها أَبَلُّ الريح .
(٤) العميم : قرية منقرضة على أنقاضها في عصرنا الحالي حيّ صغير يعتبر أحد أحياء مدينة ضمد .. وتسمى حلة النجار (أو حي الروضة) .
(٥) مخطوطة الديوان .

أَحِنُّ إِلَى الكَثِـيْبِ وَمَـا أُرانِـي تَرىٰ عَيْنَـاي ذَيَّـاكَ الكُثَيِّبَـا[1]
وأَعتنِقُ الـقَضِيْبَ اللَّـدْنَ رَطْبـاً حَكَـىٰ في بَرْدِ عاتكـة القَضِيْبَـا

ويستأثر بالشاعر فرط الحنين إلى مجالي الطبيعة الساحرة فيتساءل في لهفة واشتياق عن سرحة الوادي الفينانة وعن نفحات الشيح والحوذان، وعن الأثلات التي ترقص ذوائبها الخضراء كلما راقصتها الرياح الندية :

هلْ سَرْحةُ الْوَادِي عَلىٰ عَهْدِي بِهَا مُخْضَرَّةُ الأفْنَـانِ والأغْصَانِ[2]
وهَلِ النَّسِيمُ الرَّطْبُ يحمِلُ ذَيْلُـهُ نَفَحَـاتِ ذَاكَ الشيِّحِ والْحَـوْذَانِ
وذَوَائِبُ الأثـلاتِ تَرْقُصُ إنْ هَفَتْ مَرْضَىٰ الرِّيَاحِ بهَا عَلَىٰ الغُـدْرَانِ

ويزدادُ حنينه فيترجَّىٰ أَنْ تَهبّ الرياح شمالية كانت أم جنوبية، المهم أن تحمل في طياتها غمائم يسقى مطرها كثبان العميم، فيتحول نسيمها إلى نشر يفوق الطيب بل يكون له طيبا :

لَعـلَّ الرِّيـحَ إنْ بَكَـرَتْ هُبُوبَـا وإنْ غَبَـرَتْ شَمَـالاً أَوْ جَنُوبَـا[3]
تَسُوقُ إلى العَمِيـمِ من الغَـوَادِي غَمائِـمَ كَيْ تَشُقَّ بِهَـا الجُيُوبَـا
وتحمِـلُ مِنْ شَمَيـمِ الرِّيـحِ نَشْراً يَكُـونُ نَسِيمُـهُ للطِّـيبِ طِيبَـا

ولا غرابة في اندماج شاعرنا مع عناصر الطبيعة الجميلة فهي تشاركه أفراحه فيبكي على فراق الحبيب :

---

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٠٠ .
(٢) المصدر السابق ص ١٢٣ .
(٣) المصدر السابق ص ١٠٠، ابن هتيمل في هذا البيت يشير إلى الرياح الموسمية التي تسمى في جهته (غبر) وهي التي تهب في أيام الصيف على تهامة وفي هذا البيت نجد نفساً من روح مسلم بن الوليد حين قال :
أحب الـريح ما هبت شمالاً وأحسدهـا إذا هبت جنوبـاً
انظر ص ٢٦٢ من كتاب الشعر والشعراء لمصطفى الشكعة .

بَكَرَ الغَمَامُ عَلَيْكَ يَبْكِي دَائِماً   فَتَسِحُّ أَدْمُعُـــهُ وَيَضْحَكُ بارِقــاً[1]
وَسَرَىٰ البَشَامُ إلــيك يَنْــفُضُ مَرَّةً   عَذْبَ البَشَامِ عَلــىٰ تُرابِكَ خافِقــاً

وشاعرنا في الأبيات الآتية يجاري شعراء الطبيعة الأندلسيين في مشاركة الطبيعة وبثها همومه علها تشاركه المعاناة وتخفف عنه الآلام كما فعل حين شكا إلى النسيم فتحمل عنه النسيم شكايته بإشفاق شديد :

وإذَا شَكَوتُ إلىٰ النَّسِيــم هُبَوبَــهُ   حَمَلَ الشِّكَايَةَ مُشْفِقاً وهُبُوبَــا[2]

ولا يكتفي بمشاركة الطبيعة والتحامه معها وبثها همومه فنراه يتساءل عنها في إشفاق ويستنشق أخبار الأحباب من أثل وكثبان يتمنى لها السقيا .

أَجِيْرَانَ وَادِي الأَثْلِ مَافَعَــلَ الأَثْلُ؟   وَمَا عِلْمُكُمْ بِالرَّمْلِ هل سُقِيَ[3] الرَّمْلُ؟

وحين لا تجديه المشاركة والشكوى شيئاً ، نسمعه يناجي بعض عناصر الطبيعة سائلا إياها عن أخبار بقية الأحباب من البشام والخيام ، ولقد جد به النوى وزادت به لواعج الشوق ، وحتى ناقته تشاركه هذا الحنين فترزم وتحن حين يمتطيها ويتجه بها نحو الديار :

يَانَسِيــمَ الأَسْحَــارِ فيكَ شَمِيْــمٌ   من بَشامِ اللِّوىٰ فَكَيْـفَ البَشَامُ؟[4]
أعقيـق اللِّوىٰ عقِيْقُ اللِّوىٰ والْــ   ـعَلَـمُ الفَـرْدُ والخِيَــامُ الخَيَــامُ؟

وتمتد به لهفة التساؤل فينشد :

أمُخَبِّـري أَرَأَيْتَ سَفْـحَ الرَّمْـلِ سَفْـ   ـحَ الرَّمْـلِ بَعْدَهُـمُ وَبَـارِق بَارِقَــا[5]

---

(١) مخطوطة الديوان .
(٢) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٦١ .
(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص ٦٩ .
(٤) المصدر نفسه ص ٧٣ .
(٥) مخطوطة الديوان .

والبـــانُ كيـــفَ رَأيْتَـــهُ؟ أرَأيْتَـــهُ   مُتَرَنّحـــاً مُتَمَايِـــلاً مُتَعَانِقـــاً

ولن يمل التساؤل عن النسيم جنوبه وشماله فللنسيم عند شاعرنا مهامٌ يؤديها في رحلته اليومية من أهمها نقل رسائل الأحباب فهو لذلك يصافحه ويبثه حديث المحب الهيمان ولذلك نسمعه يشير :

عَسَىٰ خَبَـرٌ عَنِ الـرَّشَأ الرَّبِـيْبِ   أتَـىٰ في طَيِّ باكِـرَةِ الجَنُـوبِ[1]
رَسَائِـلَ مَا تَزَالُ الرِّيـحُ تَهْـوِي   بِهِـنَّ مِنَ المُحِبِّ إلـىٰ الحَبِـيْبِ
أصَافِحُهَـا إذَا نَثَّتْ حَديثـاً   تُتَرْجِمُـهُ بَزَمْزَمَـةِ الهُبُـوبِ

وإذا كان عنترة العبسي قد شارك فرسه آلامه، وعبّر عن معاناته حين قال : (وشكا إليَّ بعبرة وتحمحم) فشاعرنا يشارك ناقتـه آمـالها وآلامهـا حين يقـول :

مَالَنَـا يارِفَـاقُ زَعْزَعَنَـا الشَّوْقُ   ولِلْعِـيْسِ تَحْتَنَـا إرْزَامُ؟[2]

وحين يقول :

وَلَا تُرِهَـا أثْـلَ البَدِيـعِ فإنَّهَـا   تَحِـنُّ إلَىٰ أثْلِ البَديْـعِ وَتُـرْزِمُ[3]

ويتوسل إلى النسيم أن يكف عن الهبوب بعد أن يقضي الشاعر نحبه[4] ويرجوه أن لا ينفض عذب البشام وأزهاره إلا على ضفاف غدير عذب :

---

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص٣٧
(٢) العيس:المطايا من الابل والبيت في ص٧٣من جزء الديوان المطبوع
(٣) الجزء المطبوع ص١٨١ وانظر الأخير في مخطوطة اليمن (تحن لمأثول البديع وترزم)
(٤) لعله يحاكي أبا فراس الحمداني في قوله :
معللتي بالوصل والموت دونه   إذامت ظمآنا فلا نزل القطر
والبيت في ص٧٣ من الجزءالمطبوع .

أُوْصيْكِ يارِيــــحَ الجَنُــــو ب إِذَا قضيتُ الآنَ نَحْبِـــيْ[1]
لَا تَنْـــفُضِيْ عَذْبَ الـــبَشَا مِ عَلَــىٰ غَديـــرٍ غَيـــرِ عَذْبِ

وحنين شاعرنا لمجالي الطبيعة لا ينتهي ، تشاركه هذا الحنين نياقه فهي تحن كلما بدت لها الديار :

مُحَدِّثَتِي بالرَّمْـلِ مَنْ لِي لَو انَّنِـي ظَفِرْتُ بأَدْنـىٰ بَلَّـةٍ مِنْ بلَالِـهِ[2]
وهـلْ أَيْكُ ذَاكَ الشِّعْبِ بَرْدُ ظِلالِـهُ عَلىٰ عَهـدِ مَنْ أَهْـوَاهُ بَردُ ظِلَالِـهِ
أما نفحـةٌ تُهْدِينَهَـا مِنْ جَنُوبِـهِ إلى كَبِـدِي أَوْ نَفْحـةٌ من شِمِالِـهِ
أأَمْنَعُ نِضْوِي[3] أَنْ يَحِـنَّ وقـدْ بَدَتْ جبـالُ النَّقَـا مِنْ عَالِـجٍ ورمِالِـهِ

ولعل الدهشة تشدنا حين نجد ابن هتيمل يشرك إبله حتى في الحزن على فقيده فإذا حنت إحداها ، أَرْزَمَتْ البقية ، حتى لم تبق منها شارف لا تردد الحنين حتى تجش أصواتها من شدة الترجيع والحنين والإرزام :

إِذَا شَارِفٌ حَنَّتْ مِنَ البِرْكِ[*] أَرْزَمَتْ حِذَاراً عليه شَارِفٌ بعـدَ شَارِفِ[4]
فرجَّعْـنَ من بُحٍّ كَأَنَّ حنينَهَـا تَزَمجُرُ رَعْـدٍ في الغَمَامِـةِ قَاصِفِ

وقد ندرك في المقطوعة التالية أو الأرجوزة مدى انصهاره واندماجه في حب الطبيعة ، وتفاعله معها فهو يُحمِّل نياقه مسئولية الحنين ويشاركها ذوبها الوجداني ، حين تتلفت بأعناقها يمنة ويسرة ، وحين تصور بعيونها في مجاليها بحثاً عن أسرار الروعة :

كِلْهَـا إلى التَّرْجِيْـعِ في حَنِيْنِهَـا لَعلَّهَـا تَنْـزِعُ عَنْ جُنُونِهَـا[5]

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص١٧٨ .
(٢) مخطوطة الديوان .
(٣) نضوي :بعيري .
(*) البرك:بكسر الباء وسكون الراء بلدة ساحلية سبقت الإشارة الي موقعها .
(٤) الجزء المطبوع من الديوان ص ٩٣ .
(٥) مخطوطة الديوان .

واسمحْ بحمْلِ الثِّقْـــلِ عن ظُهورِهَـــا تَحـــلُّ ثقْـــلَ الغـــلِّ عنْ بُطُونِهَـــا
حَسبُ الحَنَيــنِ أنَّهـــا بِرَامَـــةٍ يَعْجِـــلُ أن تَحْنُـــو على حَنِيْنِهَـــا
قَدْ غَلَبَ الشَّوقُ عَلَـــىٰ جِرَانِهَـــا فَآضَ لا يَنْساغُ في حَرِيْنِهَـــا
ألَا تَرَاهَـــا إنْ رَأَتْ بانَ اللِّـــوىٰ تَكَـــادُ أنْ تَسْلُسَ منْ وَصِيْنِهَـــا[1]
ما بَرِحَتْ تَلْـــفتُ مِنْ أعْنَاقِهَـــا إليـــهِ أو تَصُورُ منْ عُيُونِهَـــا[2]

نياقه أيضاً تشاركه التذكر والحنين ، فتراه يقودها قسرا إلى ديار الأحبة فإذا ما تذكرت أيكة الملتف ، وماءه السلسبيل، زاد حنينها وشهيقها :

لَهَـــا حَنيـــنٌ ولَهَـــا شَهِيـــقٌ ما يَنْـــقضِي إنْ ذُكِـــرَ العَقيـــقُ[3]
فَخلِّيَاهَـــا فالهوىٰ يَقُودُهَـــا إلـــىٰ العَقِيـــقِ والهوىٰ يَسُوقُ
يَلْوِي اللِّـــوىٰ أعناقَهَـــا صَاعـــدِةً إنْ أوْمَضَتْ في الأبْـــرَقِ البُـــرُوْقُ
مرنّحـــاتٍ كُلَّمَـــا تَرنَّـــحَتْ في الرَّمْـــلِ بانَـــاتٌ عليـــه رُوْقُ
هَيْهَـــاتَ لا تحمِلُهَـــا عنْ اللِّـــوىٰ إلى سِوَاهُ أذرُعٌ وسُوقُ
أمَاؤُهـــا السَّلْسَل حنَّت طَربـــاً؟ لِورْدِهِ أمْ أيْكُهَـــا الوَرِيْـــقُ؟

تلك هي جل مجالي الطبيعة في بلاد ابن هتيمـــل من أثـــل ، وأراك ، ومرخٍ وَبشَامٍ وبـانٍ ، وورودٍ ، وريحانٍ ، يعـــبث بها الـــنسيم ويحرك أغصانها اللدنة على ضفاف الغدران، فتبعث في نفسه الشاعـرة وَلَهَـهُ ووجـده ، فيتحـرك وجدانه ليشاركها أفراحه وأتراحه ، ويبثها أحيانا أحزانه علها تخفـف عنـه بعض معاناتـه ، ولـو كان للطبيعـة في بلاده ظواهـر أخـرى غير الكثبـان وغير ما بثـه

---

(١) وصينها : مكان علفها ومرعاها ، يقال : وصن النبت: اتصل وكثر . (أساس البلاغة ص ٦٧٩) والمعنى تكاد تهجر نباتها شوقاً .

(٢) تصور من عيونها : في عنقه صورة : ميل وعـوج ، يقـال رجـل أصور وهـو أصور إلى كذا إذا مال عنقه ووجهه إليه . أساس البلاغة للزمخشري ص ٣٦٤ .

(٣) مخطوطة الديوان .

لواعجه من أشجار وأزهار وأطيار تعج بها طبيعة بلاده مما أشرنا إليه آنفا لقرأنا لابن هتيمل وصفا لتلك الظواهر يحييها فيه ويناجيها ويبثها الحياة ... ولكنها طبيعة بلاده المخلاف السليماني ولا أثر لطبيعة أي بلاد زارها أو مدح ولاتها أو اتصل بهم سواها وحدها فقط هي مصدر إلهامه ومسرح خيالاته ...

(ز) نجد وصباها في شعر ابن هتيمل

كانت نجد وصباها مازالت ملهمة الشعراء ، ومسرح خيالاتهم ، ومنتدى أحلامهم ، ومرتع أفكارهم، والمجال الخصب لروائع صورهم ، يحرك صباها وجداناتهم ويتغلغل صفاؤها في مشاعرهم، فيحنون إلى رياضها يتفيأون ظلال ضالها وسلمها ويستروحون شميم عرارها ، ويسترجعون عبير شيحها وخزامها وحوذانها، فيسكبون ذلك وغيره من مفردات طبيعة حسنائهم شعرا يتدفق جمالاً، يأخذ بمجامع الألباب، ويحلو لهم ذكرها في غزلهم قبل ذكر الحبيبة ، ويَتَرَنَّمُوْنَ به في حنينهم سجعا كسجع قماريها ، وترجيعا كترجيع هيمها ، وهمسا كهمس نسيمها ، وقد يضيق بنا المقام لو حاولنا استعراض بعض ما أوحت به نجد إلى الشعراء قديما وحديثا من غرر القصائد، لأنك قَلَّ أن تجد شاعرا من شعراء جزيرتنا العربية لم يترنَّمْ بشيحها وخزاماها ، ويحن إلى ظلالها ومغانيها ، أو لم يحرك فيه صبا نجد مشاعر الوجد والحنين .

وشاعر الجزيرة العربية بعامة ، والمخلاف السليماني على وجه الخصوص في القرن السابع الهجري القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي أحد أولئك الذين تَرَنَّمُوا في شعرهم بنجد وصباها ، وحنوا إلى ضالها وسلمها ، وشيحها ورندها، لأن لها عليه صنائع معروف لا ينساها وأيادي كريمة تبعث في نفسه نجواها :

عليَّ صَنيعةٌ لنَسيمِ نَجْدِ ... بِمَا أهدَاهُ من نَفَحَاتِ نَجْدِ[1]

أَتَى بالمِسْكِ تحمِلُهُ النُّعَامَى ... وماءِ الوَرْدِ في شيحٍ ورَنْدِ

فأهلاً يانسيمُ بِمَا أَتَتْنَا ... بِهِ النَّفَحَاتُ من هزْلٍ وَجِدٍّ

(١) مخطوطة الديوان .

فهـو يحب نجداً إلى حدَّ الولـه ، ويحب نسيمهـا ، وشيحهـا وحـوذانها ، وندها وخزاماها ويُحبُّ قبل ذلك ناسها ويستقبل تبعا لذلك الأنسام التي تأتيـه من قِبَلَهِمْ بإعزاز وإجـلال فيسألها عن ديـار نجد وعـن أحبته فيها ، ويسألها عن صبا نجد وعن ضالها وسلمها :

أُصَافِحُ الرِّيحَ إجْلالاً لِمَا حَمَلَتْ إلَـيَّ مِنْ ريح بُرْدَيْهـا وأُسْتَلِـمُ[1]
كَيْفَ الغَضَايا صَبَا نَجْدٍ؟ وَمَا فَعَلَتْ تِلكَ الخَيَامُ وذاكَ الضَّالُ والسَّلَـمُ؟

ولا يكتفـي بذلك بل نجده يهتـف بأعلى صوتـه معلنـا بصدق وعفويـة ولَهَهُ الشديد، وحبه العميق لنجد وساكني نجد ولنشر شيح ورند نجد :

أُحْـبِبْ إلـيَّ بسَاكِنـي نَجـدِ وبـنشرِ ذَاكِ الشِّيـحِ والرَّنْـدِ[2]

من أجل ذلك نجده يتلقـف أخبـار الركبـان فيسائلهـم عن نجد وخزامـاه وعـن أحبابـه من ساكنـي نجد، بل يجسد من شدة ولهه وهيامـه نسيم نجد وخزاماه في هيئة متحدثَيْن لبيبين يسائلهما فيرويان له بإسهاب أخبـار الأحبـة في نجد :

أَعِنْدَكُمَا عِلـمٌ عنِ العَلَـمِ الفَـرْدِ وهَـلْ لَكُمـا عَهْدٌ بِنَاكِثَـةِ العَهْـدِ[3]
ومـا قَالَ نَجْـديُّ النَّسِيـمِ وَمَـا رَوَتْ خُزَامَاهُ عَنْ نَجْدٍ وعنْ سَاكِنِي نَجْدِ؟

لا غرابـة في تساؤلـه فالـنسيم ينقـل اليـه روح نجد فيـنشرح قلبـه لشميم عراره وأريج خزاماه :

يَهُبُّ لهُ النَّسِيـمُ بِرُوْحِ نَجْـدِ فيصْدَعُ قَلْبَـهُ ذَاكَ النَّسِيْـمُ[4]

---

(١) المصدر نفسه
(٢) مخطوطة الديوان
(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص٥٢
(٤) مخطوطة الديوان

وهو يسائل نسيم الصبا أن يمده بنفحات معطرة من شيح ذي سلم يطفيء بها غلة القلب الهيمان، ويهديء بها لوعة الوجد الطاغي :

أتُرَىٰ الصَّبَا تَسْري إلـيَّ بنَفْحَـةٍ من شيح ذي سَلَمٍ ومنْ تَعضيْدِهِ[1]

ويعود إلى سرحة الوادي يسائلها عن أخبار نسيم نجد التي ربما يكون قد أفضى بها إليها ، ويسألها عن مارَوَتْهُ لها نفحات الشيح من أخبار الأحبة هناك :

سَلْ سَرْحَةَ الوَادِي لِتَعْلَمَ من لِسَا نِ الحَالِ[2] دَخْلَةَ ظِلِّهِ المَمْدُودِ
ما قَالَ نَجْديُّ النَّسيمِ وَمَارَوَتْ نَفَحاتُ ذَاكَ الشّيحِ والتَّعْضِيْدِ

ولربما زاد به الحنين إلى أحبابه في نجد ، وأذكته نار البعاد فهو من ساكني تهامة التي تفصلها عن نجد سهوب وتنائف ، فيجأر مستكثرا بعد الشقة التي تباعد بين دياره وديار المحبوبة :

حَلَلْتُ تِهَامَةً وَحَلَلْتِ نَجْداً فأَيْنَ وأَيْنَ نَجْدٌ منْ تِهَامَة؟؟[3]

وحنين شاعرنا لا ينتهي وقد يصل به إلى درك البكاء والنواح الذي يذرف بسببه الدموع الشنّانة في شجن لا ينتهي :

مَا عَلَىٰ الرَّكْبِ أَنْ يَمُرَّ عَلَىٰ دِمْـ ـنَةِ سَلْعٍ عَقِيْقِهَا ولِوَاهَا[4]
يَنْدُبُونَ اللِّوَىٰ وأَنْدُبُ نَجْداً كُلُّ عَينٍ تَبْكي عَلَىٰ مَاشَجَاهَا

ويسعده الحظ بزورة لأحبته في نجد، وينعم بالوصال، فيتمنى تكرارها غير أن الأيام لا تحقق له تلك الأمنية، فتظل تلك الزيارة يتيمة لم تسقها مياه

---

(١) المصدر نفسه
(٢) مخطوطة الديوان
(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص١٥٥
(٤) مخطوطة الديوان .

التداني حتى تلد زيارات أخرى، ويقعد بها الإجداب فتموت كَلَالَةً بغير عقب يرثها ويعمر الدروب التي يسلكها :

أَمَــا عقِبٌ لِزَوْرَتِنَــا بِنَجْــدٍ   فيــالَكِ زَوْرَةً مَاتَتْ كَلَالَــةْ[1]

ويتردد صدى نجد في شعر ابن هتيمل فترد فيه بمعانيها اللغوية المختلفة غير أننا آثرنا في هذه الأسطر أن نختار بعض ما خص به شاعرنا نجد (المكان) منْ حنين صادق وعواطف ملتهبة ، يمتلىء بها شعره الحي، المنسرب من شعوره الفياض بالحب المتدفق .

(١) مخطوطة الديوان

(ح) الشيب في شعر ابن هتيمل

الشيب : يعني انتقال الإنسان من مرحلة الفتوة والانطلاق إلى مرحلة الوقار فهو تجربة قاسية توحي بانقضاء اللذات وفوات أيام الصبا والاستمتاع، بل ربما كان المؤشر لبدايات الضعف وقد جاء في القرآن الكريم رديفا للضعف والوهن. قال تعالى : ﴿**رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي واشْتَعَلَ الرَّأسُ شَيْبَا**﴾ (١).

لذلك نفرت منه حاسة الشعراء وزاد خوفهم منه، وليس ابن هتيمل وحده من الشعراء الذين طال حديثهم عنه، فقد شاع هذا اللون في شعر المُعمَّرين من الشعراء وكثر تحسرهم على فوات أيام الشباب .. فهذا دعبل الخزاعي (٢) الذي يشترك معه ابن هتيمل في الانتساب إلى خزاعة نسمعه يقول متحسراً، باحثاً عن الشباب بعد أن ولّى :

أين الشباب وأيَّةً سلكا ... أم أين يُطلب ضلَّ أم هلكا(٣)

وهذا أبو العتاهية يتحسر هو الآخر على أيام الشباب ويتمنى عودتها ليبثها شكواه :

بكيتُ على الشباب بدمع عيني ... فلم يُغن البكاءُ ولا النحيبُ(٤)
ألاَ ليتَ الشبابَ يعودُ يوماً ... فأخبرَهُ بما فَعَلَ المَشيبُ

---

(١) سورة مريم آية رقم(٣) .

(٢) هو دعبل بن علي بن رزين شاعر عباسي ـــ سبقت ترجمته.

(٣) العصر العباسي الأول لشوقي ضيف ص ٣١٨ وانظر العقد الفريد ج٥ ص ٣٧٥ .

(٤) ديوان أبي العتاهية ص ٢٣ ط دار صعب بيروت .

وكذلك ابن الرومي نجده لا يبعد عن هذا المعنى حين أخذ يندب الشباب الراحل من قصيدة طويلة يقول فيها :

خليليّ ما بعدَ الْمَشِيب رزيّةٌ يجمُّ لها ماءُ الشئون ويعتَدُ(١)
كَفىٰ حَزناً أنّ الشبابَ معجَّلٌ قصيرُ الليالي والمشيبُ مُخَلَّدُ

وقبلهم كان الشاعر المخضرم حميد بن ثور الهلالي قد تمنى دوام الشباب (٢) وهيهات له ذلك فقال :

فلا يُبعِدِ اللَّهُ الشبابَ وقولَنَا إذا ما صبونا صبوةً سنتوبُ(٣)

وقريب من هذا المعنى قول الشاعر منصور النمري : (٤)

ما تَنْقضي حَسْرةٌ مني ولا جزعُ إذا ذكرتُ شباباً ليس يرتجِعُ(٥)
ما كنتُ أوفي شبابي كُنْهَ قيمته حتَّى انقَضَىٰ فإذَا الدنيا له تَبَعُ
بانَ الشَّبَاب وفَاتَتِني بلذَّته صُروفُ دهْرٍ وأيامٌ لها خُدَعُ

ولعل البحتري كان أكثر اقتناعا بعدم عودة أيام الصبا بعد انقضاء أوانها وقدوم جحافل الشيب :

---

(١) ابن الرومي حياته من شعره لعباس محمود العقاد ص ٣٨٥ .

(٢) حميد بن ثور الهلالي دراسة في شعر المخضرمين للدكتور أحمد عبد الواحد ص ١٠١ وحميد بن ثور سبقت ترجمته .

(٣) دراسة في شعر المخضرمين .

(٤) منصور النمري : هو منصور بن الزبرقان بن سلمة من قبيلة النمريين شاعر عباسي مدح هارون الرشيد ومدح الفضل بن يحيى البرمكي ومدح يزيد بن مزيد الشيباني لم يتعلق بلهو ولا مجون، انظر العصر العباسي الأول ص ٣١٦ . وهو تلميذ الشاعر عمرو بن كلثوم العتابي وراويته . انظر ص ٥٩٩ من كتاب الشعر والشعراء لمصطفى الشكعة .

(٥) العصر العباسي الأول ص ٣١٥ .

لا جديــــدُ الصِّبـــا ولا ريعَانُـــــهْ   راجِــعٌ يعدمــا تقضَّىٰ أوانُــــــهْ[1]

لذلك وجدناه يلتمس المبررات لبياض شعره وينسبه إلى صدّ المحبوب ويحسنه له :

عيرّتنــي المشيبَ وهــي بَدتْــــهُ   في عذاري بالصَّدِّ والاجتنَــــابِ[2]
لا تَرِيْـه عاراً فمــا هو بالشيْــــــب ولكنَّــــهُ جلاءُ الشَّبــــابِ
وبيــاضُ البــازِيِّ أصدَقُ حسنــاً   إنْ تأمــلت من سوادِ الغُـــرابِ

كما نجد أبا الفتح التعاويذي الذي عاش قريبا من عصر ابن هتيمل يتحسر هو الآخر على فوات أيام الشباب المستعارة :

أسفتُ وقد نَضَتْ عنــي الليــالي   جديــداً من شبــاب مُستعَــارِ[3]
ولم أكــــرَهْ بيـــاضَ الشيبِ إلاَّ   لأنَّ العــيبَ يظهــرُ في النَّهـــارِ

وما ذلك إلا لأنه أدرك فوات أيام الفتوة والشباب وفوات الصفاء والوداد تبعا لها ؛ لذلك سمعناه يردد :

ياطالبـــاً بعـــدَ المشيبِ غَضَارةً   من عِيْشِةٍ ذَهَبَ الزَّمـانُ المُـذْهَبُ

أما معاصره ومنافسه في البلاط الرسولي محمد بن حمير فقد صدت عنه صاحبته بسبب الشيب :

---

(١) ديوان البحتري ج١ ص ٣٦١ .

(٢) المصدر نفسه ج٢ ص ١٨٧ .

(٣) هو أبو الفتح بن التعاويذي ولد سنة ٥١٠ ببغداد وتوفي سنة ٥٨٣ كان شاعرا مجيدا انظر معجم الأدباء لياقوت الحموي ج١٧ ص ٢٣٤ ـــ ٢١٩ ط دار القلم ببيروت . وقد قال عنه صاحب الأعلام : (شاعر العراق في عصره له ديوان شعر حققه مرجليوث) الأعلام ج٦ ص ٢٦٠ .

رَأَتني لَيْلَى والبياضُ بعارضِي فصدَّتْ وإنكار المشِيبِ عجيْبُ[1]
وَهَلْ هُوَ إلاَّ لونُها صبَغَتْ به ذَوَائبَ راسي والفؤَادُ يذوبُ

لذلك رأيناه يزين لها لون البياض حين قال :

لولا البياض الذي حول السواد لما زان النواظر تدعيج من الحور

وقبل هؤلاء وبعدهم شعراء كثر أدركهم الشيب فتحسروا على فوات أيام الصبا.

وشاعرنا ابن هتيمل يأتي على رأس هؤلاء وأولئك فقد أوفى الموضوع حقه ذلك لأنه ابتلى بطول العمر حتى قارب المائة ، قال عنه صاحب مطلع البدور :

(ما مدح أحدا إلا رثاه) [2] فمني بفقد الأبناء والإخوان ، والزوجة والأصحاب وحتى جاريتُهُ : «الخيرزان» وعبدُهُ: «سعد» ، واعتورته أحداث الزمان فنالت من شيخوخته المتهدمة ، فجعلته تلك العوامل يندم على ما فات من أيام الصبا فيصرخ :

مَاذَا بعثْتَ علي يازَمَنَ الصِّبَا من حسْرَةٍ لِفَواتِ أَيَّامِ الصِّبَا[3]
ذَكَّرْتَ عهداً كُنْتُ أَغْيَداً مُرداً في ظِلّه وشَجيْتُ أَشْمَطَ أشْيَبَا
يالمَّةً نَصلتْ وليس خُضَابُهَا عِوَضاً .. وأَقْبَحُ شَيْبَةٍ مَاخُضِّبَا

ويستنكر على شيخوخته الطمع في الحسان فيخاطبها قائلا :

---

(١) تأريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ج٤ ص ٩٢. وبيتا الشاعر يذكران بقول الشاعر :
رأين الغواني الشيب لاح بعارضي فأعرضن عني بالخدود النواضر
(٢) مطلع البدور . مصدر سابق .
(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٠٤ .

تنضُو الصِّبَا وتُريـدُ أيَّـامَ الصِّبَـا   أتُرَاكَ تَخْلُفُ في الطَّمَاعِةِ أشْعَبَا[1]
رَمَقَـتْكَ مُقْلَتُهَـا غُرَابـاً أسوداً   واليـومَ قد لحَظَـتْكَ بَازاً أشْهَبَـا
مَنْ كُنتَ تُعجبـهُ بخدِّكَ أمْـرَدَا   من أيْـنَ تُعجبُـهُ بَرأسِكَ أشْيَبَـا
رِعْيَا الصِّبَا والأطيَبَـانِ وإنْ هُمَـا   خَبُثَا عَلَـيْكَ فَمَـا ألَـذَّ وأطْيَبَـا

ويعاتب الحسان على نفورهن منه بعد المشيب :

تُحَمِّلُنِي ذَنْبَ الـمَشيَبِ وطَالمَـا   حَلَوتُ لهَا دُونَ الغَطَارِفَةِ المُرْدِ[2]

لذلك فهو يهيب بالشباب أن يغتنموا فرص الشباب بل ويحذرهم من فوات أيامه الحلوة قبل التمتع بحلاوتها فما هي إلا أيام تمر كالحلم لا تلبث أن تسترد نضارتها وبهجتها فإذا هو شيخ أشيب ليس له من ود الحسان نصيب لذلك سمعناه يخاطب الشباب :

انْتَهِـزْ فُرصةَ الشبـابِ فَمَـا أسْـ   ـرَعَ مايُستَـرَدُّ منكَ الشَّبَـابُ[3]

ذلك لأن أيام الشباب محببة إلى نفس الشاعر ، مبغضة إليه ليالي الشيب :

أبْـغِضْ بِشيْبِ مَفَارِقِـي منْ نَازِلٍ   عِنْدِي وأحْبِب بالشَّبَابِ الرَّاحِلِ[4]

وكما تمنى أبو العتاهية عودة الشباب تمناها ابن هتيمل لكن ابن هتيمل تمنى عودة أسرة الشباب معه من حب وعشق وأحباب :

لَيْتَ الزَّمـانَ يُعيـدُني ويَعُـودُ لِي   مَرَضِي بِهِ، وعِيَادِتِـي، والعُـوَّدُ[5]

---

(١) المصدر نفسه ص ١٣٤ .
(٢) المصدر نفسه ص ٥٢ .
(٣) المصدر السابق ص ١٧٨ .
(٤) مخطوطة الديوان .
(٥) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٤٩ .

ويزداد ألم شاعرنا لنفور الحسان الشديد من شيبه، فيبحث عن خضاب يصبغ به شيبه؛ ليدلّس به على الغيد :

أَهْوىٰ وقدْ نَضَتِ السُّنُونُ صبابَتِي عَنِّي وَقَدْ سَلَبَ المَشِيْبُ شَبَابِي[1]
بُدِّلْتُ كَافُوراً بِمِسْكٍ إِذْخرٍ في لمَّتِي، وحَمَامَةً بِغُرَابِ
مَنْ لي بِتَدلِيْسِ الخِضَابِ فَرُبَّمَا حَسِبَتْهُ بُلْهُ الغِيْدِ غَيْرَ خِضَابِ

ولعله في البيت الأخير قد وجد الدواء الذي كان يبحث عنه الأخطل حين قال :

هَلِ الشَّبَابُ الَّذِي قَدْفَاتَ مَرْدُوْدُ أَمْ هَلْ دَوَاءٌ يَرُدُّ الشَّيْبَ مَوْجُودُ

غير أن ابن المرحل[2] يراه دواء مؤقتا لا يلبث أن يكشف زيفه ويفتضح أمره لدى الغير :

مَرَرْت عليهَا والخِضابُ لمائِهِ وبيصٌ وريحُ المسكِ قَدْ كادَ يسطَعُ[3]
فَقَالتْ مَلِيحٌ مَا أَرَىٰ غير أَنَّهُ سحابَةُ صيفٍ عنْ قليلٍ تَقَشَّعُ

وللفرزدق صورة جميلة يشبه فيها زحف الشيب على سواد شعره بزحف جحافل النور على فلول الليل المظلم حين يقول :

---

(١) المصدر نفسه ص ١٠٢ .

(٢) شاعر أموي ـــ نصراني الملة شارك في نقائض جرير والفرزدق وكان من الشعراء المجيدين .

(٣) ابن المرحل : هو أبو الحلم مالك بن عبد الرحمن المعروف بابن المرحل شاعر أندلسي ولد بمالقة سنة ٦٠٤ وسكن سبتة ثم رحل إلى فاس وعاش بها إلى أن مات سنة ٦٩٩ . فهو معاصر لابن هتيمل ويشاركه في طول العمر . انظر ترجمة ابن المرحل في كتاب (مالك بن المرحل) للعلامة عبد الله كنون ص ٥ وما بعدها .)

والشيب ينهض في الشبـــاب كأنـــه ليـــل يصيـــح بجانبيـــه نهار[1]

فيأتي ابن هتيمل فيصور فزع الحسان من مشهد الشيب وقد غزا مفـرق شعر رأسه فيحور تشبيه الفرزدق إلى صورة أجمل .

أَبْصَرتْ مَفرِقِـي فَأَفْزَعَهَـا ليْـــ ـــلٌ تَمَشَّىٰ في جَانِبَيْـه نَهَـــارُ .[2]

ومع فزعها وفزع كل الحسان من شيبه ، إلا أن شاعرنا يستمـر في ولعـه بالحسان حتى وقد بلغ من العمـر عتيـا وأدركـه الهرم، ولـكنها الـروح الشاعـرة الشابة التي لا تشيخ تحن دائما إلى الجمال والصبا والفتوة :

قالُوا هَرِمْتَ وكيفَ يَسْمَنُ ناحِلٌ من جِدِّ عاتكَةٍ وهزْلِ لَعُـــوبِ؟[3]

أَرْجُو وصالَهُمَا وقدْ جَمَعَ الهَوىٰ ضِدَّيْـنِ بيـنَ شَبِيبَـــةٍ ومَشيْبِ!!

وهو مع ذلك يعترف أن الفقر والشيب يُنفِّران الملاح غير أنه يعتـذر عن رغبات النفس ويعترف للشيب بالوقار :

لا يَصُدُّ المِـلَاحَ عنْ صِلَـةِ العُشّـ ـاقِ إلاَّ القَتــي أو الإقتـــارُ[4]

ومَرَامُ الشبـاب أَشْهَىٰ إلــىٰ النَّفْـ ـسِ وإنْ كانَ في المشيبِ الوقَـــارُ

ويعـود فيتسائـل مستنكـرا نفـور الغيـد منـه بعـد لمعـان الشيـب في رأسه فيقول :

(١) ديوان الفرزدق ج١ ص ٣٧٢ : والفـرزدق هو همام بن غالب بن صعصعـة شاعـر أموي ولد في العشرينـات من المائـة الأولى قال الشعـر في معظـم أغـراضه وبـرز في المدح والهجـاء والفخـر وعُـرف مع جريـر بشعـر النقـائض ولـه نقـائض وأهاجـي مشهـورة توفى سنـة ١٤٤هـ انظر العصر الإسلامـي الأول لشوقي ضيـف ص ٢٧٤ .

(٢) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٥٤ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٤٣ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٥٤. القتير : الشيب . والإقتار : الفقر .

أَمِنْ خُلَّةٍ في الرَّأْسِ كَالبَرْقِ أعـرَضَتْ طُلَى الغِيْدِ عَنّي باحْمِرَارِ ورُودِهَا؟[1]
غَدَوْتُ بَغـيضاً من تَلـوُّنِ لِمَّتـي وكنتُ حبيباً قبـلَ بَالي جَديدِهَـا
فكـمْ حَسْرةٍ للشَّيبِ عِنْديَ لَيتَنِـي وَرَدْتُ غِمَارَ المَوْتِ قَبلَ وُرُودِهَا

وكيف لا يتحسر على أيام الشباب ؟ وقد تسبب المشيب في صدود الملاح وإعراضهن عنه حين أتى الزمان على بردتيه، فلوّنهما :

صدَّتْ بصَفْحَةِ وَجْهِهَـا إعْرَاضَةً إذْ لَاحَ بَارِقُ عارِضَيـهِ مُرفرِفَـا[2]
بُردٌ لَبِسْتُ به الزمَّـانَ مُفَوَّفـاً غَضاً، فَلوَّنَـهُ الزَّمـانُ وَفَوفَـا

ثم أخيراً يطلب تقديم التعازي في فقيده الغالي (الشباب) :

أَفَـلَا يُعزِّينِـي الرِّفَـاقُ بغـائبٍ كالمَـيْتِ لا يُقْضَى لهُ بإِيَـابِ[3]
وهوُ الحبـيبُ مضَى ولا أَلْقَـى لَهُ عِوضاً، ولي عوضٌ عن الأحبَـابِ

وما ذلك إلا لأنه يرى زيادة الشيب نقصا من حيويته ومن قوته ومقداره لذلك سمعناه يردد :

رَأيتُ زيـادَتي بالشيبِ نَقْصاً (فَقَدْ وَقَعَ انتقَاصِي في ازديَادِي)[4]
عَدِمـتُكِ صَفقَـةً عُوِّضْتُ عنهَـا علىٰ الكُـرْهِ، البَيَـاضِ مِنَ السوادِ

غير أن شاعرنا يعود أخيرا إلى تفضيل الشيب معللا اشتعاله .. وجاعلا الكهولة له برغم عجرها وبجرها أفضل من الشباب !! ربما مغالطة ، وربما استسلاما للأمر الواقع !! لذلك سمعناه يردد :

---

(١) مخطوطة الديوان .. والطُّلى ــ بالضم ــ الأعناق .

(٢) مخطوطة الديوان

(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص١٠٢.

(٤) مخطوطة الديوان ، والشطر الثاني ضمنه الشاعر فقد ورد في أحد أبيات المتنبي حيث يقول:

متي ماازددت مـن بعـد التناهي (فقـد وقع انتقاصي في ازديـادي)

ومُعيِّـــرٍ بالشيّبِ قُلتُ لهُ اتَّئِـــدْ أمْضىٰ الحديدِ علىٰ الحديدِ صَقِيلُهُ(١)
فالشَّعْرُ أعدَ مَنِي الخضَابُ بَيَاضَهُ إن كانَ أعْدَمَنِي الشبـابَ نُصُولُــهُ
إنْ كانَ واَسِطُ كلِّ شَيْءٍ خَيـــرَهُ حقـاً، فَخيرُ بني الزَّمـانِ كهُوْلُــهُ

وصاحبنا يعجب من صاحبته وقد عابت عليه ما لا يعاب ونفرت منه نفار المذعور جاهلة أن ذلك إنما هو بتأثير الخطوب النوازل التي صارعها في خضم الحياة :

عَجَبـاً مِنْ نِفَـارِ عُلْـــوَةَ مِنْ رأْ سِي وإعرَاضِهَا العجيبُ العجيبُ(٢)
بَاكَرَتْنِي تَعِيبُ مَالَا يَعِـيبُ النَّـ ـاسُ أوْ تَسْتَـــــرِيبُ مَالَا يَرِيْبُ
عَرَفَتْ مفْرِقِـي وفيــــهِ خُضَابٌ آهِ واستنْكَرَتْـــهُ وهـــوَ خَضِيْبُ
شَعَـــرٌ جدَّ في بِلَاهُ الجديـــــداَ نِ برغْمِـي وغيَّرَتْـهُ الخُطُـــوبُ

ولكـن فيم العـجب ؟ وعـلام التعنيـف ؟ ولم الأسف ؟ وعـلام الكآبـة ؟ والشيب قد أعاد إليه صوابه وكسر حدة الطيش والسفه وكساه وقاراً : (٣)

قَدْ غَضَّ من سَفَهِي تَلَـوُّنُ لمَّتِــي فَسَوادُ حظِّــي مِنْ بَيَــاضِ الــرَّاسِ
شَعَـــرٌ لبِسْتُ بهِ جَدِيْــــدَ سَوَادِهِ حتَّــى غَدَا باليــهِ وهــوَ لِبَــاسِي

وحينما بلـغ بشاعرنـا أمـر الاستسلام للواقـع هكـذا ، سارعت عاذلتـه أو حبيبة الأمس فَعَضَّت أناملها أسفاً ، وغشيتها كآبة لم تستطع كتمانها . (٤) .

عَضَّتْ أنامِلَهَـــا أساً وتَأَسُّفَـــا أنْ لَاحَ بلرقُ عَارضيـــهِ مُرفْرِفَـــا
وَتَجهَّمتْــهُ فكـانَ فَرْطُ وُلُوعِـــهِ كَلَفـاً بصُحبتِـــهِ فصَارَ تَكَلُّفَـــا
يَاهِـذِهِ أَشجَـاكِ ما يجْلُـو الصَّدَا ودهَـاكِ ما صَقَـل الـحُسَامَ المُرْهَفَـا

(١) المصدر نفسه .
(٢) المصدر نفسة
(٣) المصدر نفسة
(٤) المصدر نفسة

لا تَعجَبَنَّ لرَوضهِ أنْ نَوَّرَتْ أُكْمُامه ولسدفِه أن سدَّفا

وأحسب أن ابن هتيمل قد بالغ في أمر الشيب أو أنه قد طالت عشرته معه لطول عمره فسئمه وملّه وحدثه بكل الأساليب واستعرض مواقفه المختلفة، ولكنه شاعر ؛ فقد وصف أحواله وبالغ في الوصف فأتى عن الشيب بما أتى به الآخرون وبما لم يأتوا به .

(ط) الشكوى والتشاؤم في شعر ابن هتيمل

قد نظلم الشاعر ابن هتيمل إذا حكمنا بأن النماذج الآتية تمثل نظرته للحياة بصورة عامة ، ولكننا قد ننصفه بعض الإنصاف إذا قلنا بأن الشاعر كغيره من الناس تعرض له مصاعب الحياة ، وتمر به حالات نفسية، وتقلبات وجدانية ومواقف في حياته ، تجعله يضيق بالحياة والأحياء ، لولا أن حاسة الشاعر أقوى على التصوير ، وقدرته على التخييل والتكثيف أكمل وأبلغ، ولعل شاعرنا كان محسوداً من بعض معاصريه على مواهبه التي تفوَّق بها فكان يتعرض لبعض المواقف وكانت تجابهه بعض المضايقات من أولئك الحساد، إلى جانب ما كان يعانيه من ظروف الحياة المعيشية القاسية في عصره، وظروفه المعيشية بخاصة التي يشير إلى بعضها صاحب مطلع البدور ومجمع البحور فيقول : (كان يجازُ بالجوائز الجزلة ومع ذلك مات وهو من فقراء المسلمين المتربة) [1] .. أجل فقد كان ابن هتيمل يشكو مُرَّ الشكوىٰ ويتحسر من زمانه وأبناء زمانه ، وينثر هذه الشكوىٰ وذلك الأنين في ثنايا شعره حتى الغزل منه ، وربما أفرد لشعر الشكوى القصائد ذوات النفس الطويل من أمثاله قصيدته التي يبدأها بقوله :

زَمَانكَ كلُّهُ فَنَدٌ وعَذْلُ ... أَمَالَكَ عن عنِيفِ اللَّوم شُغْلُ [2]

بُلِيتُ بكُمْ فَلَا للصَّرْمِ صَرْمٌ ... أُسَرُّ بِهِ، ولا للوَصْلِ وصْلُ

وكيفَ أُقيمُ في بَلَدٍ سَوَاءٌ ... بِهِ العوجاءُ [3] والسِّمْعُ الأَزَلُّ [4]

---

(١) مطلع البدور ومجمع البحور مخطوط

(٢) مخطوطة الديوان .

(٣) العوجاء : الفرس الأصيلة. لسان العرب ج٣ ص١٥٧

(٤) السمع : ولد الذئب من الضبع وهو أشد مايكون لؤماً وخبثاً. الأزل خفيف اللحم .

يَدِيْـــنُ الصَّقْــرُ فيـــهِ للحبَـــارَىٰ   ويَضْطَهِــــــــدُ الأَعَزَّ بها الأذلُّ
أَلَــمْ تَرَ أنَنــي خَفَّــفْتُ عمَّـــــنْ   صَحِــبْتُ فَلَا أُمِــلُّ ولا أُمَــلُّ
ففـي رِجْلِــي عنْ الشُّبُهَــات قَيْــدٌ   وفي عُنُقِـــي عنِ الشُّبُهَـــــات غُلُّ
فَمــنْ لي بامــرِيءٍ واعٍ فَيُصْغِـــي   لهَيْنَــــأتي، ويكْـــتُبُ ما أُمِــــلُّ
عُكُــوسٌ تَمرَضُ المُهْجَــاتُ منهَـــا   ولــيسَ مريضُ حسْرَتِهَـــا يبِـــلُّ
ففـــي قَلْبـــي منِ الأقْـــدَارِ غِلٌّ   وفي صَدْرِي عَلـــــــىٰ الآثارِ غِلُّ

وقد نقــف في النموذج الآتي على السبب الرئـيسي في تبرمـه بالحيــاة والأحياء حيث نسمعه يقول :

عَدَمُ الصَّديـقِ أَحَــلَّ بِي ما حَلَّ بِي   من عَيْلَــةٍ، وخِيَانَــهُ الإِخْـــوَانِ[1]

وحتى إن وجد الصديق فإنه يخافه كما يخاف العدو:

لي عدوٌّ، ولي صديــقٌ، وخَوْفِـــي   مِنْ صديقي كَخِيْفَتِي منْ عَدُوِّي[2]

ولأنه يشكوهم فقد تمادوا في عقوقهم له حتى وصفهم بالتعامي عن مكانته :

أَنَا أَشْكُو إِلَــيْكَ قَوْمــاً تَمالَــوْا   في عُقُــوقِي بعيدُهُــمْ والقَــريبُ[3]
جَهِلُونِـي وضَيَّعُـــوني وهَــلْ يَعْـــرِ   فُ حقَّ الأديب إلاَّ الأديْبُ
وأَرَىٰ الشَّمسَ في الطُّلُوعِ علىٰ العُمْي   سَوَاءٌ طُلُوْعُهَـــــا والغُــــــرُوبُ

ولعل من أسباب تضايقه بالحياة والأحياء ما شاهده من تغير أخلاق الناس ومعاملتهم :

---

(١) الجزء المطبوع من الديوان ص١٢٣ .
(٢) مخطوطة الديوان
(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص٣٦ ط١

مَا الدَّهْرُ بالدَّهْرِ القَدِيمِ وَلَا أَظُنُّ النَّاسَ في أَفْعَالِهِمْ بالنَّاسِ(١)

لذلك سمعناه يدعو على بني زمانه قائلا :

أَيَاوقْتِي عَدِمْتُكَ مِنْ وُقَيْتٍ ... ويازَمَنِي عَدِمْتُكَ مِنْ زُمَيْنِ(٢)
أَعفُّ بَنيكَ خَتْلُ الذِّئْبِ فيهِ ... مُخَالسَةً ومكرُ أَبِي الحُصَيْنِ

وهو يحذرنا في زحمة تشاؤمه حتى من الإخوان فيقول :

واحْذَرْ أَخَاكَ؛ فإنَّ إخوَةَ يُوسُفٍ ... بَاعُوهُ بالأَدنَى من الأَثْمَانِ(٣)

بل نجده يحذر من الإخوان والأقارب ومن الأصدقاء على السواء فيقول :

كُنْ للزَّمَانِ كَمَا يكُونُ فإنَّهُ ... أَوفَى بنيهِ وإنْ تخلَّقَ غادِرُ(٤)
وخَفِ الصَّديقَ فكَمْ صديقٍ عاجِزٍ ... مالَ فَتَكْتَهُ عَدوٌّ قَادِرُ
وتَوقَّ بَائِقَةَ القَريبِ لو انَّهُ ... حَسَنُ المُثَنَّى ، أَوْ أخوهُ البَاقِرُ

ويستمر في تحذيره من الإخوة ومن الأصدقاء فيقول في لهجة توكيدية :

أخاكَ أخاكَ نفسَكَ لا تُهِنْهَا ... فَسُوءُ الظَّنِّ مِنْ خيرِ العِبَادِ(٥)
وخَفْ كَيدَ الصدِّيقِ فكَمْ صَديقٍ ... أَضرُّ عَلَى الصدِّيقِ منَ الأَعَادِي

بل نجده ينهى عن محبة ذوي القربى والركون إليهم فيقول :

قد ذَاقَ هابيْلُ من قَابِيلَ مِن حَسَدٍ ... ما ذاقه ورماه لا يواريه

(١) المصدر نفسه ص ٦٨ .
(٢) مخطوطة الديوان .
(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٢٣ .
(٤) مخطوطة الديوان .
(٥) المصدر نفسه .

ولـن نستغـرب ذلك من ابـن هتيمـل إذا أدركنـا أن أبنـاء زمانـه إنما هم حيـات وعقـارب، بل ذئـاب وثعـالب، لا يحفظـون مودة، ولا يرعـون حقـوق قرابة ولا جوار؛ لذلك نسمعه يردد :

سَلْنِـــي وأَبْنَـــاءَ الزَّمـــانِ فإنَّنِـــي ... جَرَّبْتُهُـــمْ فَقَتلتهُـــمْ تَجْرِيَـــا[٣]
نَبَذُوا الحِفَاظَ فَمَا تَرَىٰ منْ يَنْقُـدُ الْـ ... ـمَنْقُـودَ أَمْ مَنْ يعـتِبُ المُعْتُوبَـا
فإذا سَعَتْ حيَّاتُهُـــمْ فحذِرتَهَـــا ... دَبَّتْ عقاربُهُـــمْ إلَـــيكَ دَبِيْبَـــا
وأخـوكَ إنْ هُوَ لم يكـنْ لك ثعلبـاً ... في سُرْعَـةِ الروغَـانِ كانَ الذيِّبَـا

وأبناء زمانه قد انعدم فيهم الوفاء ، وتلونت أخلاقهم وطباعهم :

أُوفـىٰ بنـيْ الزمـنِ الخئُونِ وخَيْرُهـم ... مَنْ قَاضَكَ المكْـرُوهَ بالمحْبُـوبِ[٤]
متلوِّنُـــونَ، لهم لِمَـــنْ صَافاهُــــمُ ... رَوْغُ الثَّعالِبِ واختــلاسُ الــذِّيْبِ

لذلك استمرّ يحذرنا من أبناء زمانه فقال :

تَوقَّ بنِـــي الزَّمـــان فكـــلُّ خِلٍ ... من الخِـــلاَّنِ مذمُـــوم الخلاَلَـــهْ[٥]
وَخَفِّـفْ ما استطـعتَ فَرَبَّ وغْـدٍ ... يرىٰ ردَّ السلامِ مِنَ الثَّقَالَـــــــهْ

---

(١) المصدر نفسه .

(٢) الجزء المطبـوع من الديـوان ص ١٦١ : ولعلــه في هذه الأبيـــات قريب من قول المتنبي :

أذم إلى هذا الزمـــــان أهيلـــــه ... فأعلمهـم فدم وأحزمهـــم وغـــــد
وأكرمهـــم كلب وأبصرهـــــم عَمٍ ... وأشهدهـــم فهـــد وأشجعهـــم قرد
ومـن نكـد الدنيـــا على الحر أن يرى ... عدوا له ما من صداقتـــــــــــه بد

(٣) المصدر نفسه .

(٤) مخطوطة الديوان .

ولَا تنْظُــر لجسمِ المْــرءِ وانظُــرْ طَبَائِعَــهُ، فإنَّ الــجِسْمَ آلـــهْ[1]

وفي زحمة تشاؤمه من بني زمانه يرىٰ الحصول على الصديق الوفي من الأشياء الثمينة والنادرة فيقول :

خُذْ مِنْ ضَعيفِ النَاسِ حِذْرَكَ جَاهداً فالــرُّخُ يُقْتَــلُ تَارةٍ بالبُنْـــدُقِ[2]
ومَتىٰ قبضْتَ علىٰ صديقِ راحـــةً فلقَدْ قَبَضْتَ علـىٰ فَرُورِ الزِّئْبَـــقِ

ويتضايق من حال زمانه وتقلباته وتغير أهله فيرسل أَنَّةً مكلومة :

وَمَا أَحْمَدُ الدُّنْيَا لكونِ كِبَاشِهـا غَدَتْ طُعُماً مقسُوْمةً لِنِعَاجِهـــا[3]

ويتساءل مع نفسه كيف يستطيع أن ينفق عمره مع هذه النوعيات من البشر :

وكيفَ أُنفِقُ بَاقِي العُمْرِ في نَفَرٍ لا النَّاسُ نَاسِي وَلَا الأَجْنَاسُ أَجْنَاسي[4]

ولكن ما الحيلة ؟ وزمانه متلون ، لا يستقر على حال ، متقلب بأهله ؟؟ :

سَجِيَّتُهُ إنْ يَبنِ يَهـدِم، وإن يَهَبْ يَعُدْ في الذِي أَعْطَىٰ، وإنْ يُعْطِ يَسْلُبِ[5]

أجلْ فزمانه متقلب بأهله ، متفق مع طبايع أهله، فأهله لا تحتمل تناقضاتهم، متوافق مع سلوكياتهم .. التي نغصت على الشاعر مأكله ومشربه

---

(١) يشير في هذا البيت إلى معنى الحديث الذي يروي عن رسولنا الكريم ﷺ والذي يقول فيه :
(إن الله لا ينظر إلى صوركم وأبدانكم ولكن ينظر إلى قلوبكم) .

(٢) مخطوطة الديوان . والرّخ : طائر خرافيٌّ بالغ القدماء في وصفه. المعجم الوسيط ج١ ص ٣٣٦ .

(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٦٥ .

(٤) مخطوطة الديوان .

(٥) الجزء المطبوع ص ١٧٤ .

وحياته كلها :

أَمّـا الأَنَامُ فَبِـي مِنْ أُكلِهِــمْ غُصَصٌ لا تُستَسَاغُ وبِي منْ شربِهِمْ شَرَقُ[1]
باينْتُهُــمْ فاستخفُّونِـــي وَوَافَقَهُـــمْ دَهْـرٌ تَوَافَـــقَ فيـــه الشَّنُّ والطَّبَـــقُ

وشاعرنا يلقى باللائمة أخيراً على صروف الدهر وغَيرِه فهـي التـي بشدة أحداثها تغير موازين الأشياء :

رَأَيتُ الليـــالي أعقَـــبَتْ نكَبَاتُهَـــا خمُوْلَ نبيـــهٍ أو نباهَـــةِ خامِـــلِ[2]
أدَالَتْ على الشمسْ السُّهَـا بصُرُوفِها وأطعَـمتِ الغِربـــانَ حَظَّ الأجـــادِلِ
وأعجبُ ما جادَتْ بهِ فَصْلِ حكمِهَـا بِخَـفْضِ الأعَالِـي وارتفـاعِ الأسافِـلِ

على أننا نعود فنؤكد ما قلناه في بداية هذا الفصل من أن هذه الحالات ربما تكون حالات ومواقف عابرة لا تمثل نظرة الشاعر للحياة بصورة عامة ولا للأحياء ففي شعره الكثير تفاؤل وإشراق يؤكد تفتحه على معطيات الحياة وتفاعله الإيجابي معها .

---

(١) المصدر نفسه ص ١٥٩ .
(٢) مخطوطة الديوان .

(ي) الحكم والأمثال في شعر ابن هتيمل

والحكم والأمثال كثيرة في شعر ابن هتيمل ، وهي في مجملها تدل على عمق التجربة ، وصدق المعاناة والتفاعل الشديد بين الشاعر وما حوله ، ولقد ذكر صاحب المختارات المطبوعة بعضا من أمثال الشاعر وحكمه تمثل بعض تلك الحكم سنضيف إليها هنا حكما وأمثالا أخرى يتمثل فيها نضج تفكير الشاعر وقوة إدراكه والقدرة على استنباط الأمور ، وعمق فهمه للحياة والأحياء .. وفي النماذج الآتية سنرى شاعرنا وهو يقف مرة موقف الناصح الأمين ، ومرة داعيا إلى الخير والجمال ومرة محذراً من سقطات الحياة وتقلباتها .. وقد لمسنا شيئاً من هذا وذاك حين كنا في الفصل السابق نتابع نظرات الشاعر إلى الحياة والأحياء وشكواه فيها مبررات الشكوى والتشاؤم التي تنضح بعمق التجربة . استمع إليه وهو يدعو في الأبيات الآتية إلى السعي الجاد، والكدح بإصرار لمجابهة أعباء الحياة سواء أدّىٰ هذا السعي وذلك الكدح إلى النجاح المؤمّل، أم لا !!.

هَيْهَاتَ مِنْكَ عُلُوُّ مَرْتَبَةٍ ... إنْ نِمْتَ أوْ فَرَّطْتَ في العَزْمِ[1]
فاعْزِمْ ولا تَنْظُرْ لعَاقِبَةٍ ... إنَّ النَّجَاحَ نَتِيْجَةُ العَزْمِ
من لَمْ يُشِدْ مَجْداً لَمَكْرُمَةٍ ... ويَنَالُهُ، فَبِنَاهُ كالْهَدْمِ

وكقوله الذي يؤكد فيه على السعي الحثيث لتحقيق المطامح :

ومَا علىٰ المرءِ أنْ يسعَىٰ لحاجَتِهِ ... أنَالَ بُغْيَتَهُ أَمْ نَالَهُ العَطَبُ[2]
فالصَّفْوُ أوَّلُهُ في ذاتِهِ كَدَرٌ ... ورَاحَةُ العَيْشِ ما أَصْفَىٰ لَهُ التَّعَبُ

---

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) الجزء المطبوع من الديوان ص ٣٩ ط ١ .

ويقول موجها إلى العمل الشريف ومحذرا من الطمع الدنيء :

وانهَضْ إلىٰ بُلَغِ المَعَاشِ وَلَا تَكُنْ ... كَلاً علىٰ الخُلَطَاءِ والأَصْحَابِ[1]
واشْرُفْ عن الطَّمَعِ الدَّنِيْءِ فإنَّهُ ... أَخْزَىٰ الرؤُوسَ جَوائِزُ الأَذْنَابِ

ويحث على الصبر واحتمال المكاره في سبيل البحث عن معالي الأمور فيقول :

تَغَرَّبْ فصفْوُ العيْشِ في كَدَرِ النَّوىٰ ... وَبَاعِدْ فَلولَا البُعْدُ ما عُشِقَ القُرْبُ[2]
ولا تكْتِرَثْ إنْ نَابَ خطْبٌ فرُبَّمَا ... أَتَاكَ الرِّضَا مِنْ حيْثُ أَعجَزَكَ الخَطْبُ

ويقول أيضاً في حثه على الصبر :

مَا أَجْمَلَ الصَّبْرَ لولَا عِلَّةٌ حكَمَتْ ... أَنْ لا يكونُ جميلُ الصَّبْرِ مِنْ عَادِي[3]

وبقدر ما يزرع الإنسان في حياته ، يكون قطاف الثمار ، على أن الخير أفضل غرس يجني منه الإنسان أطيب الثمار لذلك نسمع ابن هتيمل يردد :

المَالُ يَنفدُ والثَّنَا لا ينفدُ ... والمَرْءَ يَفْنَىٰ والثَّنَاءُ مُخَلَّدُ[4]
والخيرُ أَنْفَعُ مايَكُونُ ذَخيْرةً ... ولنِعْمَ مايَتَزوَّدُ المُتَزَوِّدُ
فاصنعْ بنفسِكَ ما صنعْتَ فإنَّمَا ... تَشقَىٰ بمَا صَنَعَتْ يَدَاكَ وتَسْعَدُ

والعمل الطيب يميز صاحبه ، وبه يكون التفاضل بين بني الإنسان :

---

(١) المصدر نفسه ص ١٠٣ .
(٢) المصدر السابق ص ١٣١ .
(٣) المصدر نفسه ص ١٥١ .
(٤) المصدر نفسه ص ١٧٠ .

لَوْلَا التَّفاضُلُ بالأَفْعالِ ماشَرُفَ الـ.. ـإنسانُ فالنَّاسُ لحْمٌ كلُّهُمْ ودَمُ[1]
انظُرْ إلىٰ الطَّير في تَفْضيلِ جَارِحِهَا بالصَّيدِ هلْ تَسْتَوي العِقْبَانُ والرَّخَمُ

والناس لا هم لهم إلا متابعة أخبار الآخرين والتعرف على ظروف حياتهم بكل تفصيلاتها يبحثون عن أسبابها ويعللونها وفق مقاييسهم :

إذَا رُزِقَ المُوفَّقُ قيْلَ سَعْدٌ وإنْ حُرِمَ المقَتَّرُ قِيْلَ نَحْسُ[2]

وشاعرنا يرى أن حسن الفعال يكتسبها المرء من نشأته الأولىٰ ، يكتسبها من والديه ويتشرب بها مع الرضعات الأولى :

متَىٰ طَابَ امرؤٌ قولاً وفعلاً ومخْبَرُهُ، إذا طَابَ الرَّضَاعُ[3]

وغنىٰ النفس في نظر شاعرنا أمر محمود يهفو إليه صاحب الهمة العالية فو أفضل وأثمن من ثروات الدنيا لذلك سمعناه يدعو إلى ذلك قائلاً :

عِشْ عَزيزَ النَّفسِ ما صَاحبْتَهَا مامَصُونُ الشيءِ كالشَّيْءِ المُذَالِ[4]
وتَقَنَّع باللُّقَا دونَ العَنَا عِزَّةُ الفَقْرِ ولا ذُلِّ السُّؤَالِ
ليسَتِ الأَرْواحُ أثْمَانَ النَّدَا إنَّمَا الأَرْواحُ أَثْمَانُ المَعَالِي

وقال أيضاً :

غِنىٰ المرءِ لَا من ثَرْوَةٍ ويَسَارُهُ غِنىٰ النَّفْسِ فانظُرْ كَمْ غَنِيٍّ كَمُعْدِمِ

ذلك لأن الرزق قد قدره لك المانح الوهاب وما سعيك إلا وسيلة :

---

(١) مخطوطة الديوان .
(٢) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٧٢ ط١
(٣) مخطوطة الديوان .
(٤) المصدر السابق .
(٥) الجزء المطبوع من الديوان ص ٧٤ .

لا تُجْهِدَنَّ النفْسَ في طَلَبِ الغِنى   فالرِّزْقُ يَمْنَحُهُ الَّذِي أَعْطَاهُ[1]

ومع ذلك فالحياة لا تخلو من التناقضات العجيبة فقد يعظم فيها الحقير ويضعف فيها شأن الخطير لذلك سمعنا شاعرنا يؤكد هذا المعنى في قوله :

كمْ نَعْجَةٍ مُكِّنَتْ من قَتْلِ قَسْوَرَةٍ   وضفدعٍ حَكَمَتْ في رأْسِ نِضْنَاضِ[2]

وفي قولـه :

فَرُبَّ شُؤْمٍ أَتَى مِنْ بابِ مَلأَمَةٍ   ورُبَّ رِبْحٍ أَتَى مِنْ بابِ خُسْرَانِ[3]

ويؤكد المعنى نفسه في قولـه :

وقَدْ تَصْدَعُ الدّنْيَا صفاً بزُجَاجَةٍ   وقدْ تَقتُلُ الأقدارُ صِلاً بعقْربِ[4]

أما قيلَ في الأمثَالِ فيمَا علمْتَهُ   إذَا أنْتَ لمْ تغْلِبْ عدوَّكَ فاخْلِبِ

والحياة برغم تناقضاتها وما فيها من صراع مرير بين الخير والشر إلا أنها في جملتها لا تستحق ذلك التطاحن فهي عارية مستردّة كما يقول :

قُصَارىٰ المرءِ رَدُّ المُستعَارِ   وسَائِلَةُ الحياةِ إلى قَرارِ[5]

ويؤكد هذا المعنى أيضاً بقوله :

العُمرُ عاريةٌ فاغْنَمْ سرُورَكَ مَا   دَامَ السرورُ لهُ دَوْلٌ علىٰ الحَزَنِ[6]

---

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) المصدر نفسه والنضناض : الثعبان .

(٣) مخطوطة الديوان .

(٤) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٦٤ .

(٥) الجزء المطبوع ص ٨٨ .

(٦) المصدر نفسه ص ٩٨ .

ويحذرنا من اليأس قائلا :

لَا تَيْـأَسَنَّ لفـائِتٍ أَفْنَيْتَـه ... فيمَـا تُحِبُّ فكـلُّ شيءٍ فاني[1]

كما يحذر من الطمع لأنه يقود إلى المهالك :

لَا يُطَمِعَـنَّكَ غيـمٌ مَالَـهُ مَطَـرٌ ... ويخْدَعـنَّكَ آلٌ وجْـدُهُ عَدَمُ[2]

وأعجبني قوله متأثراً بقول رسولنا الكريم محمد ﷺ (ارحموا عزيز قوم ذل) حيث قال في هذا المعنى :

لا تُهِينَـنَّ لَبِيبـاً عَضَّهُ ... عَنَتُ الدَّهْـرِ بنَـابِ النُّـوَبِ[3]

وفي هذا المقام نجده يوجه إلى مواساة الفقـراء وعـدم كسر قلـوبهم بإكرام الأغنياء دونهم فيقول :

لا تُهِـنْ صاحِبَ البَـذَاذَةِ والفَقْـ ... ـرِ بإكرامِك الغَنَاءَ الرّوَاءَ[4]

والبخلاء في رأي ابن هتيمل غشاشون حتى ولو برزوا في مقام الوعاظ الناصحين لذلك سمعناه يحذرنا من اتّباع منهجهم في الحياة قائلا :

وإيَّـاكَ نهجَ الباخِلِيْـنَ ورأْيَهُـمْ ... فَنُصْحُهُـمُ غِشّ وغِشُّهُـمُ نُصْحُ[5]

وابـن هتيمـل لا يكتفـي أحيانـا بإيـراد الحكمـة أو إلقـاء الموعظـة ، وإنما يدعم رأيه ويؤكد ما ذهب إليه من الواقع أو بشاهد من التاريخ حتى تكون أولى بالأخذ عنه نجد ذلك في أمثال قوله :

---

(١) المصدر السابق ص ١٢٣ .
(٢) مخطوطة الديوان .
(٣) الجزء المطبوع من الديوان ص ٣٧ .
(٤) المصدر نفسه ص ٣٣ .
(٥) المصدر نفسه ص ١٣٨ .

تَذلَّلْ فإن يشمَـخْ علـيكَ بأنفِـهِ   عزيــــزٌ، فلازِمْ عزَّةَ المتكبِّـــــرِ[1]
وَلَاتَكْتَرِثْ واجزَعْ مِنَ الضَّيْمِ آنِفاً   وإنْ لَمْ يَكُـنْ بُدٌّ منَ الصَّبْرْ فاصبِرِ
فقــدْ قدَّمَ المِقْــدَارُ غيــرَ مُقَــدَّمٍ   وقـدْ أُخَّـرَ المِقْــدَارُ غيــرَ مُؤَخَّــرِ
ودَالَتْ علىٰ الإسْلَامِ للشِّرْكِ دَوْلَـةٌ   حُنَيـنٌ وأُحْــدٌ، بْعــدَ بدرٍ وخَيْبَــرِ

وكقوله أيضا موجها إلى انتظار اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة :

مَعَ الــعُسْرِ يسرٌ والأمــورُ يَحُلُّها   عنَ الحالةِ الأُولَىٰ صُرُوفُ المقَـادِرِ[2]
إذَا كَانَ حُلْوُ العْيشِ تحْتَ مذلَّــةٍ   سعيتُ لمِرِّ العــيشِ تحتَ الحَوَافِــرِ
فواللهِ ما طيبُ الحيــــاةِ بنافِــــعٍ   ذليـلاً ولا خبثُ المَمَــاتِ بِضَائِــرِ

وقوله أيضاً :

إيَّــاكَ والطَّمَــعَ الدنِــيْءَ وأَنْ يُرَىٰ   أَبـداً قرينَكَ فَهــوَ غيــرُ قَرِيــنِ[3]
الفقـرُ يبلىٰ والغنىٰ يُطْغِــيْ فَعُــذْ   منْ فَقْــرِ عِيْسىٰ أَوْ غِنَــــىٰ قَارُونِ

وكقوله أيضــاً :

لَا تَلتَــفِتْ لخيَـــالَاتٍ حَقْيقَتُهَــــا   وَهْـمٌ، وزَيْدَتُهَا في الرِّبـح خُسْرَانُ[4]
فالنَّحْـلُ مازَادَهـا التدبيــرُ أجنحـــةً   إلا لتفْنَــىٰ بهَــا والزِّيْــــدُ نُقْصَانُ
واللَّــهِ لاَضَرَّ في سرٍّ ولا عَلَـــــنٍ   موسىٰ بنَ عمـرانَ، فِرْعَـونٌ وهامَـانُ

ويقــــول :

ليسَ كلُّ الوُجُـوهِ تُطَـلبُ للخيــرِ   بلِ الخيـرُ في الوجُــوُهِ الصِّبَـــاحِ[5]

---

(١) المصدر السابق ص ١١٧ .
(٢) مخطوطة الديوان .
(٣) المصدر نفسه .
(٤) الجزء المطبوع من الديوان ص ١٢٨ .
(٥) المصدر نفسه ص ١١٥ .

ويؤيـد فكرتـه بمثـلٍ ، حتـى وإن كانت الفكــرة غير صحيحــة أصلاً فيقول :

فالمُعلَّى أعْلَى القِــدَاح وإنْ كـــ ـــان ما علِـمْتَ بعضَ القِــدَاحِ

وهو في البيت الآتي ليس حكيماً فقـط بل وزاهـدا في متـع الحيـاة لذلك نسمعه يردد :

خُذْ مِنَ العْـيشِ بُلْغَـةً إنْ تغدَّيْـــ ـــتَ ولَا تَدَّخِـرْ لليْـــلِ عَشَاءَ[1]

ولا غرابـة في ما ذهب إليـه فهـو قد عرف الحيـاة بأنها عاريـة مستـــردة والناس فيها بين ذاهب وآيب عما قريب :

عَرفْتُ الليـالي بعـــدَ شَيْبٍ فَحَالُهَـــا عَلىٰ حالِـهِ المَعْهـودِ قَبْـلَ أشِيْبُ[2]

غَضَارتُهَـــا عاريَّـــــةٌ مُسْتَــــردَّةٌ بهَـــا وبنُوهَـــا سَالِبٌ وسلـــــيبُ

وهكذا يتقلب بنا في مسارب الحياة مستفيـداً من تجارب عمـره الطويـل في ألوان من الشعر التأمليّ الجميل الذي ينسرب إلى النفس فيمتعها ويقنعها !!

---

(١) المصدر السابق ص ٣٣ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٧٧ .

الباب الثالث

مكانة الشاعر ابن هتيمل من عصره وشعرائه

١ ــ ابن هتيمل عند شوقي ضيف وابن أبي الرجال.

٢ ــ عصر ابن هتيمل عصر ازدهار الفكر .

٣ ــ موقف ابن هتيمل ومعاصريه من أحداث العصر .

٤ ــ مكانة ابن هتيمل بين محمد بن حمير ومنصور بن سحبان الضمدي .

٥ ــ إجحاف الدكتور الخضيري في المقارنة بين ابن المقرب وابن هتيمل .

١ ـ ابن هتيمل عند ابن أبي الرجال وشوقي ضيف

قد لا يفيدنا كثيرا قول الناقد الدكتور شوقي ضيف عن ابن هتيمل : (كان شاعراً مجيداً في غزله وفي نسيبه ومديحه) (*) . ولا يغنينا شيئاً ذلك الثناء العاطر الذي أفاضه أحمد بن أبي الرجال في كتابه (مطلع البدور ومجمع البحور) على الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل أثناء ترجمته له ، والتي يقول في بعضها : (السابق الذي يطول على الكل ولا يقصر المغني بومضه عن كل بارق .. روي أنه لما وصل ديوانه إلى مكة اتفق أدباؤها على تفضيله على مشاهير الشعراء ..) (١) ولن يقنعنا قوله عن ابن هتيمل بأنه (فُضِّل على أبي فراس في الشعر) (٢) أو قوله : (روي أنه لما وصل ديوانه إلى مكة اتفق أدباؤها على تفضيله) (٣) وذلك للحيثيات الآتية :

١ ـ أن هذه الأحكام الجاهزة لم تُؤسَّسْ على دراسة شعر الشاعر مقارنا بشعر الشعراء أو بشعر أبي فراس . لأن أغلب الأحكام النقدية آنذاك كانت انطباعية وقتية ..

٢ ـ أن أبا فراس(٤) ليس معاصرا لابن هتيمل وإنما عاصره شعراء آخرون في الجزيرة العربية وفي مصر والعراق والشام ، سنأتي على ذكر بعضهم إن شاء الله .

(*) عصر الدول والإمارات لشوقي ضيف ص ٢١٤ .

(١) بتصرف عن كتاب مطلع البدور مصدر سابق .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) لعل صاحب مطلع البدور يقصد بأبي فراس شاعرا يمنيا عاصر ابن هتيمل وتكنى بهذه الكنية واسمه : فاضل بن عباس بن علي بن القاسم بن دعثم انظر ترجمته في ج١ من مخطوطة مطلع البدور وانظر ص ٧٩ من ج٣ من كتاب تأريخ الفكر اليمني في العصر العباسي .

٢ ـ عصر ابن هتيمل

كان عصر ابن هتيمل برغم ما فيه من أحداث جسام هو عصر ازدهار الفكر بكل ما تعنيه كلمة ازدهار ؛ فقد كان يعج بفطاحل علماء اللغة والبيان أمثال ابن الحاجب صاحب معجم الشيوخ وصاحب مجمع البقاع والبلدان المتوفي سنة ٦٣٠هـ (١) وأمثال ابن مالك صاحب ألفيّة ابن مالك المتوفي سنة ٦٧٢هـ (٢) والسكاكي صاحب المفتاح المتوفى سنة ٦٢٦هـ (٣) . وابن منظور صاحب لسان العرب المتوفى سنة ٧١١هـ (٤) كما كان يعج بعلماء التفسير والحديث أمثال الفخر الرازي صاحب التفسير الكبير وغيره من المصنفات المتوفى سنة ٦٠٦هـ (٥). والإمام الجزري المحدث صاحب جامع الأصول في أحاديث الرسول المتوفى سنة ٦٠٦هـ كما كان عصره يعج بمشاهير علماء التأريخ والاجتماع أمثال ياقوت الحموي صاحب معجم البلدان ، ومعجم الأدباء المتوفى سنة ٦٢٦هـ (٦) وابن خلكان صاحب وفيات الأعيان المتوفى سنة ٦٨١هـ (٧). والقفطي صاحب انباء الرواة المتوفى سنة

---

(١) معجم المؤلفين ج٧ ص ٣١٨ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ج١٣ ص ٢٦٧ .

(٣) معجم المؤلفين ج١٣ ص ٢٨٢ . «٧» تاريخ الأدب العربي للزيات ص ٤٠٣ .

(٤) المصدر نفسه ج١ ص ٧٩ . وهناك رازي آخر عاصر ابن هتيمل هو موسى بن محمد الرازي صاحب نظم الوجيز للغزالي في فروع الفقه الشافعي توفى سنة ٧٣٠هـ . ورازي آخر اسمه أبو العباس بدر الدين الرازي عالم بالتفسير والحديث توفى سنة ٦٣٠هـ الأعلام ج١ ص ٢١٧ .

(٥) تاريخ آداب اللغة العربية ج٢ ص ١٠٥ .

(٦) معجم الأدباء ج١ ص ٤٠ .

(٧) فوات الوفيات والدليل عليها ج١ ص ١١٠ ــ ١١١ . وينظر تاريخ الأدب العربي للزيات ص ٤٠٤ والأعلام للزركلي ج١ ص ٢٢٠ .

٦٤٦هـ [١] . وابن الأثير صاحب الكامل في التاريخ المتوفىٰ سنة ٦٣٠هـ [٢] . وكان عصر ابن هتيمل زاخراً بعدد من علماء الطب والفلسفة أمثال الفخر الرازي المتوفىٰ سنة ٦٠٦هـ [٣] . وغيره .

وكان عصر ابن هتيمل يحفل بعدد من أعلام الصوفية أمثال ابن الفارض صاحب التائية المشهورة المليئة بالشطحات والمتوفى سنة ٦٣٢هـ [٤] . وابن عربي صاحب الفتوحات الالهية وغيره من المصنفات والمتوفى سنة ٦٣٨هـ [٥] ، كما كان زاخرا بعدد وافر من مشاهير الشعراء أمثال البهاء زهير المتوفىٰ سنة ٦٥٦هـ [٦] ومحمد بن حمير المتوفى سنة ٦٥١هـ [٧] وابن النبيه المتوفىٰ سنة ٦١٩هـ [٨] والشاب الظريف المتوفى سنة ٦٨٨هـ [٩] .. والبوصيري صاحب البردة المتوفى سنة ٦٩٥ [١٠] . ومنصور بن سحبان الضمدي المتوفى مقتولاً من الأشراف الحرانيين سنة ٧٢٥هـ [١١] وابن المقرب المتوفىٰ سنة ٦٢٩هـ [١٢] وابن سناء الملك المتوفى سنة ٦٠٨هـ [١٣] وغيرهم وغيرهم .

---

(١) الأعلام ج٥ ص ٢٠٢ .
(٢) المصدر نفسه ص ٨٤ ج١ .
(٣) المنجد في اللغة والأعلام ص ٢٥٩ الجزء الخاص بالأعلام .
(٤) هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل ص ٢٤ .
(٥) هذه هي الصوفية ص ١٦ .
(٦) تاريخ الأدب العربي ص ٣٥٥ وينظر تاريخ ابن كثير البداية والنهاية ص ٢٢٤ ج٧ .
(٧) العقود اللؤلؤية في تأريخ الدولة الرسولية ج١ ص ١١٠ ــ ١١١ .
(٨) تأريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ج٢ ص ١٦ وتاريخ الأدب العربي للزيات ص ٣٤٩ .
(٩) (١٢) تاريخ الأدب العربي للزيات ص ٤٠٣ .
(١٠) العقود اللؤلؤية ج٢ ص ٣٨ .
(١١) شعر علي بن المقرب العيوني دراسة فنية ص ٨٢ .
(١٢) تأريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان ص ١٦ ج٢ .

٣ ـ موقف ابن هتيمل ومعاصريه من أحداث عصرهم

وهـو إلى جانب ذلك عصر الأحـداث الجسام على مستـوى العـالم الإسلامي لفظت فيه الخلافة العباسيـة آخر أنفاسهـا، حيث شهـد ذلك العصر غلبـة السلاجقـة على ما تبقـى من مسميـات الخلافـة العباسية هنـا أو هنـاك، وشهـد ويـلات هجمـات المغـول الشرسة، كما شهـدَ الـقضاء على حملات الصليبين الحاقـدة على الشام التـي حكـمت بيت المقـدس قرابـة مائـة عام حتـى حرَّرهُ صلاح الديـن الأيـوبي رحمه الله، إلى جانب ما كان يتعـرض له المسلمـون من حروب إبـادة في الأنـدلس، ومـع كل هذا فقـد خلا شعـر شراء الجزيرة العربية في هذه الفتـرة من ملاحقـة هذه الأحـداث الجسام أو بعضهـا أو المشاركة فيها، وكـأن الجزيـرة العربيـة برغـم وجـود الحرمين الشريـفين فيها قد ظلت في معزل عن مسرح الأحداث الكبرى، وانشغلت بأحداث جانبية تتمثـل في صراعات بعض الأسر الحاكمة على حكـم تلك الإقطاعيـات الصغيرة هنـا أو هناك فالعيونيون أسرة ابـن المقـرب في الأحساء وآل بركات وبنـو عمـومتهم في مكة وما جاورهـا وبنـو يعقـوب أو الحراميـون في حلي والغـوانم والذرويـون في المخلاف السليمـاني والقـواسم في اليمن الأعلى والرسوليـون في اليمن الأسفـل وما جاوره، ولكـل منهم أنصاره وأتباعـه يوزع بينهم الإقطاعيـات الصغيرة التـي يتوارثـونها حتـى يأتي من ينتزعهـا منهم ــ سنـة الله في خلقـه ــ ﴿ولـن تجد لسنـة الله تبديـلاً﴾ . لذلك رأينـا الشاعـر ابـن المقـرب الأحسائي المتوفـى سنـة ٦٢٩هـ برغـم قربـه من مركـز ما تبقـى من مسمـى الخلافـة العباسيـة وبرغـم هجراتـه لبـعض الحواضر الإسلاميـة التـي تصطلي ببـعض تلك الأحـداث رأينـاه يحصر شعـره في الحديث عن الصراع القـائم على السلطـة المحليـة، ومـا تعـرض له الشاعـر نفسه من حرمـان المشاركـة في الحكـم، ومـا قد يتعـرض له أقاربـه

الحاكمون من هجمات المجاورين الطامعين، ولا يلمس أحداث الأمّة الجسام إلا لمساً خفيفاً ربما حين تتعرض لمصالح أسرته الحاكمة، أو حين يرغب في مدح أحد الزعماء المعاصرين ربما رغبة في نصرته (أو إعجاباً ببطولاته كما فعل حين مدح الملك الأشرف عقب انتصاراته[1] في دمياط) . ورأينا محمد ابن حمير شاعر اليمن من خلال بعض القصائد التي نقلها الخزرجي في العقود اللؤلؤية أو ما نقله الشامي في كتابه تأريخ اليمن الفكري في العصر العباسي من شعراء . رأينا ابن حمير ينشغل بمدح الرسوليين في اليمن والإشادة بانتصاراتهم على المناوئين دون أن يلمس جراح الأمة النازفة في شعره . ومثله منصور بن سحبان الضمدي فيما نقله الفاسي في العقد الثمين من شعره ... ورأينا ابن هتيمل يحصر شعره كسابقيه في الأحداث المحلية فيمدح أمير المخلاف السليماني ، ويشيد بانتصاراته على المناوئين، ومرة أخرى يمدح أمير حلي وأقاربه، ويشيد بانتصاراتهم وتارة يمدح أمير الرسوليين في اليمن الأسفل أو أمير القاسميين في اليمن الأعلى، أو أمير ظفار، كما يمدح أشراف مكة، وآخر من مدحه منهم أبو نمي المتوفى سنة ٧٠١هـ[2]. وهكذا طوّف

---

(١) ابن المقرب حياته وشعره ص٥٨ لعمران العمران . والأشرف هنا أحد المماليك في مصر وليس الأشرف الشريف .

(٢) تاريخ مكة للسباعي ص ٢٦١ الطبعة الرابعة ، واسمه محمد بن أبي سعد وليس محمد بن سعيد كما وهم العقيلي في الجزء المطبوع ص ٧٩، وقد مدحه ابن هتيمل بقصيدة يقول في مطلعها :

يقول متلفه في الحب واديه ... وليس من عزمه واديه واديه

إلى ان يقول مشيرا إلى اسمه :

يهني بني حسن ما سر سيدهم ... محمد بن أبي سعد ويهنيه

انظر الجزء المطبوع من الديوان ص ٧٩ . غير أن محقق هذا الجزء جعل اسم الممدوح محمد بن سعيد خلافا لاسمه الوارد في قصيدة ابن هتيمل بالمخطوطة .

ابـن هتيمـل في معظـم أنحاء الجزيـرة العربيـة ومـدح أمراءهـا وأشاد بانـتصارات بعضهـم على بعضهـم دون أن نجد له في شعـره الـذي وصلنـا مشاركات عامـة عدا أبيات معـدودة تحدث فيها عن كسوة الكعبـة المشرفـة أثنـاء مدحـه للمـلك المظفر الذي قام بهذه المهمة بعد أن اتفـق مع شريـف مكـة أو أخضعـه لسلطتـه .. حين قال :

وكَسَوْتَ بيتَ الله أشرفَ كِسْوَةٍ   نُشِرَتْ عليهِ وكَـانَ كَالعُرْيَـانِ[1]
وعميـدُ مِصْرٍ مِنْكَ يَبْغِـي نُصْرَةً   وأُخُـوَّةً في السِّرِّ والإعْـلاَنِ

وعـدا إشارة فيها دعـوة إلى اتحاد محلّيٌّ ضد عُمّـال الرسولـيين الوافديـن على المنطقـة وضد صنائـع الشعوبـيين .. وضد كل غريب على وحـدة المسلـمين، وهـذه الإشارة نلمسهـا في قصيـدة وجههـا إلى كل من الإمـام أحمد بن الحسين صاحب ذيبين والإمـام أحمد بن الإمـام المنصور بن حمزة صاحب ظفـار حين ثارا مجتمـعين على المظفـر واستـردا منـه صنعـاء عنـوة وأجليـاه إلى حصن براش فاهتبل الشاعر فرصة تعاون الأميريـن المحلّيين ضد الوافـد الأجنبـي واستغلهـا فرصة وجّـه من خلالها الدعـوة إلى بقيـة الأمـراء المحلـيين للاتحاد والتعاون ضد الأجنبي فقال :

إنَّ الخلافـةَ وجـهٌ مابـه كَلَـفُ   بالأحْمدَيْن وعيـنٌ مَا بِهَـا رَمَـدُ
أضْحَتْ بفضلِهِمَا كالْكَفِّ يعْضدُهـا   عُضْوان: ذَا سَاعِـدٌ فيها، وذَا عَضُدُ
تَكَامَـلَتْ بِهِمَـا حتّـى كأنّهُمَـا   من التَّمَـازُج فيهَـا الرُّوحُ والـجَسَدُ

وحين فشلت الحملة وذلك بسبب عدم تعـاون بقيـة الأمـراء المحلّـيين التفت إليهم معاتبا ولائما فقال :

---

(١) مخطوطة الديوان .

(٢) العقود اللؤلؤية في تأريخ الدولة الرسولية ج١ ص ٩٥ ــ ٩٧ .

فَمَا لِبَعْضِ بَنِي المَنْصورِ طَوَّحَهُمْ ... عنكُمْ وَحَادَ بِهِمْ عنْ نصرِكُمْ حَسَدُ[1]
أمرٌ ثناهُ لكم ثانٍ فمن غَبَنٍ ... في الرأي أن يتساوىٰ الغيُّ والرَّشَدُ
أُحيْنَ صَرَّحَتِ الأيَّامِ حَقَّكُمُ ... مَحْضاً وصَارَ جُفاء ذلِكَ الزَّبَدُ
وراسلَتْكُمْ تَعِزٌّ مِنْ تَذَلُّلِهَا ... بالرَّغْمِ وانتظَرتْكُمْ حَيْسُ والجَنَدُ[2]
وأذْعَنَتْ فِرَقُ الإشْرَاكِ واعْتَقَدَتْ ... بالسيفِ مالَمْ تكن بالحقِّ تَعتَقِدُ
نِمْتُمْ وعَظَّمَ حالَ العُجْمِ كَوْنُكُمْ ... صدَدْتُمْ وَهُمْ في دَارِكُمْ صَيَدُ

وفيما عدا ذلك فشعر ابن هتيمل كسابقيه خِلوٌ من ذكر أي من تلك الأحداث أو المشاركة فيها، وكأن شعراء الجزيرة العربية ــ كما أسلفنا ــ قد شُغلوا بتلك الصراعات المحلية الصغيرة عن أحداث الأمة وصراعاتها الكبرى، فلم نجد لهم أية مشاركات جادة في تلك الأحداث عدا مشاركة الشاعر علي بن محمد التهامي في القرن الخامس الذي رحل إلى العراق والشام واعتقل في مصر ومات في سجنه سنة ٤١٦[3] وعدا مشاركة شاعر الجزيرة في القرن السادس عمارة الحكمي الذي شارك في بعض أحداث الأمة، فدفع ثمن تلك المشاركة بأن قتله الفاطميون في مصر سنة ٥٦٩هـ بعد ظهور الأيوبيين .[4]

---

(١) الجزء المطبوع ص ١٤٦ ــ ١٤٨ وبعض أبيات من مخطوطة الديوان لم يذكرها صاحب الاختيار برغم أهميتها .

(٢) حَيْسُ والجَنَد : مدينتان ساحليتان من مدن اليمن التي كانت تساند ثوار الجبال في صنعاء وما حولها .

(٣) مصادر الفكر الإسلامي والعربي في اليمن ص ٣١٤ .

(٤) المصدر نفسه ص ٣١٧ .

٤ ـ مكانة ابن هتيمل بين محمد بن حمير ومنصور بن سحبان

والحديث عن مكانة الشاعر القاسم بن علي بن هتيمل بين شعراء عصره أبناء الجزيرة العربية يعوزه كثير من الدقة، فابن حمير اليمني، ومنصور ابن سحبان الضمدي المخلافي ، قد فُقِدَ الكثير من شعرهما عدا ما ذكره الخزرجي في كتاب (العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية) من شعر محمد بن حمير حيث أشار إلى أن لابن حمير ديواناً عزيز الوجود . [١]

وما أورده أحمد محمد الشامي في كتابه تأريخ اليمن الفكري في العصر العباسي حيث توسع قليلاً في تلك النماذج[٢] . ومثله شعر ابن سحبان الذي لا نعرف منه إلا مقطوعات أوردها الفاسي في كتاب (العقد الثمين في تأريخ البلد الأمين) وقد «ذكر أنه مات مقتولاً سنة ٧٢٥ من الأشراف الحرانيين كما يقول الخزرجي بعد أن هجاهم كما هجا بعض رؤساء العرب»[٣] . وإن كان منصور بن سحبان قد وضع مفاضلة تفتقر إلى الدقة وتحتاج كثيراً إلى التمحيص وبخاصة أننا نشمُّ منها رائحة التنافس بينه وبين مواطنه ابن هتيمل [٤] ـ وقديماً قيل : (المعاصرة حجاب) ـ فقد ذكر الخزرجي ما نصه : (ورأيت بخط الفقيه الإمام العلامة أبي العباس أحمد بن عثمان بن بصيص النحوي بيتين من الشعر وهما :

(١) انظر العقود اللؤلؤية في تأريخ الدولة الرسولية للخزرجي ج١ ص ١١١ .

(٢) تأريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ج٤ ص ٩١ ـ ١١٥ .

(٣) العقود اللؤلؤية ج٢ ص ٣٨ .

(٤) يوافقنا في عدم مصداقية هذا الحكم الناقد والشاعر والمؤرخ الأدبي أحمد محمد الشامي في كتابه: التاريخ الفكري لليمن في العصر العباسي ج٤ ص٤٦ حين قال:(أنا لا أستطيع أن أوافق هذا الناقد أو أن أتقبل حكمه) .

أمـــا قصائـــد قاسم بن هتيمـــل فمذاقهـــا أحلى من الصهبـــاء
هو شاعـــر في عصره فطـــن وَلـــٰـكِـنّ ابـــن حمير أشعـــر الشعـــراء

ويقال : إن هذين البيتين لابـن سحبـان قالهمـا وقـد سئـل أي الشاعريـن المذكوريـــن أفصح؟[1] وقـــد أنصف المؤرخ الأديب العلامـــة أحمد محمـــد الشامي بعد ذكر هذين البيتين حيث قال : (ولا أستطيع أن أوافق هذا الناقد أو أتقبل حكمـه بسهولـة ويسر...) إلى أن قال : (فابـن هتيمـل كأن أصفـى نفساً وأكـرم أخلاقـاً) [2] كما يورد العقـيلي رسالـتين متبادلـتين بين الشاعـر محمـد بن حمير، والشاعر القاسم بن علي بن هتيمل، يمتزج فيهما الشعـر بالـنثر وقـد بدأهـا ابـن حمير، وفي هاتين الرسالـتين نجد اعتـراف كل من الشاعريـن للآخر بفضلـه وسبقـه وإن كانت تلك الاعترافـات تصب في ينبـوع المجامـلات نسمـع محمـد ابن حمير يعترف لابن هتيمل بالسبق فيقول :

أنت مولى الكـرام لاغـالك الدهـــــر وفحـل الكـلام حيث الكـلام[3]
وبيـــــوم السبـــــاق أنت المجلي كم جرى بعـــدك الرجـــال وقامـــوا

ويقول في مقطع آخر :

وإنما الجهـــل غطـــىٰ كل مثلبـــة وشاعـر الشام يرعـــى شاعـــر اليمن

يقصد بشاعر الشام ابن هتيمل ..

---

(١) العقـود اللؤلؤيـة في تاريخ الدولـــة الرسوليـــة لعلي بن الحسن الخزرجـــي ج١ ص ١١١ . ط الهلال بالفجالة سنة ١٣٢٩هـ .
(٢) تاريخ اليمن في العصر العباسي ج٤ ص ٤٦ ــ ٤٧ لأحمد محمد الشامي .
(٣) الأربعـاء ــ ملحـق صحيفـة المدينـة العـدد ٤٩ في ١٤٠٤/٤/٢٢هــــ من مقـــال للشيـخ محمـد العقـيلي وانظـر الصفحـات من ٥٢ ــ ٥٧ من كتـــاب تأريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ج٤ ص ٥٢ إلى ٥٧ .

كما نستمع لابن هتيمل وهو يجامل صاحبه فيقول معترفا بفضله :

إنَّمَا لابـنِ حميـرٍ قدمُ السَّبْـــق وحيـداً وتستـوي الأَقْدَامُ
أنـا لَوْلاكَ ما عُرِفْتُ ومـا السَّيْـــلِ بِشَيْءٍ في الأصل لَوْلَا الغَمَـامُ
نَحـنُ سيفَـا غِمْدٍ وقـد عَلِمَ العَـالَـمُ أَنَّـا ذُو النُّـونِ والصِّمْصَامُ[1]

وهذه وتلك مقارضات بين صديقين، أو سمها مجاملات لا يعول عليها في تمييز شاعر منهما على الآخر ولا يتحقق ذلك إلا بدراسة مقارنة بين شعر الشاعرين وذلك متعذر؛ مادام الحصول على ديوان ابن حمير لا يزال متعذراً في الوقت الحالي على الأقل .. فما أورده الخزرجي من شعره .. والنماذج المحدودة التي ذكرها[2] الشامي لا يكفيان للمقارنة أو إصدار الأحكام النقدية الحاسمه !!

وإذن فلم يبق أمامنا إلا علي بن المقرب العيوني الذي طبع ديوانه ونشر شعره ودرس من أكثر من دارس، ليس آخرهم عمران محمد العمران — صاحب كتاب ابن مقرب حياته وشعره ولا الدكتور علي بن عبد العزيز الخضيري الذي أصدر في عام ١٤٠١هـ كتابا عن ابن المقرب جعل عنوانه « علي بن المقرب حياته وشعره » وعقد في آخره فصلا تحدث فيه عن مكانة ابن المقرب بين شعراء عصره، وتناول ابن هتيمل المعاصر لابن المقرب فلم ينصف ابن هتيمل فكان لي مع الخضيري حديث طويل جعلت عنوانه : « الدكتور الخضيري بين ابن المقرب وابن هتيمل» [3] لا أجد علي غضاضة

(١) المصدر السابق ص ٥٦ .
(٢) انظر المصدر السابق الصفحات من ٩٢ إلى ١١٧ .
(٣) نشر بصحيفة المدينة عدد ٦٠٠٢ الصادر بتاريخ ١٤٠٣/١١/٢٤ وعدد ٤٠٠٩ بتاريخ ١٤٠٣/١١/١٨هـ صفحة التراث .

من سرده على الصفحات التالية مع إضافة أو إضافات جديدة ففيه نعرف أين يقف ابن هتيمل بين شعراء عصره ومن خلاله نتعرف على بعض مستويات شعر ابن هتيمل مقارنا بشعر معاصره ابن المقرب .

٥ ـ إجحاف الدكتور الخضيري في المقارنة بين ابن المقرب وابن هتيمل

من الدراسات الجادة، بل من البحوث الرصينة، صدر عن مؤسسة الرسالة ببيروت في عام ١٤٠١هـ كتاب بعنوان : (علي بن المقرب حياته وشعره) من تأليف الدكتور علي بن عبد العزيز الخضيري، وبرغم حرصي على الاطلاع على أمثال هذا الكتاب من الدراسات الت تعنىٰ بالتراث ، إلا أنه لم يقدر لي العثور عليه إلا متأخراً.

والكتاب كما يقول المؤلف : « رسالة [٢] نال عليها درجة الدكتوراه» والحق أنه بحث جيد أتىٰ فية الدكتور الخضيري على مراحل حياة الشعر ، ودرس من خلالها مراحل شعره ، حيث استقصى كافة الظواهر الفنية في شعره ، وأوفىٰ الشاعر حقه من البحث ، وأوفىٰ شعره مايستحق من الدراسة والتمحيص ، فخرج بكتاب تزيد صفحاته عن أربعمائة وخمسين صفحة من القطع المتوسط ، وهى صفحات ليست حشواً كما تطالعنا بعض الدراسات ، ولا تكرارا كما يصنع بعض الدارسين ولكنها دراسة متأنية من رجل جاد كالدكتور الخضيري ، وبإشراف جهبذ فذ هو أستاذنا الجليل الدكتور عبد القدوس أبو صالح ، ولست بهذا أبرئه من الوقوع في الخلل أو الخطأ ، ولكنها هنات بسيطة لابد لأي عمل كبير كهذا أن يقع في شيء منها .

ولقد نال شعر علي بن المقرب حظاً لا بأس به من اهتمامات الدارسين فقد طبع ديوانه مايزيد على أربع طبعات ، وقد كتبت عنه العديد من الدراسات الأدبية لعل أهمها هذا الكتاب الذي نحاول أن نقلب صفحاته الى

---

(١) الصفحة الأولى بعد الغلاف .

جانب تلك الدراسة التي نشرها منذ فترة : الأديب عمران العمران . [1]

كما أشاد بذكر الشاعر عدد من الباحثين أمثال الدكتور شوقي ضيف والشيخ العلامة حمد الجاسر وسواهما ، وهذه وتلك اهتمامات يستحقها ابن المقرب وشعره الذي يسجل فترة نسي التاريخ تسجيلها في إقليمه . غير أنني وجدت الدكتور الخضيري انطلاقاً من هذه الاهتمامات قد بالغ في تفضيل الشاعر ، حتى جعله أشعر شعراء عصره ، ونابغة زمانه ، فهو حين قارنه ببعض شعراء عصره ممن يتفوق بعضهم على ابن المقرب ، لم يخف هذه العاطفة ، ولم يترك للقراء فرصة الحكم على مكانة شاعره ومن قارنه بهم بل نجده قد تدخل ـــ متأثراً بتعمقه في دراسة شعر ابن المقرب ـــ فاندفع إلى تفضيله على معاصريه دون إحاطة بشعرهم

وأبدأ أولاً فأذكر الدكتور الخضيري أن قرب أي شاعر من بلاط الحكم في عصورنا الأدبية كان سبباً في بلوغ عدد من الشعراء الى قمة الشهرة والمجد ، وإلى انطواء آخرين في زوايا الإهمال والنسيان ، ممن لم يقدر لهم الاتصال بالخلفاء والأمراء ولا نزال نعثر على شعراء ابتلعتهم طاحونة النسيان من أمثال ابن دنينير الذي عاش في العصر العباسي ، وبقي شعره مطموراً طوال هذه السنين حتي قيّض الله له من ينتشله أخيراً من ركام القرون بدراسة وافية ينتظر أن تري النور قريباً [2] ، وأمثال ابن دنينير ممن خرجوا إلى دائرة الضوء بعد عشرة قرون أو تزيد من عمر النسيان كثير وجميعنا نعلم أن ذاكرة الأدب العباسي لم تحفظ في دائرة لألائها إلا المتنبي ، وأبا تمام ،

---

(١) صدر كتاب عمران العمران عن ابن المقرب عام ١٣٨٨هـ عن مطابع الرياض والواقع أن كتاب العمران يعتبر من الدراسات الرائدة والمتعمقة في حياة ابن المقرب وشعره .

(٢) رسالة دكتوراه من إعداد الدكتور محمود شاكر رئيس قسم اللغة العربية بكلية إعداد المعلمين في جازان .

والبحتري ، وابن الرومي ، والشريف الرضي، إلى جانب عدد آخر ممن سموهم المولدين ، ولا يزيد عددهم على أصابع اليد، بما فيهم شعراء الغزل والمجون، في حين تؤكد لنا الدراسات أن العصر العباسي : هو العصر الذهبي للغة والأدب ، ومعنى ذلك أنه لن يكون شعراؤه بالعشرات ، وإنما لابد أن يكونوا بالمئات ممن طوتهم يد النسيان !

إذا فدوي صيت ابن المقرب يرجع سببه إلى نواح : منها : تدفق شاعريته ولكن إلى جانب ذلك انتماؤه إلى أسرة حاكمة من جهة، واتصاله بملوك زمانه في عاصمة الخلافة ، كالملك العادل وغيره من ملوك الأيوبيين من جهة أخرى .

على أنني أعود إلى دراسة الدكتور الخضيري فأجده قد بالغ في تفضيله على شعراء عصره الذين قارنه بهم أمثال الشاعر الدمشقي ابن عنين المولود سنة (٥٤٩) والمتوفى سنة (٦٣٠) [١] ، والشاعر العراقي سبط بن التعاويذي المولود سنة (٥١٩) والمتوفى سنة (٥٨٤)[٢] ، والشاعر المخلافي الضمدي القاسم بن علي بن هتيمل المولود في آخر القرن السادس تقريباً والمتوفي في آخر القرن السابع الهجري — كما تشير القرائن في شعره وربما كان الخضيري أقل إجحافا بابن هتيمل ومعاصريه من الأستاذ عمران العمران الذي جزم (بأن الجزيرة العربية في القرن السابع كانت في منتهى العقم الفكري حيث كانت تعيش عهداً متخلفاً[٣]في الأدب والشعر حتى جاء ابن المقرب

---

(١) علي بن المقرب حياته وشعره للدكتور الخضيري ص ٣٨٨ .

(٢) **المصدر السابق ص ٣٩٩ وفي معجم الادباء للحموي وفاته سنة ٥٨٣ جـ ١٨ من ص ٢٣٥ إلى ٢٤٩ ، وكذلك في تاريخ آداب العرب** لجورجي زيدان ج٢ ص ٢٤ ومثل ذلك في أعلام الزركلي ج٦ ص ٢٦٠ .

(٣) ابن مقرب حياته وشعره للأستاذ/ عمران محمد العمران ص ٦ ط مطابع الرياض عام ١٣٨٨هـ .

ليجدد لها العهد بدولة الأدب وصولجان الشعر) .

والحق أنني برغم إعجابي بشاعرية ابن المقرب الثرة، فإنني كنت أشم في ثنايا شعره روح التقليد والمحاكاة ليس من قبيل وقوع الحافر على الحافر فقط، ولكن من قبيل وقوع الألفاظ على الألفاظ وكنت أتهمه بالوقوع بين أحضان المتنبي !! حتى جاءت دراسة الدكتور الخضيري ، فأكدت لي هذه الحقيقة ، وأضافت إلى معرفتي ومعارف القراء أن ابن المقرب يحاكي ويقلد شعراء آخرين أمثال أبي تمام ومعن بن أوس ، والشريف الرضي ، وبشار بن برد، وسواهم وأعجبني في هذا المقام قول الدكتور الخضيري (ص ٢٢٢) بعد أن يذكر اعتزاز ابن المقرب بالإمارة في قومه وبأمجاد أسرته : (ومع ذلك فإن ابن المقرب يقلد أبا الطيب ويتبع خطاه ، فإذا افتخر المتنبي بقوة شاعريته وانقياد المعاني له بقوله :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي ... وأسمعت كلماتي من به صمم
أنام ملء جفوني عن شواردها ... ويسهر الخلق جرّاها ويختصم

فابن المقرب يفخر بمثل ذلك حين يقول :

ولأهدين إلى علاك مدائحا ... ينسيك شاديها الغريض ومعبدا
وإليك من در الكلام جواهرا ... يُغْيِي الفرزدق نظمها ومزردا[١]

ويستمر الدكتور الخضيري في سرد الأبيات التي يحاكي فيها المتنبي وليته استقصى كل محاكاته إذاً لخرج علينا بربع شعر ابن المقرب الذي يمثل صورة طبق الأصل من المتنبي، معاني وأفكارا وصورا [٢] وينصف الدكتور

(١) علي بن المقرب حياته وشعره ص ٢٢٢ للدكتور الخضيري .

(٢) وكان الأستاذ عمران محمد العمران قد سبق الدكتور الخضيري في كشف تأثر ابن المقرب بشعراء العربية بل وأخذه عنهم وتوسع في ذكر النماذج التي قدمها الشعراء وبخاصة المتنبي حتى في الوزن والقافية وضرب لذلك أمثلة بشعر شعراء

الخضيري حين يستمر في عرض محاكاة ابن المقرب للأقدمين وأخذه عنهم فيقول في صفحة (٢٢٦) معلقا على أبيات ابن المقرب التي يذكر فيها صفحه عن جهال قومه حين قال :

وأصفح عن جهال قومي حمية | وإن أسرجوا في هدم عزي وألجموا
وإن قطعوا أرحام بيني وبينهم | وصلت وذو العليا أبر وأرحم

يقول الدكتور الخضيري تعليقا على هذه الأبيات : (فتلك صورة لأبيات معن بن أوس المشهورة :

وذي رحم قلمت أظفار ضغنه | بحلمي عنه وهو ليس له حلم[1]

وأضيف إلى ما ذكره الدكتور الخضيري أنها ربما كانت مأخوذة عن قصيدة المقنع الكندي التي يقول فيها :

وإن الذي بيني وبين بني أبي | وبين بني عمي لمختلف جدا
إذا أكلوا لحمي وفرت لحومهم | وإن هم هووا غَيِّي هويت لهم رشدا
ولا أحمل الحقد القديم عليهم | وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

والبيت الأخير وثيق الصلة بالبيت الثاني من أبيات ابن المقرب كما ترى !! على أن الدكتور الخضيري قد اكتشف أن ابن المقرب قد أخذ عن بعض معاصريه الذين قارنه بهم فها هو يأتي على معان وأفكار لمعاصره سبط التعاويذي حين قال :

خجلت من عطائك الأنواء | وتَجَلَّتْ بنورك الظلماء

في مختلف العصور ، انظر الصفحات من ١٣٧ ــ ١٥٩ من كتاب (ابن المقرب حياته وشعره للأستاذ/ عمران محمد العمران ط١ مطابع الرياض سنة ١٣٨٨هـ .

(١) علي بن المقرب حياته وشعره ص ٣٣٣ للدكتور الخضيري .

واستجـــابت لك المـمـــالك إذْ عانـــاً وفيها على سواك إبــــاء
وأهــنت المال العزيـــز على غَيْـــــرك حتـــى استــوى الثرىٰ والثراء

فقد أتى ابن المقرب على هذا المعنى وحتى على الوزن والقافية والبحر فقال :

بمعــــــــــاديك لابك الأسواء ولحسادك الثرى لا الثراء
ولك الناس والبلاد ومــن جَـــا دَ وأكـــــدى من كل سوء فداء

يقول الدكتور الخضيري مؤكدا هذه الحقيقة : (لقد تشابه أسلوب الشاعرين حتى بدا الثاني ــ أي ابن المقرب ــ وكأنه قد أخذ من **الأول**) [1].

وأضيف إلى ما ذكره الخضيري أن ابن المقــرب قد أخــذ الألفـــاظ والمعاني والوزن والقافية والبحــر من معــاصره الآخر ابـــن عنين حينما قال الأخير :

فألفيتـــه يهوى النـــدى فتـــرده عروق الى أخواله الــزرق تنتمـــي
إذا أيقظتــــــه نخوة عربيـــــة إلى المجد قالت أرمنيتــــــــــه : نم

فقال ابن المقرب :

تسلطـــن بالحدبـــاء عبــد بلؤمـــه بصير بلا عن نبـل مكرمـــة عَمِـــى
إذا أيقظتـــــه لفظـــة عربيـــــة إلى المجد قالت أرمنيتــــــــــه : نم

فأنت تلاحظ أن البيت الثاني متفق الألفاظ عند الشاعرين ما عدا كلمة (نخوة) فقد غيرها ابن المقرب بكلمة: (لفظة) ولن يكون كل هذا من قبيل توارد الخواطر ولا من قبيل وقوع الحافر على الحافــر ، وإنما هو من قبيـــل وقوع الحروف على الحروف .

---

(١) علي بن المقرب حياته وشعره ص ٤٠٠ للدكتور الخضيري وانظر ص ١٨٠ من كتاب شعر علي بن المقرب العيوني دراسة فنية للدكتور أحمد موسى الخطيب ط دار المريخ .

ومسألة المحاكاة والتقليد لا تحتاج إلى نقاش ندخل فيه مع الدكتور الخضيري فقد قرر ذلك بنفسه في غير ما موضع من كتابه ، فليراجع من شاء الصفحات (٢٢٠إلى ٢٢٧) وكذلك الصفحات من (ص ٢٥٨ — ٢٦٠) وكذلك صفحة (٤١٦) وما بعدها وكذلك الصفحات (٣٠٦) ومابعدها ، كما أكد ذلك الدكتور أحمد موسى الخطيب في كتابه (شعر علي بن المقرب دراسة فنية) فقال : «وقد نتجاوز إعجابه بأبي الطيب ومعانيه إلى حد من التقليد البغيض في الصياغة والشكل» [١]

غير أنني كنت آمل وقد لمس هذه الحقيقة بنفسه ألا يفضله على شاعر كابن هتيمل الذي سماه شعراء الجزيرة في عصره، بأبي فراس عصره بل ربما فضله بعضهم على أبي فراس [٢] كما احتفى بشعره شعراء مكة وقدموه على كثير منهم[٣].

وقد ترجم له العلامة الحسن بن أحمد عاكش في كتابه : «الديباج الخسرواني» وعده من كبار شعراء عصره غير مدافع .[٤]

كما ترجم له صاحب كتاب تاريخ الفكر العربي والإسلامي فجعله من كبار شعراء عصره[٥] وقد طغت شهرته في عصره على شعراء آخرين أمثال ابن سحبان الضمدي الذي ترجم له صاحب كتاب العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين وأورد له عشر قصائد من جيد شعره .

---

(١) شعر علي بن المقرب العيوني دراسة فنية للدكتور أحمد موسى الخطيب ص ٢٣٣ .

(٢) كما فعل صاحب مطالع البدور الجزء الأول مخطوط عن نسخة غير مرقمة الصفحات .

(٣) المصدر السابق .

(٤) مخطوط الورقة ٥٧ وانظر الورقة ٢٠٦، ٢٧ من كتاب الجواهر اللطاف في أنساب أشراف صبيا المخلاف لمحمد حيدر القُبِّي .

وأمثال محمد بن حمير شاعر اليمن الكبير ، الـذي ترجـم له صاحب كتاب «العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية» فقال : (هو أوحد شعراء عصره وشعره كثير وله ديوان شعر جيد عزيز الوجود) وقال : (ورأيت بخط الفقيه الإمام العلامة العباس بن أحمد بن بصيص النحوي بيتين من الشعر هما :

أما قصائد قاسم بن هتيمل ... فمذاقها أحلى من الصهباء
هو شاعر في عصره فطن ولـ ... ـكنَّ ابن حمير أشعر الشعراء

ويقال أنهما لابن سحبان الضمدي قالهما وقد سئل أي الشاعرين أفصح؟) [1]

وابن هتيمل قبل هذا وذاك صاحب الإبداعات التي تجاوزها دكتورنا الفاضل، وأخذ ينتقي بعض الأبيات التي لا تتمثل فيها قوة شاعرية ابن هتيمل ــ والكمال لله سبحانه ــ نعم لم يقارن الدكتور بين جيد شعر ابن هتيمل وجيد شعر ابن المقرب وبين هزيل شعر ابن المقرب وهو كثير وهزيل ابن هتميل وهو قليل جداً فيما طبع من شعره .

ولأوضح للقراء أن الدكتور الخضيري قد تجنى على ابن هتيمل حين قارنه بشاعره الذي ربما فاقه في غزارة الإنتاج فقط، ولكنه تخلف عنه بمراحل في الجودة والإتقان !! ولو عاد الدكتور الخضيري إلى ديوان ابن المقرب لينتقي منه ما يستحق الوصف ــ في عرف نقاد الأدب ــ بالإبداع لوجدها قصائد قليلة لا ترقى إلى جودة شعر ابن هتيمل ولا تدانيها، وفيما عدا تلك القصائد القليلة فشاعره ابن المقرب إما محاك مقلد ، وإما صاحب جلبة يختار أكثر الألفاظ قعقعة على حساب أصعب المعاني المكررة ، وخاصة في

---

(١) انظر ص ٣٢٠ من كتاب مصادر الفكر الإسلامي والعربي في اليمن للحبشي .

(٢) العقود اللؤلؤية في تأريخ الدولة الرسولية للخزرجي ج١ ص ١١١ .

المديح [1] ، وإني لأحسب طول نفسه في بعض قصائـــــــده حاصلا بسبب اهتمامه بسرد التفصيلات الجزئية التي يميل الشعر إلى إيجازها والتلميح إليها وإلى إلحاحه على المعاني بشكل يسترعي الانتباه وليس لذلك من تعليل سوى نضوب أفكاره أمام إصراره على الإطالة . [2]

ولو أراد الدكتور الخضيري إنصاف ابن هتيمل ، لعاد إلى مخطوطة الديوان التي توجد نسخ منها لدى كل من الشيخ العلامة حمد الجاسر والشيخ العلامة عبد الله بن عقيل، وهما من هما علماً وكرماً وتعاوناً مع طلاب العلم، كما توجد نسخة ثالثة في مكتبة دار الكتب بمصر إلى جانب نسخ مخطوطة أخرى في معهد المخطوطات العربيـة بالقاهـرة إلى جانب نسخ أخـرى في مكتبات صنعاء والهند وعُمَان ومصر وسواها ، نعم لو أراد الانصاف لرجع إلى إحدى مخطوطات الديوان، واختار بنفسه من فيض ابن هيتمل الزاخر ، المليء بالشعور الحي المتدفق ، دون الاعتماد على ما اختاره محقق الديـوان الذي بتر كثيراً من مطالع القصائد ، وفصل بين بعض مقاطعها، ولو فعل ذلك فسوف يتراجع عن حكمه الذي أصدره على ابن هتيمل أثناء مقارنته بشاعره ابن المقرب حين قال : « وشعر ابن هتيمل متوسط الجودة من الناحية الفنية» [3] ولربما سحب حكمه الآخر على مراثي ابن هتميل الذي يذهب فيه «إلى أن بعض معانيه مبتذلة كما في رثاء زوجته» [4] لو عاد الدكتور إلى هذه القصيدة لأدرك بفطنته أن النص مبتور فلا يوجد مطلع القصيدة ولا خاتمتها ومع أن الابتذال يطلق ــ غالباً ــ على الألفاظ فإني

---

(١) علي بن المقرب حياته وشعره للخضيري ص ١٧٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٣١٩ ــ ٣٢٠ وانظر ص ١٨٨ من كتاب شعر علي بن المقرب دراسة فنية للدكتور أحمد الخطيب .

(٣) المصدر السابق ص ٤٠٦ .

(٤) المصدر السابق ص ٤٠٧ .

أتساءل : أي ابتذال في قول ابن هتيمل في رثاء زوجته :

وحسبك أني حول قبرك كلما همت كبدي مستغفر مترحم[1]

ويأتي بعد هذا البيت مجموعة أبيات تصور مقدار ما أصابه من الحزن والأسى وتكون مجموعتين من التشبيهات الضمنية والبليغة المركبة، لا يدركها إلا صاحب ذوق بلاغي تمرس بتذوق أمثالها من عيون الشعر على أن لابن هتيمل مرثية أخرى في زوجته أورد شوقي ضيف جزءاً منها في كتابه : (عصر الدول والإمارات) وقال عن تلك القصيدة : (والمرثية تمتليء بمشاعر صادقة)[2] ولم يقل : بمعانٍ مبتذلة!! بل قال عن ابن هتيمل وشعره قول الناقد الحصيف : (وفي الحق أن ابن هتيمل كان شاعراً مجيداً سواء في مراثيه أو في غزله ونسيبه أو مدائحه)[3].

ولعليّ أتساءل أيضاً مع الدكتور الخضيري فأقول : أيُّ ابتذال في شعر ابن هتيمل الآتي في رثاء أخيه وأخته والذي يقول فيه :

قُصَارَىٰ المرء ردُّ المُسْتَعَار وسائلةُ الحياةِ إلي قَرَار[4]
ولسْنَا بالخِيَار على اللَّيَالي ولكنَّ اللّيَالي بالخِيَار
فَلَا يأمنْ عثَار الدّهرِ حَيٌّ فَلَيسَ الدَّهرُ مَأْمونَ العِثَارِ

ويستمر على هذا المنوال إلى أن يقول :

رأيْتُكُما أرقَّ عَلىٰ اليَتَامَىٰ وأرأَفَ في التَّحَنُّنِ من صوَارِ

---

(١) ديوان ابن هتيمل ص ٩٦ .
(٢) عصر الدول والإمارات لشوقي ضيف ص ١٢٧ .
(٣) المصدر نفسه ص ١١٧ .
(٤) الجزء المطبوع من الديوان ص ٨٨ .

وأحْفَـظَ للحُقُـوقِ إذَا أُضيعَتْ   لِذِي قُرْبى وأرْعَى للجَوارَ[1]

بل أي ابتذال في قول ابن هتيمل في رثاء أخيه خليفة :

ما شاءَ بعدكَ فليأتِ به الزمنُ   فلا السُّرورُ يواتِيني ولا الحَزَنُ
قد كُنتَ للدِّين روحاً يستقلُّ بهَا   في أهلِه فتولَّى الروحُ والبَدَنُ
آسىٰ عليكَ ومالي ياخليفَةُ لاَ   آسَىٰ وقَدْ صدَقَتْني بعدَكَ الفِتَنُ
تغيَّرتْ بهجَةُ الأيَّام وانتقضَ الْـ   ـعَهْدُ الوثيقُ وحَالَ الحَيُّ والسَّكَنُ

ويختمها بقوله :

أمَا وقَدْ قادَكَ الموتُ الذي يدُهُ   لكل آب أبيٌّ جامح رَسَنُ
فاذهبْ حميداً وإن أصبحتَ مُرتَهَناً   فرداً فكلٌّ بما لاقيتَ مُرتَهَنُ[2]

لا أظن الدكتور إن أعاد النظر في هذه الأبيات ومثيلاتها من شعر ابن هتيمل الذي يتماوج بالصور والظلال فيكوّن في مجموعه سلاسل ذهبية هي في سلاستها ووضوحها ما عبر عنه أسلافنا : بالسهل الممتنع إلا متراجعاً عن هذه الأحكام ولا أظنه إن قرأ قول المؤرخ والناقد الأدبي أحمد محمد الشامي عن شعر ابن هتيمل الذي جاء فيه : (من يقرأ شعر ابن هتيمل بتبصُّرٍ يحكم برسوخ قدمه وتمكنه من صناعة القريض وبرقة مشاعره وسمو بيانه وقوة خياله وغزارة مادته العلمية وسعة اطلاعه ومعارفه التاريخية والجغرافية ، ومع أنه من شعراء القرن السابع الهجري .. فإنك حين تصغى إلى ابن هتيمل لاتظن إلا أنك تستمع إلى شاعر فحل من شعراء القرنين الثالث والرابع الهجريين أوج ازدهار الشعر العربي)[3] أو تطوّع فقرأ قول الناقد الأدبي الكبير الدكتور شوقي

---

(١) المصدر السابق ص ٨٨ — ٨٩ .
(٢) المصدر السابق ص ٩٨ — ٩٩ .
(٣) تاريخ اليمن الفكري ج٤ ص ٤٧ .

ضيف الذي قال عن ابن هتيمل : (وفي الحق أن ابن هتيمل كان شاعرا مجيداً سواء في غزله أو في مدائحه ، ونسيجه اللفظي متين قوي وكلماته تروق السمع بجرسها وحسن انتقائها إذ كان يعرف كيف يصطفي لفظه وكيف يلائم بين كلماته ملاءمات تَلَذُّ الأُذن حين تُصيخ إليها وتلذ اللسان حين ينطق بها وهو بحق ماهر صائغ)[1]. لاأظن الدكتور إن فعل ذلك إلاَّ مُتراجعاً عن تلك الأحكام القاسية.. ولعل السؤال الأخير في مراثي ابن هتيمل هو : هل قرأ الدكتور قول ابن هتيمل الآتي :

أَرُكْبَانَ رسلاتٍ خِفَـافٍ خِفَافُهَا ... طِوالٍ مَثَانِيْهَا دَوامٍ أُنُوفُهَا
بَرَىٰ نُحضَها[2] طُوْلُ السُّرىٰ فكأنَّهَا ... عراجِينُ نَخلٍ مَالَ عنهُنَّ لِيفُهَا
تُواهِقُ هُوْجَ الذَّارياتِ كأنَّما ... زَفِيفُ الرِّئالِ النَّافِرَاتِ زَفِيفُهَا

★ ★ ★ ★

لمن تخِذُونَ اليَعْمَلات ومنْ لَكُمْ ... إذَا الحَرْ جَفُ النَّكْبَاءُ شفَّ شَفِيفُهَا
وقد ذَبلتْ حُمْرُ الشِّفَاهِ منَ الطَّوىٰ ... وعفَّىٰ على المِسْكِ الذكَيِّ خَلُوفُهَا
رويداً أَيَاذَا الرَّكْبُ «قَاسِمُ» قُدْنَهُ ... حُتُوفُ المَنَايَا لابَقيـنَ حتُوفُهَا
مضىٰ، فانزِلُوا من بعدِهِ في منازِل ... ضُيُوفُ القُبورِ الدَّارِساتِ ضُيُوفُهَا
أرى الناس أمثالَ الدَّنَانِيرِ تُنْتَقىٰ ... خُلاصَتُهَا نَقْداً وتُنْفَى زُيُوفُهَا

إلى أن يقول :

أَبَا خَالِدٍ مَاشِيْنَ بَعْدَكَ فلْيَكُنْ ... أمورُ القَضَا مأمُونُهَا ومخُوْفُهَا[3]

فهل يستطيع الناقد الكريم أن يقابل هذا الدر النظيم بمنظومات ابن

---

(١) عصر الدول والإمارات لشوقي ضيف ص ١٥ .

(٢) نحضها : اكتناز لحمها . أي أذهب عنها سِمنَها طول السفر واستمرار السير تشوقاً لديار ممدوحه .

(٣) ديوان ابن هتيمل ص ٩٠ ــ ٩١ .

المقرب في الرثاء كقوله :

فصبرا بني مستور فالدهر هكذا ... وكل عليه للمنايا طلائع
ففيكم بحمد الله حصن ومعقل ... ونور مبين يملأ الأفق ساطع
فتىً لم يزل مذ كان قبل احتلامه ... يدافع عنكم جاهداً ويصانع

فما عاش فالبيت الرفيع عماده ... يطول على الأيام والربع واسع
تعز فكل سالك لسبيله ... وكل امرىء من خشية الموت جازع
ونحن سواء في المصاب وإن نأت ... بنا الدار فالأرحام منا جوامع(١)

لاشك أن القارىء المنصف سيدرك البون بين شعر ابن هتيمل الحيّ وشعر ركيك كهذا حتى لو قدر له أن يعد الفاءات والواوات التي امتلأت بها أبيات ابن المقرب الستة !!

ولقد حاول الدكتور الخضيري أن يستعرض حياة الشاعرين وما بينهما من بعض أوجه الشبه فقال (٢): (وهناك ظاهرة يجتمع فيها الشاعران : وهي المصائب والمحن التي حلت بهما ، ولكننا لانجد في هذه الظاهرة مجالا للمقارنة بينهما لأنها لم تخرج بابن هتيمل عن إطار المراثي .)(٣)ربما كانت المقارنة بين الأحداث التي عاشها الشاعران غير منضبطة وإن تعرض كل منهما لجور الظروف إلا أن لكل منهما خصوصياته ، فابن هتيمل لم يؤخذ منه ماله قسراً!! ولم يطرد من بين أهله، ولم يحاربه أقاربه!! ولم تكن أسرته ذات سلطة وإمارة حرمت الشاعر من القيام بدوره فيها!! وابن هتيمل لم يقاس

---

(١) ابن المقرب حياته وشعره للدكتور الخضيري ص ٢٩١ وانظلاً ص ٢٩٥ من كتاب شعر ابن المقرب العيوني دراسة فنية للدكتور أحمد موسى الخطيب .

(٢) كان الأولى أن يقول : يشترك بدلا من يجتمع .

(٣) ابن المقرب حياته وشعره للخضيري ص ٤٠٧ .

الحرمان، ولوعة النفي!! وإنما كانت أغلب مصائبه من لون آخر، هي أقدار الله في خلقه، حين يختار بعض أحباب الشاعر من أقاربه أو أصدقائه فيصوغ الشاعر أحاسيسه وذوب وجدانه في تلك الروائع ، لذلك كانت مواقف ابن المقرب حنيناً دائماً إلى السلطة التي حرمها حنين يشبه حنين ملهمه في الفكر والشعر ، بل أستاذه أبي الطيب المتنبي الى الإمارة ..

فابن المقرب إذاً مسلوب المال والجاه والسلطة، ومفارق **برغمه** الوطن فلا بد أن يأتي **شعره في هذه** الأغراض حتى وإن كان جُلُّه تقليديّا يحاكي فيه سابقيه من أصحاب هذه الشئون .

ولننتقل الآن إلى تلك المقارنة التي عقدها الدكتور الخضيري بين الشاعرين على أنني سأقدم للدكتور نماذج أخرى مقارنة فليفسح صدره لقراءتها بعد أن نستعرض مقارنته وبعض النماذج التي اختارها لتلك المقارنة .

ونبدأ بأول بيت اختاره لابن هتيمل :

يعاتبكم فما نفع العتاب ويسألكم وليس له جواب

يعلق عليه الدكتور الخضيري قائلا :

« ولكن هذا عتاب يختلف عن عتاب ابن المقرب فهو عتاب مصطنع يوجهه لأحبته كما يفعل في المطالع الغزلية» . ثم يقول :

«أما ابن المقرب فهو البارع في اختيار المطالع الشاكية ليس لأحبته وإنما لبني عمه وعشيرته» ..

ثم يورد قول ابن المقرب :

تجاف عن العتبى فما الذنب واحد وهب لصروف الدهر ما أنت واجد[1]

---

(١) المصدر السابق ص ٤٠٨ .

هذا هو رأي الدكتور الخضيري ، فما رأي القراء ؟ هل هذا الحكم لصالح ابن هتيمل أم لصالح ابن المقرب ؟؟ أما أنا فقد **فهمته على أنه لصالح** ابن هتيمل ، فهي شهادة من الدكتور تؤكد إبداع الشاعر ابن هتيمل وتجديده في المطالع فبدلاً من الوقوف على الديار أوالتشبيب بالخمر جدد في النسيب وحوله إلى عتاب رقيق مع الأحبة ، ومع ذلك فلابد أن نتساءل : ما ذنب ابن هتيمل إذا لم يكن منبوذاً من قومه محاربا من أسرته كما هو شأن ابن المقرب ؟؟[1].

وإذاً فظروف ابن المقرب ، جعلت عتابه قاسياً باكياً شاكياً مستعطفاً وأحياناً ناقماً ، وظروف ابن هتيمل جعلت عتابه صنعة جديدة وجميلة يقدمها باقة فواحة للأحباب !!

وننتقل إلى البيت الثاني الذي اختاره الدكتور الخضيري من شعر ابن هتيمل حيث يقول :

(ويخاطب ابن هتيمل أحد ممدوحيه وقد ملَّ وسئم رجاءه :

مَضَىٰ زمنٌ أُعلِّلُ فيه نَفْسي بِعَلَّ وغيرِها وعَسَىٰ ولَيْتِ

أما ابن المقرب ــ والكلام لازال موصولا للدكتور الخضيري ــ فقد استخدم هذا المعنى لصياغة مطلع أجود من بيت ابن هتيمل .. يقول ابن المقرب :

ألم يأن أن تنسىٰ عسى ولعلما **وتترك ليتاً للمُعَنَّى وربما**

برغم نصبه للحرف (ليت) والحروف كلها مبنية فإنني لن أتدخل في هذة المرة بإصدار حكم ولكنني أترك ذلك للقراء ، وأوجه لهم هذا السؤال :

(١) يعقد الأستاذ عمران العمران فصلا رائعاً أسماه : (الحرمان وأثره في شعر ابن المقرب) يمتد عبر الصفحات ٧١ ــ ٨٥ وهو حرمان من نوع آخر لم يتعرض لمثله ابن هتيمل . انظر كتابه : (ابن المقرب حياته وشعره لعمران العمران) .

أي البيتين الماضيين أسلس ، وأقرب إلى المدارك ؟؟ وخاصة بعد أن ندرك أن ابن هتيمل لم يقتصر على أدوات التمني والرجاء بل شملها وقال : وغيرها مما قد يعتبره أرباب اللغة موحياً بترجٍّ أو تمنٍّ !!

ويختار الدكتور الخضيري لابن هتيمل بيتين اتخذهما ابن هتيمل مطلعاً لإحدى روائعه فيقول الدكتور مقدماً :

(ويتحدث ابن هتيمل عن الهوى ، وكيف يكون شاهداً على صاحبه بادياً عليه فيقول في أسلوب مثقل بالضعف والتكلف :

تخفي الهوى وكفى بجسمك شاهداً وأبيك لا كنت المقر الجاحدا
مضغ القلوب تبيدها نار الجوى عدما ولو كن القلوب جلامدا

وقد سبقه ابن المقرب ــ الكلام لايزال للدكتور الخضيري ــ إلى هذا المعنى بأسلوب أجود حيث يقول[1] :

تخفي الصبابة والألحاظ تبديها وتظهر الزهد بين الناس تمويها
ياعاشقاً تلفت في الحب مهجته كتمانك الحب في الأحشاء يؤذيها

ترى!! هل الضعف والتكلف في بيتي ابن هتيمل الرائعين ؟؟ أم في بيتي ابن المقرب المتهافتين اللذين يذكران بالمنظومات العلمية ؟ !!

وأية جودة يمكن أن ندركها في هذا الحكمة الهزيلة : (كتمانك الحب في الأحشاء يؤذيها) ؟؟ أما إن خُبراء الحب العذري ليرون أن الحب دواء للأسقام لَا تلفٌ لها ومنهم ابن هتيمل الذي يقول في هذا المعنى :

سفه معالجة الطبيب لعاشق جعل السقام من السقام طبيبا[2]

---

(١) ابن المقرب حياته وشعره للدكتور الخضيري ص ٤٠٩ .
(٢) الديوان ص ١٦١ الجزء المطبوع منه .

وليت الدكتور الخضيري قد اختار لابن هتيمل في المعنى السابق قوله أيضا :

كَمْ تَسْتَعِدُّ بصبرٍ مالَهُ مَدَدُ ... وكَمْ تُجمِّدُ دَمْعاً والفراقُ غَدُ
فرِحْ فؤادَكَ واعلَمْ أنهَا نِيَّةٌ ... تُبلي هواكَ وأثوابُ الهوىٰ جُدُدُ[1]
أمَا يسرُّكَ أنْ تُلْفَىٰ وأنْتَ علَىٰ ... إثْرِ الأحبَّةِ لا قلْبٌ ولا كبِدُ

ولقد وهم الدكتور الخضيري أن في بيتي ابن هتيمل اللذين يصور فيهما قوة ممدوحه وبطولة رجاله، وانتصاره على أعدائه إذ يقول :

أَضْحَتْ حصُونُ محاربيكَ بلاقِعاً ... وسَقَيْتَ من عادَاكَ سُماً ناقِعاً
وبَرقْتَ للمُتَمرِّدينَ صواعِقاً ... مَطَرَتْ علىٰ المُتمرِّدِينَ صواقِعاً[2]

وهم الدكتور أن فيهما تكرارا لكلمة : (صواعقا) وكلمة (المتمردين) وليس الأمر كما وهم فلا يوجد تكرار في كلمة (صواعق) وإنما يوجد جناس غير تام – وشعر ابن هتيمل مليء بالمحسنات البديعية التي تأتي عفوا – فالأولىٰ صواعق والثانية صواقع . أما كلمة المتمردين فإنني أشك في تصحيفها .

ولعل الدكتور يتكرم بقراءة القصيدة كاملة قراءة متأنية ثم يبحث لها عن مماثل في شعر ابن المقرب من حيث الجزالة السلسة، لا جزالة القعقعة ومع ذلك فالبيتان أبلغ بكثير من أبيات ابن المقرب التي يقول فيها :

رماحُ الأعادي عن حِماكَ قِصَارُ ... وفي حدِّها عمَّا تَرُومُ عثَارُ[3]
وكلُّ امريءٍ ليستْ لهُ منكَ ذمَّةٌ ... يُضَام على رغمٍ لهُ ويضَارُ

---

(١) الديوان ص ١٤٦ .

(٢) الديوان ص ١٢٥ .

(٣) علي بن المقرب حياته وشعره .

ومـــا عزَّ من أمسىٰ سِواكَ معَـــاذهُ   ولـــو عصمتـــهُ يعـــربٌ ونِـــزَارُ

لأن أبيـات ابـن هتيمـل جعلت ممدوحـه قد دمـر كل شيء على أعدائـه ولم يبـق لهم أثـرا، في حين ظل أعـداء ممدوح ابـن المقـرب قصار الرمـاح فقـط أما هم وديارهـم فلا يزالـون ينعمـون بوافـر السلامـة !! مع ما يشم من مبالغـة تصل إلى مرتبة الشرك الأكبر ؛ فالعياذ بالله لا بسواه ، ولا عاصم إلا الله ...

وكأني بابن هتيمل ، وقد أدرك بثـاقب فكـره وإحساسه الشاعـري ، أن هناك من سيأتي في يوم من الأيـام ليدعـي أن أحـد معاصريـه قد كان يدانيـه في شاعريتـه الثرة وعطائـه المتدفـق، من أجـل ذلك سمعنـاه يخاطب أحـد ممدوحيـه مقدمـا له إحـدىٰ روائعـه التـي يفضلهـا على مدائـح البحتـري وأبي تمام فكيـف بابن المقرب وأمثاله حيث يقول :

خُذْهَـا وإنْ نُسِجتْ علـىٰ منـــوالها   حُلَلٌ ، فَمَا الأسلـوبُ كَالأسلـوبِ[1]
مِمَّـــا يُهجِّـــنُ بالوليـــدِ[2] وربُّمَـــا   عَبَقَتْ فبـــغَّضَ حبُّهَـــا بحبـــيبِ[3]

أجل يا أبا سلطان فليس الأسلـوب كالأسلـوب ولكـن ما الحيلـة ؟ وقـد أريـد منك أن تخضع لمثـل هذه المقارنـات حتـى وإن كانت فرائـــدك بعضا مما تقول عنه :

خُذْ عَروساً يَقِـــلُّ إن جُعِـــلتْ قُـ   ـلُوبُ كُلِّ الـــوَرَىٰ عليهَـــا نِثَـــارَا
صيغَـــةٌ مِنْ مُحقّـــقِ سَبَكَ الـــدُّرْ   رَ فأَهـــدىٰ للشمس منـــهُ سِوارًا[4]

ولكـن شيئـاً من الأحكـام التـي تصدر على بعض شعـرك قد يكـون فيها شيء من القسوة حتى وإن كانت من بدائعك التي تصفها بقولك :

---

(١) الديوان ص ١٦١ من الجزء المطبوع .
(٢) الوليد : أبو عبادة البحتري .
(٣) حبيب : أبو تمام .
(٤) الديوان ص ١٥٤ من الجزء المطبوع :

فالبسْ من الذّهب المُوَشّىٰ خلعْةً للشّعر وشّتْ بالنُّجوم رَصَائعَـــاً[٥]
بِكراً تَرىٰ الكْهَل الحليـمَ تَهَــزُّهُ طَرَبــاً فيرقُصُ والغُـلاَمَ اليافِعَـــا
لوْ وشّعتْ غُرَرُ البـــُرودِ بوشيِهَــا كانتْ لأفْــوَافِ البُــرُود وشَائِعَـــا

وبعد هذه المقارنة التي لم تتحر الإنصاف لا من حيث حسن الاختيار لابن هتيمل ولا من حيث واقعية الأحكام، فالدكتور الخضيري لا يريد إلا أن يجعل شاعره الذي عني بدراسته هو الأفضل، حتـــى ولـــو كان ذلك على حساب شاعرية ابن هتميل المتدفقة وشعره الرائع الجميل .. بعد هذه المقارنة التي أجحفت بمكانة ابن هتيمل يسوق الدكتور الخضيري ستة أحكام يميز فيها شاعره علي ابن هتيمل ويعلم الله أنني لم أجد حكما واحدا منها يتحقق فيه منهج البحث الذي كان الأولى بالدكتور التقيد به ، وسأنـــاقش أولها ، وآخرها فقط، وأترك البقية ـ خشية الإطالة ـ لفرصة قادمة بإذن الله .

يقول الخضيري في الحكم الأول : (ابن المقرب أغزر شعراً، وأوفر أغراضاً ، وأطول نَفَساً) .

وهذا الحكم منقوض بسبب عدم اطلاع الدكتور على شعر ابن هتيمل كاملا لأن محقق الديوان قد اعترف اعترافا صريحاً في مقدمة عمله بأنه التزم في تحقيق الديوان باختياره بعض شعر ابن هتيمل حيث يقول : (وبعد هذه الدراسة الموجزة نقدم ما اخترناه من شعر الشاعر) [٢] ولن أعيد ما قلته في ثنايا هذه الدراسة من أن العقيلي قد حرم محبي الشعر من عطاء أدبي دفاق بحذفه وبتره واختياره، ولكني أؤكد أنه حرم الدكتور من انضباط أحكامه

---

(١) الجزء المطبوع ص ١٢٦ .
(٢) ابن المقرب حياته وشعره للدكتور الخضيري ص ٤١٠ .
(٣) ديوان القاسم بن هتيمل دراسة وتحقيق العقيلي ص٣١ وتوجَّ الطبعة الثانية بعنوان بارز على الغلاف وهو (مختارات)

الأدبية التي جاءت على مختارات من شعره ولم تكن منطبقة على كافة شعره الذي لا يزال رهين المكتبات مخطوطاً .

ويقول الخضيري في سادس أحكامه : (ومطالع ابن هتيمل كلها طللية) وهذا الحكم كما ترى غير مُنضبط أيضاً وغير واقعي فليست مطالع ابن هتيمل (كلها طللية) [1] كما عمم الدكتور ، ولو أراد الانصاف لقال نسيباً حينا ، وحديثا إلى الطبيعة حينا آخر وهو تجديد في المطالع، ومدحا مباشراً أحيانا أخرى .

ولعل من حق القاريء أن نعرض له نماذج مختارة من مطالع قصائد ابن هتيمل حتى يستطيع مشاركتنا في التذوق الأدبي وتكوين الحكم النقدي بعدئذ :

يقول القاسم بن علي بن هتيمل في مطلع إحدى روائعه :

قُلْ يانَسِيمُ لأَهلِ الضَّالِ والسَّمُرِ مَا صدَّ سامِرَكُمْ عن ذلِكَ السَّمَرِ [2]

ويقول في مطلع آخر :

نَعيمُكَ ماأَتَتْكَ بِهِ النُّعَامَىٰ ومَاشَرَحَتْهُ أَنفَاسُ الخُزَامَىٰ [3]

ويقول في مطلع ثالث :

حَياتُك بينَ أَهْلِ الذُّل حَبْسُ وَمَوتُكَ بين أَهْلِ العِزِّ عُرْسُ [4]
وقَدْ بَايَعتَ نفسَكَ فاستقِلْهَا فقيمتُهَا بغيرِ العِزِّ بَخْسُ

(١) ابن المقرب حياته وشعره للدكتور الخضيري ص٤١٠

(٢) العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية للخزرجي ج١ ١٥٨ وهي قصيدة طويلة تزيد عن أربعين بيتاً.

(٣) ديوان ابن هتيمل ص٧٦. والنعامىٰ: الريح الجنوبية

(٤) ديوان ابن هتيمل ص١٧٢.

ويقول في مطلع رابع مخاطباً ممدوحه بغير مقدمات ولا طنين، وليس من شك في أنه مطلع للقصيدة ، لأنني وجدته في الديوان ووجدته في كتاب : العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية ج١ ص ١٩٥ كما وجدته كذلك في صور النسختين الخطيتين **اللتين** عثرت عليهما مؤخرا والمطلع الرابع هو قوله :

بَوَّأْتَ حزبَ الله دَارَ قَرَارِ وأحْلَلتَ حزبَ البَغْيِ دارَ بَوارِ
ووضعْتَ أوزَارَ الذُّنوبِ بِوقْعَةٍ مَاحَرْبُهَا موضُوعَةَ الأوْزَارِ
هيَ (كالفِجَارِ) الصَّعْبِ أو (كحُنَين) أوْ (كالشِّعْبِ) أو(كبُعَاثَ) أوْ(ذي قَارِ)

أو كقوله في مطلع آخر رائع :

أَرَاكَ تَرُوحُ ما ودَّعْتَ (نَجْدَا) وَلَا أَحدثْتَ بالعَلَميـنِ عَهْداً[1]

أوكقوله في مطلع آخر سأكتفي به دون الاستمرار في عرض المطالع الرائعة:

لنْ يُدركَ المَجْدَ مَنْ في جِدِّه الَّلعبُ ولـنْ يَفُوتَ العُلَا مَنْ همهُ الطَلَبُ
وَمَا علىٰ المرءِ أَنْ يَسْعىٰ لحاجَتهِ **أَنَالَ** بُغْيَتَهُ أم نَالَـهُ العطَبُ
والصَّفْوُ أوَّلُهُ في ذاتِهِ كَدَرٌ ورَاحةُ العيشِ ما أَصْفىٰ لهُ التَّعَبُ

وقد يطول بنا الحديث لو تعرضت لبقية الأحكام التي قسَا فيها على ابن هتيمل فأكتفي في هذه المرة بهذا القدر ، لأنتقل إلى إجراء مقارنة بين بعض النماذج التي سأختارها للشاعرين في معان متقاربة تاركاً حق الحكم عليها لذوق القراء آملا أن نجد الحكم المنصف لأجود هذه النماذج أفكاراً ، وأسلسها عبارة ، وأحسنها سبكاً:

(١) الديوان ص٥٦

(٢) الديوان ص٣٩

يقول ابن المقرب في مجال الشكوى من زمانه وقومه :

إلى كم أداري بين قومي وأتقي   وأصْدَي فأُسْقَى الماء صابا وحنظلا
وقلبت هذا الدهر بطنا وظاهرا   فألفيتهم ذئبا وهرا وتتفلا
وما اخترت خلا منهم أتقي به   زماني إلا اشتقت أن أتبدلا

ويقول ابن هتيمل في المعنى نفسه :

أوْفَى بَنِي الزَّمنِ الخَئُون وخيرُهُمْ   من قَاضَكَ المكْرُوْهَ بالمحبُوْبِ[1]
متلوِّنُونَ لهُمْ لِمَنْ صافَاهُمُ   رَوْغُ الثَّعالبِ واختلاسُ الذِّيبِ
عِدَةٌ كرقرَاقِ السَّرابِ كأنَّهَا   مِنْ لهْوِ غَانِيَةٍ ومِنْ عُرْقُوبِ

ويقول أيضاً في المعنى ذاته :

سلْنِي وأَبْنَاءَ الزَّمانِ فإنَّنِي   جرَّبْتُهُمْ فَقتَلْتُهُمْ تَجْرِيَا[2]
فإذَا سَعَتْ حيَّاتُهُمْ فحِذرْتَهَا   دَبَّت عقارِبُهُمْ إليكَ دَبِيَا
وأخوكَ إنْ هُوَ لمْ يَكُنْ لكَ ثَعْلباً   في سُرعةِ الرَّوَغَانِ كانَ الذِّيَا

أفلا ترى أن ابن هتيمل قد أجاد في معناه ومبناه أكثر من صاحبه؟؟!!

ويستعرض ابن المقرب معرفته بالأعلام فيقول :

بك يامحب الدين طالت فاعتلت   شرفا على الخطية الأقلام[3]
أحببت (بشرا) و(الجنيد) و(عامرا)   زهدا وكل إذ يعد إمام
وأقمت (للقرشي) في آرائه   حججا يقصر دونها (النظام)
لو أدرك (الثوري) أعلن قائلا   أنت الغمام ومن سواك جهام

---

(١) الديوان ص ١٥٩ الجزء المطبوع منه . وقاضي:جاءت في أساس البلاغة في باب قضى... تقول تقاضيته ديني انظر ص٣٧٠

(٢) الديوان ص١٦١ الجزء المطبوع منه

(٣) علي بن المقرب حياته وشعره ص١٥٩

كما يستعرض معرفته بالأعلام ويذكر موقفهم فيقول :

إنْ رشْتَنِي (فَزُهيرُ) راشَ جنَاحَـــهُ (هـرمٌ) وريشُ جنَاحِـــهِ مُتَفَاقِـــدُ[1]
و(الخالـدُ بنُ يزيـد) فاضَلَـهُ (أبــو تَمَّـامَ) فاحْتَمَــل المشقَّــةَ (خالــدُ)
و(البحتـري) أنالـه (ابنــا صاعـــد) مالايكفيــــه الحساب فصاعــــدُ
و(عِمَـــارَةَ الحَدَقِـــيُّ) قَامَ بحِالِـــهِ في مصرَ مِنْ ولـدِ الحسينِ (العَـاضِدُ)
وأفـادَ (فَـــاضِلُ) من سماح (فُلَيْتَـــةٍ) أبــداً فوائِـــدَ بعدَهُـــنَّ فَوائِـــدُ
ولقـدْ سمعتَ (بـــراشِدِ بنِ مظفَّـــرٍ) ما كَانَ يصنَعُ (لابـنِ حميَرَ) (رَاشِدُ)

ومع أن ابن هتيمـل لم يذكـر أسماء الاعـلام فقـط بل شرح مواقفهـم مع معـاصريهم بإيماءات شعريـة دون الدخـول في التفاصيـل، كما هي وظيفـة الشعـر مع ذلك فعدد أعلامه اثنا عشر علمـا في حين نرى أن أعـلام ابـن المقـرب ستـة فقـط .. ولربما احتج الدكتور أن عدد أبيـات ابـن المقـرب أربعـة في حين كانت أبيات ابن هتيمل ستة !!

للدكتور الخضيري حق الاعتراض من ناحية عدد الأبيـات ولكـن ما هي حجته وقد ذكر ابن هتيمل ثمانية أعلام في ثلاثة أبيات فقط هي قوله :

طُلْتُمَـا يا(سِرَاجُ) في المُـلكِ والفَتْـــ ـــكَـة عبـد الملـــيك والحجاجـــا[2]
ورأيَنَـــا (أَبَاحنيفـــةَ) في الحُجْـــــ ـــجَـة والديـن والخليـــل احتجاجـــا
قدمـاً ما نَرَىٰ (الجَنُيـد) ولا (الشبْـــ ـــلي) راق له ولا الحلاجــــــــــــا

(١) الديـوان ص١٦٩ الجزء المطبـوع منـه . ومـن أراد توضيـح الأعـلام فليرجـع الى الصفحـات التـي أشرنـا الى أخـــذ الـــنصوص عنها ففيها بعض التعريــــف بهؤلاء الأعلام.. وهي أعلام معروفة لأكثرية القراء

(٢) الديوان ص١٠٩ وعبـد الملك بن مروان .. والحجـاج بن يوسف .. والإمـام أبو حنيفـة في الفقـه .. وإمـام اللغـة الخليـل بن أحمد الفراهيـدي معروفـون لكـل شداة الفكر والأدب وكذلك أئمة التصوف : الجنيـد والشبلي والحلاج .. فلسنـا بحاجـة الى تعريفهم فهم معروفون

ولن نستغرب اهتمام الشاعرين بذكر أعلام التصوف والزهد كالجنيد والشبلي والحلاج الذين ذكرهم الشاعران — كما رأينا — والشبلي وبشر بن الحارث والحلاج لن نستغرب ذكرهم إذا ما عرفنا أن القرن السابع هو العصر الذهبي للتصوف في سائر أقطار العالم الإسلامي آنذاك ..

وإذا كنت قد عرضت في الأسطر السابقة نماذج من مطالع قصائد ابن هتيمل التي اتهم فيها من البعض بالتزام المقدمات الطللية تؤكد أن ذلك الحكم غير واقعي ، إذا كنت قد عرضت بعض المطالع فلنستعرض الآن بعض خواتيم القصائد عند الشاعرين تاركين للقارىء المتذوق الحكم بإنصاف ، يقول ابن هتيمل في خاتمة إحدى قصائده مخاطباً ممدوحه :

لاتجزَعَنَّ لكون قومِكَ أصبحُوا ... فئتَيْن بينَ أُصادِقٍ وأعَادِي(1)

واصبرْ فمرجعُهُمْ إليكَ وإنَّمَا ... تَجْرِيْ الشِّعَابُ إلىٰ مسيلِ الوَادِي

ويقول في خاتمة أخرى :

ياأَبَا القاسمَ الذي أَقْسَمَ الفضـ ... ـلُ بتلك الآباء (2) والأجداد

إن سَبَقْتَ الوَرَىٰ فقَدْ قِيلَ في الأَعْـ ... ـرَافِ يَوم الرِّهانِ تجْري الجيادُ

ويقول في خاتمة ثالثة مخاطباً أحد ممدوحيه :

جَاهِدْ برّبك أَوْ جَاهِدَ بسَيفِكَ أو ... جَاهِدْ ببَالِغ إخْوَانٍ وأَوْلَادِ(3)

والْقَ المِئِينَ بأعْشَارٍ ولاحَرَجٌ ... قَدْ يَهْزِمُ النَّصرُ آلافاً بآحَادِ

ويقول في خاتمة رابعة :

---

(1) الديوان ص٥٥

(2) الديوان ص١٥٠

(3) الديوان ص١٥٢

جُعِـلْتُ فِدَاكَ أَنْ فَخَّـمْتَ قَدْري   عَلىٰ أهلِ الرِّيَاسةِ والفَخَامَـةْ[1]
فَقَـدْ وَلَّـىٰ النَّبِـيُّ عَلـىٰ قُرَيشٍ   وأَمَّـرَ دُونَ سَادَتِهِـمْ (أُسَامَـةْ)

ولعلنا لاحظنا في هذا النوع من خواتيمه أنه تعمد أن يختم روائعه بحكمة صائبة أو مثل سائر ولا أشك ــ بل إني أكاد أجزم بعدم اهتمام ابن المقرب بشيء من هذا فلم يهتم بهذا اللون كاهتمام ابن هتيمل ..

وهناك نوع آخر يتحدث فيه ابن هتيمل عن جمال قصائده وروعة فنه ويُدِلّ بذلك على ممدوحه معتزاً ، ولعل هذا النوع يحتل كثيراً من خواتيم قصائده .

يقول في خاتمة إحدى بدائعه مخاطبا ممدوحه باعتزاز :

فالبَسْ من السِّحرِ المَجلَّلِ وشْيَهُ   بُرْداً يُجَدِّدُهُ الزمانُ قَشِيبَا[2]
تَفْنَى أساليبُ الرواةِ ومَارَوَوْا   للشِّعرِ في أسلُوبِها أسْلُوبَا

ويقول في خاتمة مشابهة :

أتاكَ وإنْ كُنتَ الغنيَّ عنِ الَّذي   يَجِيئُكَ تَفْويفُ الصَّنَاعِ المُمَجَّدِ[3]
مِنَ اللاَّءِ مَاغنَّىٰ (الوليدُ) (ابْنَ بُلْبُلٍ)   بِهنَّ ولمْ يُخْلَعْ علىٰ (ابنِ المدَبِّرِ)
خَوالِدُ يُفْني عُمْرَ لُقْمَانَ عُمْرُهَا   وَلقْمَانُ أفْنَىٰ عُمْرُهُ سَبْعَ أنسُرِ

ويقول في خاتمة أخرى :

قد زَفَفْنَا إلَيكَ بِكْراً فأحِسنْ   حالَهَا في الطَّلاقِ أو في السَّراحِ[4]

أما الخواتيم التقليدية التي تتهافت خواتيم قصائد ابن المقرب فيها حتى

(١) الديوان ص١٥٧ ومعروف أسامة بن زيد رضي الله عنه
(٢) الديوان ص١٦٢
(٣) الديوان ص١١٩ـالجزء المطبوع.
(٤) الديوان ص١١٥ الجزء المطبوع.

يرفع الشاعر يديه الضارعتين بالدعاء للممدوح، فإننا نجد ابن هتيمل يختار من هذا النوع أفضله بل تجده يجعلك لا تحس بذلك الدعاء إلا في ثنايا همسه الشعريّ كقوله في إحدى خواتيمه :

فَلْيهنني بقدومِكَ الظَّفرُ الَّذِي ... فيهِ اللقَا بيني وبينك مَوْعِدُ[1]
أُثْنِي وأَحْمَدُ بالَّذي لا يَهْتَدي ... لَسِنٌ إليهِ ورُبَّمَا لا يحْمَدُ

ويقول في خاتمة أخرى مماثلة :

فلا عدِمَتْ سَرايَاكَ اللَّواتِي ... يُفَاجِئْنَ العِدَا إذْ لامَعَاجَا[2]
فداؤُكَ كُلُّ محلولِ الأواخِي ... يَودُّ بأَنْ يُمادَحَ أَوْ يُهاجَى

ولاشك بأن أي قاريء لشعرهما لا يستطيع أن يقارن بين هذا النوع الأخير من الخواتيم وخواتيم ابن المقرب الدعائية التي يقول في إحداها متكلفا بل خطيبا :

فالله يسعده ويمتع خلقه ... بدوام دولته وطول بقائه[3]

وكقوله في خاتمة أخرى متهافتة :

وأراك المهيمن ابنك قد صا ... رَ لأبناء نسله أبناء[4]

---

(١) الديوان ص١١٦ الجزء المطبوع.
(٢) الديوان ص١٤١ الجزء المطبوع.
(٣) علي بن المقرب حياته وشعره للخضيري ص٥٣٤.
(٤) أو قوله في خاتمة أخرى :

تعز فكل سالك لسبيله ... وكل امريء من خشية الموت جازع
ونحن سواء في المصاب وإن نأت ... بنا الدار فالأرحام منا جوامع
ولاشك منا في التأسي وإنما ... نعزيك إذ جاءت بذاك الشرائع

انظر ص ١٢٣ من كتاب ابن مقرب حياته وشعره لعمران محمد العمران .

وبعد : فهل يراجع الدكتور أحكامه التي ألقاها دون إحاطة بشعر شاعر عملاق دوّى صيته في الآفاق وتمثل بشعره شعراء القرن الثامن والتاسع والثالث عشر وضمنوا شعره بعض قريضهم ؟؟ لاأشك في أن الدكتور الخضيري فاعل ذلك إن عاد إلى أصل الديوان ونهل من معينه الدفاق !! وإن هو راجع ماكتبه بعض نقاد الأدب عن شعر ابن هتيمل من أمثال الدكتور شوقي ضيف :(ونسيجه اللفظي متين قوي، وكلماته تروق للسمع بجرسها وبحسن انتقائها....) إلى أن قال (وهو بحق صائغ ماهر)[1] وأحسب أنني من خلال مناقشتي للدكتور الخضيري قد أوضحت أين يقف ابن هتيمل الشاعر ... من شعراء عصره في العراق.. والشام.. والأحساء.. واليمن.. وكيف استطاع شعره رغم بعده عن الأضواء أن يتجاوز حدود المكان ويعذب في سمع الزمان على مدى الحقب التى تفصلنا عن عصره..

---

(١) تأريخ الأدب العربي ــ عصر الدول والإمارات ــ للدكتور شوقي ضيف ص ١١٥ .

الباب الرابع

بَيْنَ يَدَيْ قَصَائِدَ لَمْ تُنْشَرْ

مِنْ شِعْرِ ابْنِ هُتَيْمِلٍ

١ ــ قال ابن هتيمل يمدح المظفر الرسولي

أتنْسَىٰ ومــن أنسيتَــهُ لكَ ذاكــرُ | وتَرقُدُ عمَّــنْ طرفُــه لكَ ساهــرُ
وتحرصُ في صَرْمي(١) إلىٰ غير غَاية | أمــالَكَ من ناهٍ أَمَــالَكَ زاجــرُ؟
خِف اللَّــهَ في قتلي فمالَــــي قوةٌ | تَردُّكَ عن قتلي ولَا لِيَ ناصرُ
أما تكْتفي من فضلتــي بصبَابَــةٍ | تراوحُها(٢) أعلَالُهــا(٣) وتُبَاكــرُ(٤)
أأجْحَدُ دآء الحب بعــد دلالــةٍ | مُخَامــرة والحبُّ دآءٌ مخامِــرُ
وَلَا وأَبي(٥)إنَّ الجسومَ صحائــفٌ | يُغبُّــونَ عنها ماتُسِرُّ الضمائــرُ
فكم باطن لم تشهــد الــعين سره | دَنَا دُونَهُ في الجَهْر ماهوَ ظاهــرُ
وما ألسنٌ مَافُهْنَ يوماً فترجَمَتْ(٦) | حَواجبُ عن حاجَاتِهــا ونَواظــرُ
سل الريحَ إن هبَّت جنوُباً أحاجرٌ | على العَهْدِ؟ أَمْ أَقْوَىٰ(٧) وأَقْفَر حَاجِرُ(٨)

---

(١) صرمى : هجري وقطيعتي . أساس البلاغة ص ٢٥٣ وفي لسان العرب ج٥ ص ٢٢٧ الصرم : القطع. والصرم : اسم للقطيعة .

(٢) تُرَاوِحُهَا : الرواح نقيض الصباح وهو اسم لوقت العشيّ. لسان العرب ج٣ ص ٢٩١ وفي نسخة (ج) «يراوحها» بالياء وليس بالتاء .

(٣) أعْلَالُها: بقية من صبابتها . قال الزمخشري : بقية كل شيء علالتــه ص ٣١٢ أساس البلاغة في نسخة (ج) «أغلالها» بالغين .

(٤) تباكر : الإبكار : اسم البكرة كالإصباح ــ باكره : أتاه بكرة . اللسان ج٢ ص ١٤٢ .

(٥) هذا قسم بغير الله كان الأجدر بالشاعر وهو العلاّمة أن ينزه عنه شعره ..

(٦) في نسخة (م) جاء الشطر ناقصاً هكذا : «وما ألسن يوماً فترجمت» .

(٧) أقْوىٰ : أقوت الدار : خلَت ــ القاموس المحيط ج٤. ص ٣٨١ .

(٨) حاجر : اسم موضع على طريق مكة . أساس البلاغة ص ٧٤ .
وقال صاحب القاموس : الحاجر : الأرض المرتفعة ووسطها منخفض وحاجر .. والعقيق .. ورامة .. أسماء مواضع يكثر التشبيب بساكنيها في الشعر القديم .

وهل سمراتُ الجِزع جزع مَتَاعَة	به من عذارىٰ الحيّ بعدي سامرُ
فقد طال من بعد النَّوىٰ ما التقتْ به	أسودٌ على حُكْم الهوىٰ وجَآذِرُ[1]
ترى الدِّرْع[2] (تَعْنو)[3] للغُلَالَةِ خِيفةً[4]	وتأسِرُ عاديًّ[5] البُريك المعاجرُ[6]
إذا (ما تبدا)[7] البيض كانت خناجراً	نَكَصْنَ على أعقابِهِنَّ الخناجرُ
أمِنْ قِسْمةٍ ضِيْزَا[8] فَذوالْجَدّ صاعدٌ	بلا سَبَبٍ مُغْلٍ وذُو الْجِدِّ[9] عَاثِرُ

(١) جآذر : جمع جؤذر . وهو : ولد البقرة الوحشية . القاموس المحيط ج١ ص ٣٨٧ .

(٢) الدرع : اللباس الحديدي الذي يَدّرع به المحارب . لسان العرب ج٩ ص ٤٣٥ .

(٣) في نسخة : (ج) «يعنو» بالياء وليس بالتاء .

(٤) الغلالة : مسامير الدروع التي تجمع رؤوس الحلق لأنها تُغَلُّ فيها .. لسان العرب ج١٤ ص ١٥ . وهذا أقرب معاني الغلالة إلى سياق الفاظ النص الشعري .

(٥) عادي البريك : البريك : الفرس المجتهد في عدوه .. كما في اساس البلاغة ص ٢١ .

(٦) المعاجر : جمع مفرده : معجرة؛ وهو: ثوب تلفه المرأة على استدارة رأسها . لسان العرب ج٦ ص ٢١٨ .

وبهذا يصبح معنى البيتين : (فقد طال من بعد النوى .....) وما بعده : يصبح معناهما: لا غرابة في حكم الهوى وشرع أهل الغرام أن تتحكم عيون المها والجآذر في قلوب الأسود وعلل ذلك بأننا نشاهد الغلالة التي تجمع رؤوس الحلق تتحكم في مصائر الدروع رغم بأس الدروع وشدتها . كما نرى النساء ذوات المعاجر الملتفة على رؤسهن وقد ملكن قلوب الفرسان من ممتطي الخيول المجتهدة في عدوها وسيرها الحثيث .

(٧) في نسخة (ج) : «ماندي» وليست «تبدأ كما في نسخة (م) كما هو مرسوم بالمتن ولعل ما في نسخة (ج) أقرب للمعنى المراد .

(٨) قال صاحب القاموس المحيط : ضاز : جار ج٢ ص ٢٨١ وقال الزمخشري في الأساس قسمة ضيزا : ظالمة جائرة انظر ص ٢٧٣ .

(٩) ذو الجد : صاحب الحظ أو البخت القاموس المحيط ج١ ط ٢٨١ وذو الجِدِّ

(وأوهـنَ)(١٠) حتىٰ خِلْتُ أنّيَ واردٌ … مَواردَ هُلْكٍ ماهنَّ مَصادِرُ
هو الحظُّ والمقــدارُ يحرمُ مسلــمٌ … بُلَهْنِيَــةَ(١) الدنيــا ويــرزقُ كافــرُ
ومـن عجب الأيَّــامِ إدْراكُ عاجــزٍ … مطــالبَ لم يقــدْر عليــنَّ قَادرُ
وكم طُعْمَــةٍ مَانالَهَــا مُتطــاوِلٌ … يَمــدُّ يديــهِ نَالَهَــا المُتَقَــاصِرُ
عسىٰ باحتـلاف الأجْرِ تحصُلُ راحةٌ … فَقـدْ ينفـع الانسانَ ماهــو ضائِــرُ
إلى الملك الحفنــيّ راحت كأنَّهــا … سفائــنُ في لج السراب مَواخِــرُ
قِلاصٌ(٢) أبوهـنَّ الجديلُ(٣) وشدقمٌ … وأخوالُهَــا منها غزيــر(٤) وذاعــرُ
إذا (قد عدت)(٥) منها الأزمَّةُ كُلِّلَتْ … من الزبـد المَـحْضِ البُـراد المناخــر
فجاءت بنـا الشمس التي لم يَدُرْبها … من العجزِ أفْلاكُ الملـوك الدوائـرُ(٦)
إلىٰ واهب الدنيَــا سماحــاً وعفَّــةً … وفضلاً ومااَلْهَــاهُ عنها التكاثــرُ(٧)
هنيئــاً لنــــفسي أن يُوسفَ مَوْئلي … وأنّـي بألطَــاف المظَفّــر ظَافــرُ(٨)

في الشطر الثاني : المجتهد في الأمر .

(١) في نسخة : (ج) : «بأوهن» .

(٢) بلهنية : قال صاحب القاموس : بلُهنية : بضم البـاء : الرخـاء وسعـة العيش ج٤ ص٢٨١ وقال الزمخشري في **أساس** البلاغة : البلهنية: العيشة الرضية ص ٣٠ .

(٣) قلاص : القلـوص من الأبـل الشّابـة أو الناقـة الطويلـة القـوائم. القامـوس ج٢ ص٣١٤ .

(٤) الجديل وشدقـم : فحـلان من الإبـل كانـا للنعمـان بن المنــذر . الـلسان ج١٣ ص١١٢ والشاعـر يمتدح نياقـه التـي حملتـه إلى ممدوحـه فيصفهـا بطـول القــوائم وبأصالتها لانتسابها إلى جديل وشدقم .

(٥) غزير وذاعـر : فحـلان منجبـان من الإبـل ج٥ ص٣٧٢ لسان العـرب . القامـوس ج٢ ص٢٩ .

(٦) في نسخة (م) : «قذعت» .

(٧) هذا بيت غير واضح في صورة النسخة الخطية (م) .

(٨) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ألهاكم التكاثر﴾ .

(٩) هذا البيت غير موجود في نسخة (م) .

مَلِـــيكٌ وحـــقّ اللهِ ماشادَ مجدَهُ — تبابِــعُ أحيَــا حمْيــرٍ والأَكَـــاسِرُ
وأغــلبُ إنْ خاتَلْتَـــهُ بِمَكيـــدةٍ — أتـاكَ وَحــيٌّ الموت وهــو مجاهــرُ
يُطبـق (ضربـاً)[٩] والسيـقف شواهـدٌ — ويُنفِــذُ طعنــاً والرمــاحُ سوافــرُ
إذا ارتعشَتْ أيْدِي الكُمَاة وما اهتدتْ — لِفَـوقٍ وغَصَّتْ بالقلوب الحَنَاجِــرُ
وإن ورد الصِّيـدُ الـردَىٰ فَهْــوَ أوَّلٌ — وإن صَدَرُوا عن معْـرَكٍ فَهْـوَ آخِـرُ
ينافِسُ فيه (المسجدُ القصرَ)[١] غَيْرةً — عليــهِ كما غَارَتْ عليــه الضَّرائــرُ
ويَـحُسدُ بعضُ الشيء بعضاً لأجلــه — وتَــحْسَد عيــدانَ السروج المنابــرُ
إذا قال فاعلـمْ أنَّ سحبـانَ[٢] باقـلٌ[٣] — وإنْ جَادَ فاقْطَـعْ أن حاتــمَ مادِرُ[٤]
أُمولَىٰ الـورَىٰ لا واحـدٌ دون واحـدٍ — ومـن عَبْــدهُ في الخلــق ناهٍ وآمــرُ
تركـتَ حصونَ المسرفين كأنَّهـــــا — مصابيـحُ في أفـق السمـــاء زواهِــرُ
يُنَاغــي براشاً كوكبـــانُ ومسورٌ — ويشفَـعُ وتــرَ الجاهلــيّ منابـــر[٥]

---

(١) في نسخة (ج) : «أرضاً» .
(٢) في نسخة (ج) تقديم وتأخير هاتين الكلمتين ولعله خطأ .
(٣) سحبـان : أحـد فصحـاء وبلغـاء العـرب المشاهير يضرب به المثــل في الفصاحـــة والبلاغة. فيقال : «أبلغ من سحبان وائل» .
(٤) باقل : رجل مشهور بالعي والحصر يقال : أعْيَى من باقل .
(٥) مادر : رجل اشتهر بالبخل حتى ضرب به المثل كاشتهار حاتم الطائي بالكرم .
(٦) براش حصن بصنعاء ـــ انظر ص ٤٧ ج١ من العقـود اللؤلؤيـة. وهنـــاك براش صعـدة أيضاً انظر ص١٧٠ ج١ من المصدر نفسه. ومسور ـــ وكوكبـان ...الخ) أسماء حصون ومعاقل لخصوم ممدوح الشاعر .
يذكر بأن ممدوحه قد حطمها على رؤوس اعدائه .. لشجاته واقدامه .

ومازِلتَ حتَّىٰ أهطَعَتْ لك صَعْدةٌ[1] وأذعَنَ دمَّاج[2] وذَلَّ الحناجرُ
ولو لم يَدِنْ أهلُ الحجاز ويرهَبُوا لظل عليهِمْ مِنْك (يوماً) قُماطِرُ[3]
لَكَ الخيرُ إنِّي خائفٌ لك آمِنٌ عليَّ وقلبي لايمٌ لك عاذِرُ[4]
وغيرُ عظيمٍ أن غفرت صغيرةً فقد غُفِرَتْ للمذنبينَ الكبائرُ
تَكَنَّفَنِي أهلُ الزمان فحاسدٌ، وقالٍ، وساعٍ بي إليك وبايرُ[5]
بُلِيْتُ بهمَ بَلْوَاء مَا أنَا مُبْتلىً بأعظَمَ منها يوم تُبلَىٰ السَّرائرُ
وما قولُهُمْ لي يَاابْنَ ألْأمِ والدٍ بأنْقَصَ لي من قولهم أنتَ شاعرُ

---

(١) صعدة ــ مدينة مشهورة بجبال اليمن منذ عهد الشاعر في القرن السابع بل ربما كانت شهرتها أسبق من ذلك ولازالت حتى هذا العصر تعد من مدن اليمن الشهيرة .. وكانت معقلاً لأئمة الزيدية في اليمن .
ومعنى أهطَعَتْ : خضَعَت وذلت ونكس أهلها رؤوسهم ورد في التنزيل : **(مهطعين مقنعي رؤوسهم) لسان العرب ، ١٠ ص ٢٥١ .**

(٢) دماج : أحد حصون اعداء الممدوح .

(٣) قماطر : جمع قمطريرا: الوارد في القرآن الكريم وصفاً للمفرد؛ وفي نسخة (م) جاءت كلمة (يوماً) بدون ألف (يوم) وهو خطأ .
«يوماً عبوساً قمطريراً» ومعناها بالافراد أو الجمع تقطيب الوجه وعبوسه وإسنادها إلى اليوم لوصف شدته وقوته انظر لسان العرب ج٦ ص٤٢٩ وأساس البلاغة ص٥٥٧ .

(٤) في هذا البيت تبدو قدرة الشاعر على التلاعب بالألفاظ فأنت تراه قد حشد فيه ألواناً من المقابلات التي يحفل بها شعره كبقية المحسنات البديعية .

(٥) باير : الرجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه انظر القاموس المحيط ج١ ص٣٧٧ .

٢ ـ وقال يمدح أبا خالد : قاسم بن علي الذروي وقد أهداه مهراً

أعـــــــــاذ لَهُ ما آنَ أنَّكَ عاذرُه وخاذِلَـه هلْ أنتَ بالدمـــع نَاصِرُهْ
دعِ اللَّوْمَ عن صدر حُرقْنَ ضُلُوعُهُ غَراماً وعـن جفـنٍ قُرِحْـنَ مَحَاجِرُهْ
فَو الله ماقـــلبُ المحبِّ قوِّيــــةٌ قُواهُ ولا مُسْتَــحْصِدَاتٌ مَرائـــرُهْ
ومـالك فيمَــنْ ليس قَلْـبَكُ قلبُــهُ يُخامِــرُهُ من دَآئـهِ مَا يُخَامِـــرُهْ
أصبْرٌ وقـد أقْـوىٰ وأقْفَـرَ خِيفَـةً مُحجَّـرُهِ ممَّــنْ أحبَّ وحاجــرُهْ
وَخَـفَّ من الربع الـذي عَبِـثَتْ به صُرُوْفُ النَّـوىٰ غزلانُـهُ وجـآذرُهْ[1]
وقـد كان أدهـىٰ ما يُحاذِرُهُ النَّوىٰ فكـانت فقـلْ لي أيُّ شيءٍ يُحَـاذِرُهْ
وفي الحيِّ ممنـوعُ[2] الستائرِ أنْ يُرىٰ يُحَـرِّكُ من مرِّ النَّسيـمِ ستايُـرُهْ
أغنُّ يفيض العطفُ والردفُ إنْ رختْ غَلائلُـــهُ ضَاقَتْ عليـــه مآزرُهْ
أُجيْعَ وشَاحَاهُ نُحُـوْلاً وأُشبِـعَتْ خَلاخِيْلُـهُ من نعمـــةٍ وأساوره[3]
أُمْتِلِـفَ نَفْسي بالصَّبَابَـةِ خلّهـــا تُساورُ من أغـــــلالها ماتساوِرُهْ
وكلْنِي إلىٰ وجدٍ سرىٰ في حشَاشَتي أوآئلــه مسمومـــةٌ وأوآخـــرُهْ
فمـن لي بقــلبٍ لا يَمُــنُّ مَليكُـهُ عليـــه ويستحييـــه في الأَسْرِ آسِرُهْ
إذا الغيثُ أرخىٰ مُرجَحِـنَّ سحابةٍ[4] على بلــد أو أَمْطَرتْـهُ مواطِـــرُهْ

---

(١) جآذر : جمع جؤذر وهو ولد البقرة الوحشية .

(٢) ممنوع الستائر : كناية لطيفة عن امتنـاع وحصانـة حمىٰ محبوبته التي تضيق حتى بمر النسيم .

(٣) كأن ابن هتيمل في هذا البيت يشير إلى قول الشاعر :

أبت الــروادف والثــدي لقمصهــا مسّ البطــون وأن تمس ظهــوراً

(٤) مرجحن السحاب : يقال هذه رحى مستديرة للسحابة الثقيلة! انظر أساس البلاغة ص ٢٢١ .

فراحَتْ علىٰ أيك الحُسَيْني[1] أو سَرَتْ رَوايحُـهُ أو باكرتْهَـا بواكِـرُهْ

فتىً زَعْـزَع الأرضَ الوقـورَ وأُنفِـذَتْ نواهيـه في أقطارِهـا[2] وأوامـرُهْ

وجَاهَـدَ حتـىٰ أوضحَ الحقَّ سيفُـهُ وأرشدَ (عَاديـهِ)[3] وأسلَـمَ كافِـرُهْ

يَخِـرُّ له الجبـارُ ذو التـاج ساجـداً وغيـرُ عظيمٍ أن تَخـرَّ جَبابـرُهْ

أماط ملوكَ الدَّولتين (فَطَحْطَحَتْ)[4] مفاخرَ أهـلِ الدولـتين مفاخـرُهْ

ولو رَامَ مُلكَ الرُّوم والفـرس قصَّرَت قيـاصُرهُ عن ملكـهِ، وأكاسره

ولـو أنـه ألقـىٰ مخافـة بأسِهِ على الفـلك الـدوَّارِ مادارَ دائـرُهْ

خِضمٌّ نِزَالٍ ماتـغبُّ هباتُـهُ وهَضْبُ أنـاةٍ ماتُخَـافُ بوادرُهْ

وضَيغـمُ حرب[5] ماتَـزالُ خَضيَبـةً ومُحْمَـرَّةً أنْيَابُـهُ وأظَافِـرُهْ

سَوَاءٌ عليـه السرُّ والجهـرُ دَرْيُـهُ وباطـنُ خافي المشكـلاتِ وظاهـرُهْ

أطـلَّ علىٰ ما في القلـوب وحَصَّلَتْ ضَمائـرَ ما تخفـي الصدورُ ضمائـرُهْ

فكـلُّ امـريءٍ تُبلـىٰ وتُعْلـمَ عنـده سرائـرُهُ من قبـل تُبلـىٰ سرائـرُهْ[6]

---

(١) الحسينى : بلـدة ممدوحـه القـاسم بن علي الـذروي ولازالت معروفـة بهذا الاسم وتقع شرق مدينة صبيا بما لا يزيد عن الميلين أو الثلاثة .

(٢) أقطارها : نواحيها، انظر أساس البلاغة ص ٢٢١ .

(٣) في نسخة (ج) : «غَاوِيْهِ» .

(٤) في نسخة (ج) : «وطَحْطَحَتْ» .

(٥) ضيغـم: اسم من اسماء الأسد . واسنـده إلى الحرب واتى بأوصاف وكنايـات تؤكد شجاعة ممدوحه وبأسه إلا أنه بالغ كثيراً ـ كعادة الشعراء في وصف بأس ممدوحيهم حيث ادعـى مبالغـا أن بأسه قد يتسبب في توقـف دوران الفـلك الدوار .. وهذه مبالغة غير مستساغة!! .

(٦) في هذا البيت وما قبله مبالغات لاشك أنها غير مستساغة .. فالله وحـده هو الـذي علم ويعلم سبحانه ما تكن الضمائر وهو الذي يبلـو السرائـر لا ممدوح الشاعـر .. ولكنها عادة الشعراء في التهويل والمبالغات .

فدعْ عنكَ كحلاناً وخَلِّ منابراً ... فكحلانُهُ سُمْرُ القنا ومنابرُهْ

أبا خالدٍ أسرفْتَ في الجود باللهى ... وأمْعَنْتَ حتى إنَّ حاتمَ مادِرُهْ

فهلْ لك في شَخْتِ[1] الجُزارة مُضْمرٍ[2] ... رُواءٌ أعاليه[3] ظِماءٌ حَوافِرُهْ[4]

أقَبُّ[5] كسرحان الغَضَا متمطِّرٌ ... سليمُ الشَّظَى[6] والأوْبِ[7] شعرٍ أشاعِرُهْ

لهُ غُرَّةٌ سَالتْ فطَالتْ فَسلَّمَتْ ... جحافلَه من سَيْلِهَا ومَنَاخِرُهْ

يُصَرِّفُ فيه الفارسُ الليثَ زَعزعاً ... ويَعصِرُ من أطرافه (الصدر)[8] عاصِرُهْ

هَدِّيةُ ماضي العزمِ فَوَّض أمرَهُ ... إليك وصارتْهُ إليكِ مصايرُهْ

هنيئاً لِهَذَا الدهرِ أنَّكَ شَمْسُهُ ... وعصمةُ أهليه وأنِّيَ شاعرُهْ

---

(١) شخت الجزارة: يصف الفرس المهدى له بأنه: شخت لجزارة أي دقيق القوائم من أصل الخلقة لا هزالا. انظر اللسان ج٢ ص ٣٥٥.

(٢) مضمر: مظمأ.

(٣) رواء أعاليه: شديد بنية الأعالي.

(٤) ظماء حوافره: كناية عن دقتها وقلة اللحم حولها.

(٥) أقب: ضامر البطن والخصر.

(٦) سليم الشظى: شظى الفرس: دوَّى شظاه. يقال فرس سليم الشظى: أي عظيمٌ لازق بالوظيف. انظر أساس البلاغة ص ٣٣٠.

(٧) الأوْب: القوائم. ويطلق على ترجيع الأيدي والقوائم أثناء ركض الفرس انظر اللسان ج١ ص ٢١٤.

(٨) في نسخة (ج): «السدر».

٣ ــ وقال يمدح الأمير أحمد بن علي العقيلي الحرامي صاحب حلي

أنهَاك مافعَــلَ الهَــوىٰ أنهَاكَــا؟ زَجَــرَتْ أوامِــرُه الــذي ينهاكَــا
فَغَدَا (رِفــاقُكَ)(١) بين باكٍ ضاحكٍ ممَّــا فعــلتَ وضاحكٍ يتباكــىٰ
طلبــوا فِكَاكــاً من يَديْ مُتَباعــدٍ هيهات أَعْــوَزَ ما بَغَــوْهُ فِكَاكَــا
دُمْ مااستطعتَ علىٰ التمسُّكِ بالهوىٰ إيَّــاكَ مَاأَمَــرُوا به إيَّاكَــا
سُقْــمٌ بِطَــرفِكَ لو يُعالِــجُ دَاءَهُ خَدَّاكَ أو شَفَتَــاكَ ما شَفَتَاكَــا
أَخَذَ الهوىٰ درجاً إلىٰ ما يُجتنَــىٰ منــه المسرةُ والنــوىٰ إدراكَــا
جُعِلَ البَشَامُ فِدَا الأَرَاك فَمَا الذي ضَرَّ البشَامةَ أن تكــونَ أرَاكَــا(٢)
أُخفي الحبايلَ والشباكَ لعَوْهَــجٍ(٣) جَعَلَ (الجمالَ)(٤) حبائلاً وشِبَاكَا
ذاكَ الفريــقُ أُراكَ ما حدَّثْتِنِــي عمَّــا تَجــدَّدَ منــه ياذيَّاكَــا
وَالنَّازِلِين أَهُمْ على عَهْدِي علىٰ الدَّ دَكداكِ أَمْ قَدْ فَارقُوا الدّكدَاكَا؟(٥)
أُمْطَــار حي طَرَف السلام مَخافــةً أَطلِــقْ لسانَكَ بالسلام فِكَاكَــا
اللّـــهَ في كبــدٍ بحبك صينــةٍ حَرَّي تنسّاهــــا فلا تنساكا
عطَشٌ علىٰ عَطَشٍ علىٰ عَطَشٍ على ضرب بِفِــيكَ تُعلُّــهُ المسواكَــا
وجــوىً إذا هدت العيــون أَثــارَهُ سهــرٌ يجرُّ علــىٰ الغــرام دِرَاكَــا

---

(١) في نسخة (م) : «فراقك» والكلمة لا تنسجم مع المعنى .

(٢) الأراك .. والبشام : شجران معروفان .. ويستخدم اللدن من أغصانهما للسواك والبشام طيب الرائحة .. لذلك يدعو الشاعر أن يكون البشام ذو الرائحة الطيبة فدىً للأراك .. ولعله يوري بشيء آخر .

(٣) لعوهج : العوهج : الطويلة العنق من الظباء والنعام . وقيل المرأة الحسنة اللون الطويلة العنق . يقال امرأة عوهج : تامة الخلقة . تاج العروس ج٢ .

(٤) في نسخة (ج) غير موجودة كلمة «الجمال» وترك مكانها بياضاً .

(٥) الدكداك : اسم موضع . لعله من معاهد الشاعر لذلك نجده يتكرر ذكره. في شعره في غير موضع .

شَمَخَتْ بفَخْرِ أبي عمارةَ هِمَّةٌ سَمَكَتْ على كبد السماء سِمَاكاَ
ملكٌ أخو ملكٍ يُبيدُ بسيفه شُمَّ الملوك ويبهرُ الأمْلاَكاَ
وفتىً اذا اشتجَرَ الوشيجُ[1] بمأزِقٍ جعل الحياةَ لذي الحياة هَلاَكاَ
متبايِنُ الصِّنفين لانَ وشَدَّ في الْـ حَالَيْن منه عريكةً[2] وعِراَكاَ
مَحْكُ الصنيعة ماألذَّ فِكَاهَهُ فوق الخِوانِ ومَاأشدَّ محَاكَا
وأشمُّ ليس مُشَبِّهاً لَغَّانَةً أبَداً، وليس (عُضَيْهَةً)[3] أفَّاكَا
فالشمسُ في فَلكٍ يُدَبِّرُ حزمَهُ (يومَ الوغىٰ)[4] من دبَّر الأفْلاَكَا
ولأحمَدَ بن عليّ[5] كف لم تَرَ الْـ إمَسَاكَ منهُ فتعرفَ الإمْساكَا
ضَرَبَتْ جلالَتُهُ عليه سُرَادِقاً حَجَبَ النواظَر دُوْنَهُ الإدْراكا
ياأحمدُ بن علي دَعْوةِ خادمٍ لَوْ مَاتَ ثُمَّ دعوتَهُ لَبَّاكَا
ماذا أقولُ؟ وماأقولُ؟ وماالذي أُثْني عليكَ بِهِ جُعِلْتُ فِدَاكَا
مَلَّكْتَني أعناقَ خيلِكَ أنتقي حُصُناً مقبَّبةً[6] الكلا ورِماكَا
لو أنَّني وطِئَتْ بِطَانَةُ أَخْمَصِي ظَهْرَ المجَرَّةِ ماجَحَدْتُ وَلاَكَا
فالبسْ مُنَمْنَمةً[7] يُغادِرُ وَشْيُهَا جَزْلَ الْمَدايح والمِلاَح رِكَاكَا

---

(١) الوشيج : السيف . يقال توشح بسيفه أي تقلده . محيط المحيط ص ٩٧٠ .

(٢) عريكة .. وعراكا : العريكة : الخلق والطبع الحسن . والعراك : القتال .
يقول عن ممدوحه إنه جمع الشدة في قتال أعدائه والقسوة عليهم .. إلى جانب صفة أخرى تناقض الأولى يتبعها مع أصحابه وهي حسن الخلق .

(٣) عضيهة : قذافاً بالباطل انظر المعجم الوسيط ج٢ ص ٦٠٧. والكلمة في نسخة (ج) غير موجودة .

(٤) بياض في نسخة (ج) .

(٥) أحمد بن علي الحرامي : ممدوح الشاعر صاحب حلي .

(٦) حصنا مقببة الكلا أي ضامرة البطون .. ورماك : سريعة وفي هذا البيت والبيتين اللذين بعده مبالغات غير مستساغة !!

(٧) منمنمة : موشاة .

لمْ يَحْكِهَا حَاكٍ[1] ولم يُسْمَعْ لَهَا مثلٌ وليسَ يَحُوكُهَا مَنْ حاكَا

(١) حاك : من الحكاية أي لم يروها راو .. وحاكا : من الحكاية في نهاية البيت . وهكذا تكررت لفظة حاك ومشتقاتها بمعان مختلفة دون أن تصيب البيت بقلق أو اضطراب وهذه خصيصة من خصائص شعر ابن هتيمل .

٤ ــ وقال يمدح شمس الدين أحمد بن الحسين

أَعَلَــيكِ لو حَيَّــيْتِ مَنْ حيَّــاكِ؟ رُدِّي السلامَ عَلَـــــيَّ كنتُ فِدَاكِ
وخـذي لشــامَك عن ثنايــا حُرِّمت رشَفَاتُهــــــا إلاَّ على المسواكِ
حَجَرَ العفافُ عَلَيَّ فَاكِ ولم يكُنْ حَرَجَــاً لعمــرُك أَنْ أُقبِّــل فَاكِ
صورت ليـل دجـىً ورملــة عالج رَاب وشَمْسَ ضُحَىً وخَوْطَ أَراكِ[١]
سقــم بطــرفك لو يُعالِــجُ دَاءَهُ خداك أو شفتــاك ما شفتــاك
أشكـو إليك الحب وهــو قضيّــةٌ لايُـنصِفُ المشكوّ(فيها)الشّاكــي[٢]
كم لجَّ فيَّ وفــيكِ من مُتَعــرِّضٍ وسعـى رجــالك بيننــا ونِسَاكِ
ولقــد كَتْــمتُ هواك لولا عَبْــرَةٌ نَمَّتْ علــيَّ بلوعتــي وهـــوَاكِ
فأمَــا وبَــرْدِ لَمــاكِ فهوأليــةٌ صراء أوجبها علـــيَّ لَمَــــاكِ
ومَحَاسنٍ كَمُــلَتْ فكــان كَالُهــاَ لقلوبنــا شَرَكــاً من الأشْرَاكِ
وَأَبيكِ[٣]ماخطَرَ السُّلُوُّ بِخاطِري بَعْــدَ الفــراق ولاهمَــمْتُ بذَاكِ
وعلى الــغَضَىٰ باكٍ وآخــر ضاحِكٌ في الــرَّكب من مُتَضَاحكٍ متبــاكِ
سُقِيَى العَمِيْمُ[٤]حَيَا الغمام فلم تَزَلْ مشتَقَّــــةً ريَّــــاهُ مِنْ ريَّـــاكِ

---

(١) لم يأت في هذا البيت بجديد ولكنه أعاد الينا معنى قول الشاعر :
﴿بدت قمراً ومالتْ خوطَ بان وفاحت عنبراً ورنت غزالاً﴾

(٢) في نسخة (م) : فيه .

(٣) ما كان أغناه عن القسم بغير الله في معني مطروق . ومثله قسمه ببرد لما حبيبته في البيت السابق له والقسم بغير الله شرك به .

(٤) العميم : قرية مندثرة كانت على ضفة وادي نخيلان المعروف حالياً بالخيــلان وهي إحدى ضواحي مدينة ضمد ويقوم على أنقاضها حالياً حيٌّ حديث التكوين وقد سبقت الإشارة إليه .

وسَرَتْ علىٰ الدَّكداك أو بَكَرَتْ على الدْ … دكداك أو رَاحتْ علىٰ الدكـداكِ[1]

نفحـــاتُ شمسِ الديـــنِ أحمدَ إنَّهَـــا … في الـرّيّ أخْصَبُ مِنْ أحشّ سِمَـاكِ

الصارمِ البتـاكِ والحامي حِمَىٰ الْـــ … إسْلامِ وابـــنِ الصَّارِمِ البَتَّـــاكِ

وفتــىٰ يؤيـــد فرعـــه ونصابـــه … من فرع دوحتــــــــه بزاك زاك

محك،ألــدّ[2]،يظــل خصم جدالــه … حيران بين إبـــــــاً وبين محاك

كف تعودت السمـــاح فلـــم تزل … مذكان ممسكـــــــة عن الامساك

وإذا الرفاق(تَيمَّمَتْـــــة)[3]النائـــــل … نزلت على المتــبسّم الضحّــاكِ

وأشَمُّ[4]لاوَكِــلٌ[5](ولاصرع)[6]ولا … وغـــدٌ[7]ولا بعضيهة أفَّـــاكِ

عَالِـــي الرقـــاء إذا تجاوزَ غايـــةً … قالتْ لهُ الأُخْـــرَىٰ دَرَاكِ دَرَاكِ

طمــح الطغـــاة وكان أيَّ موفّـــرِ … لهُـمُ وأيَّ شَكيْمَـــةٍ وشَحَـــاكِ

ولقـوُهُ بالجيْهـــاتِ ثُمَّتَ عَايَنُـــوا[8] … مَاهَالَهُـــــمْ فَلَقُـــوْهُ بالأوراكِ[9]

---

(١) الدكـداك : سبقت الإشارة إلي أنـه اسم موضع، ربما كان من مواطـن ذكريــات الشاعر .

(٢) محك ألـــد : المحك : اللجـــوج في مخاصمتـــه . والألـــد: القـــوي الشديـــد في خصومته .

(٣) هذه الكلمة لا وجود لها في نسخة (ج) وتركت بياضاً .

(٤) أشم : ذو عزة وأنفة وشمم .

(٥) وكل : الوكل : العاجز البليد . تاج العروس ج٨ ص ١٥٩ .

(٦) ولا صرع : الصرْع : الذليـل . وهـذه العبـارة لا توجـد في نسخـة (ج) ولم يتـرك لها فراغ .

(٧) ولا وغد : الأحمق الضعيف الدنيء . تاج العروس ج٢ ص ٥٣٨ .

(٨) الجيهات : الوجوه : يقـال أنظر بجيـه سوء أي بوجـه سوء. تاج العـروس ج٩ ص ٣٨٥ .

(٩) الأوراك : ما فوق الأفخاذ والمعنـى واجهـه الأعـداء طامعين في هزيمتـه وحين رأوا شدة بأسه ولوا الأدبار .

يابَهْجةَ الأيَّـامِ بِلْ يامُصلِـحَ الـ ... إسلام بَلْ يامُفْسِدَ الإشْرَاكِ
هلـكَتْ بجنـدك عُصْبَةٌ ما إنْ تَنِـي ... تَجْرِي إلىٰ غضْبٍ لَهـا وهــلاكِ

٥ ـ وقال يمدح الشريف قاسم بن علي الذروي صاحب صبياء

هبَّتْ لنا سحراً والصبحُ ملتثمٌ والليلُ قد عاثَ فيه الشيبُ والهرمُ
ضعيفةٌ من رياح الشرق أضعْفَها عن قُوَّةِ السّير لما هبَّتِ السقمُ
فبلَّغتْ بلسان الحال إذْ نَسَمتْ تحيّةً ما يؤدّيها إليَّ فَمُ
سرٌّ لغانيةٍ يَسرِي إليَّ به من النسَّيم رسولٌ(ليسَ يُتَّهَمُ)[١]
إذا تَضَمَّخَ مسكاً من ذوائبِها ألمَّ بالقلبِ من إلمامِه ألمُ
أُصافحُ الريحَ إجلالاًلما حَمَلتْ إليَّ من ريح بُردَيهْا وأستلمُ
ضنَّتْ بِزَوْرَتِها إذْ دارُهَا أَمَمٌ فكيفَ تَسْمَحُ إذْ لادارها أَمَمُ[٢]
كيف الغضى[٣]يَاصبا نجدٍ ومافَعَلَت تلكَ الخيامُ وذاكَ الضَّالُ والسَّلَمُ
للبرق مكرُمَةٌ،إن شقَّ في إضَمٍ جَيْبَ الغَمامةِ أو تُروْى به إضَمُ[٤]
ما كان أحسن أيّام خَلَوْن بها كأنَّها (من)[٥] تقضيٍّ عهدها حُلُمُ
وعاشق شقَّةَ الأخطار مرتكباً هوْلَ الخطارِ وجِلبابُ الدُّجَى فَحَمُ[٦]

---

(١) في نسخة معهد المخطوطات العربية ذات الرقم ٣٠٤٨ وردت العبارة هكذا : «لَيسَ مُتَّهَمُ» .

(٢) هذا البيت انفردت به النسخة المصورة عن نسخة معهد المخطوطات العربية رقم ٣٠٤٨ .

(٣) الغضى : هكذا وردت في النسخة المصورة وصواب كتابتها هكذا (الغضا) .

(٤) أضم : في الشطر الأول معناها في غضب قال أصحاب المعجم الوسيط : أضم عليه: أضمر حقده ج١ ص ٢٠ وأضم الثانية اسم للوادي الواقع في المدينة المنورة على سكانها أفضل الصلاة وأزكى التسليم وأوفى الشطر الثاني بمعنى حتى . القاموس المحيط ج٤ ص ٧٥ .

(٥) في نسخة (ج): ما .

(٦) فحم : شديد السواد : قال أصحاب المعجم الوسيط : فَحْمُ الشيءِ : أَسوَدُهُ ج١ ص ٦٧٦ .

يستعرضُ الركبِ والأنضاءُ أذرعُها وسائقُ الرَّكب ملويّاً بها الخُطُمُ[1]

بدرٌ مشىٰ بالثريَّا زانَهُ قَدَمُ والبدرُ ليس لهُ ساقٌ ولا قدمُ

فالورد والجلّنارُ الغضُّ وَجْنَتُهُ حُسْناً وأنْمُلُهُ العُنَّابُ والعَنَمُ[2]

أمسَىٰ ضجيعي وما فوقَ النطّاقِ لَنَا حِلٌّ، وأمَّا سرَا[3] ويْلاتهُ حَرَمُ

ياطالبَ الرِّزْقِ بعدَ اللهِ من بَشَرٍ الرِّزْقُ من قاسِمِ الذِّرْوِيِّ مُقْتَسَمُ

انْزِلْ عليه إذا اسْتَسْمَنْتَ ذَا وَرِمٍ إنْ غرَّ غيركَ جِسمٌ شَحْمُهُ[4] ورَمُ

لا يُطْمِعَنَّكَ غيمٌ مالَهُ مَطَرٌ ويخدعنَّكَ آلٌ[5] وَجْدُهُ عَدَمُ

فالبحرُ أغْزَرُ من أن يُسْتَقي وشلٌ[6] واللهُ أكبرُ منْ أنْ يُعبَدَ الصَّنَمُ

أمَا لِعَقْلِكَ نورٌ يُستَضَاءُ به منْ أيْنَ تَشْتَبِهُ الأنوار والظُّلَمُ

لولا التفاضلُ بالأفعال ما شَرُفَ الْـ إنْسَانُ فالناسُ لحمٌ كلهُمْ ودَمُ

وللعُلُوِّ دَلالاتٌ يُبيِّنُها[7] في العالم البَشريِّ الهمُّ والهِمَمُ

---

(١) الأنضاء : الابل المهزولة من شدة السير القاموس المحيط ج٤ ص ٣٩٦ .

(٢) الْعَنَم : شجر له ثمر أحمر يشبه به البنان المخضوب، القاموس المحيط ج٤ ص١٥٥. قال أصحاب المعجم الوسيط : عنّم البنان : جعله مخضوباً ج٢ ص ٦٣٢ .

(٣) (سرى ويلاته) : هكذا وردت في النسخة (م) وفي نسخة (ج) كتبت بشكلها الصحيح كما رسمناها في المتن .

(٤) يذكرنا هذا البيت بقول المتنبي (أعيذها نظرات منك صادقة .·. أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم) وقد ورد الشطر الثاني في النسخة ذات الرقم ٣٠٤٨ على النحو الآتي : (ولا يَغُرّنْكَ جسْمٌ شَحْمُهُ وَرَمُ) .

(٥) آل : الآل : السراب .

(٦) وشل : الوشل : الماء القليل : القاموس المحيط ج٤ ص ٦٤. قال أصحاب المعجم الوسيط :
الوشل : الماء القليل يُتَحَلَّب من جبل أو صخر ولا يتصل قطره ج٢ ص١٠٣٥ .

(٧) ورد هذا الشطر في نسخة رقم ٣٠٤٨ على النحو الآتي : (وللمعالي آيات تبينها).

انظُرْ إلى الطّيـرِ في تفصيـلِ جَارِحِهَـا (بالصد)[1]، هل تستوي العُقْبّانُ والرَّخَمُ
والثاسمُ بن عليّ المحض[2] جَوْهَرُه الدْ ـُدنْيَـا ولا عَرَبٌ فيها ولا عَجَـــمُ
خلاصةُ السَّبْكِ إنْ كيَّـفْتَ هيْأَتَـــهُ فإنّمـا هِيَ معنـــىً والـــورىَ كَلِـمُ
أَغَـــرُّ تكسرُ عيـــنَ الشّمسِ غُرَّتُــهُ أشمُّ، سائلُــهُ في مالِـــه حَكَــــمُ
بالسيـــفِ معتـــزمٌ، بالحقِّ ملتَـــزِمٌ بالله معـــتَصِمٌ(في)[3] للّــــهِ مُنْتَقِــمُ
إذّا انْـتَضىٰ الخذمَ الصمصامَ يوم وغـا لم يُدرَ أيُّهمــا الصِّمْصَامــةُ[4] الخذّمُ
مصغ إلى دعـوة الداعـــي فيسمَعُــهُ قبــلَ التّكلُّــم سمعٌ مابِــهِ صمَـــمُ
يلقىٰ[5] السيوف كما يلقىٰ الضيوف فما ينْـفَكُّ في حَالتيــهِ وهـــو مبــتسم
لا يذبـحُ الشاةَ (إجـلالاً)[6] لطارقـهِ ولا كرامــةَ مالـــمْ تُنْحَــر النَّعَــمُ
سماحـــةٌ مَا أتاهـــا حاتِـــمٌ أبـــداً في طيءٍ، لَا. ولا في مُرَّةٍ هَرِمُ[7]
فمـا يعـــدُّ لعمـــرٍو عامـــرا مَعَـــهُ فضلاً ولا لكلـــيب بعــــده حَشَمُ
فخـراً أبـا خالـدٍ فالفخـر أنتَ ومَـــا تحوْي، وفخرُ سواكَ الأعظُـمُ الرِّمَـمُ
هيهات ما كل سيـفٍ ذو الفقـارِ ولا كُلُّ البـــلاد[8] **استحيائهـــــا** إرم

(١) هكذا في نسخة (م) وفي نسخة (ج) : «بالصيد» .
(٢) في النسخة ذات الرقم ٣٠٤٨ : (الندب) .
(٣) في نسخة: (ج) : «بالله» .
(٤) الصمصامة : السيف الباتر الذي لا ينثني .. والخذم : القاطع : القاموس المحيط ج٤ ص١٠٣ .
(٥) هذا البيت غير موجود في نسخة (م) .
(٦) في نسخة (ج) «إكراماً» بدل كلمة : «إجلالاً» .
(٧) يبالغ فيصف ممدوحه بتفوقه في السماحة على حاتم الطائي وهرم بن سنان قِمّتي السخاء العربي .
(٨) يبدو أن هناك قلقاً في وزن الشطر الثاني مما يدل على أن هناك كلمة ربما تكون =

إن الشهور لمعنىً لا **يَعُمُّ** شُهُـو ... رَ الْحَوْل؛ **أفضلُهُنَّ** الأشهرُ الحُرُمُ
وصلت آل رسولِ اللّـهِ مَرْحَمَـةً ... في السِّرِّ والْجَهْرِ إذْ لا تُوصلُ الرَّحِمَ
وقُمْتَ دونَهُمَ بالسيف مُصْطَلِيـاً ... نارَ الوغـىٰ وهُمُ القومُ الذيـن هُمُ
لا تحسبَـنَّ بنـي العبـاس أنهُـم ... إلا كمـنْ وَلَـدَ المَرْوانُ[1] والحكـمُ
تداولُـوا رتبـةً أنتُـم أحـقّ بها ... منهمْ بأهْوِيَـةٍ صَمـوُّا بهَـا وعَمـوُا
وكيف (ترجع)[2]عنكمْ إرثُ جدكُمُ ... (فيهِمْ)[3]، وفاطمـة الزهـراء أمّكُـمُ
البُردُ ياابـن علـيٍّ والقضيبُ لكـمْ ... والبيتُ والحجرُ والبطحـاءُ والحرمُ
أمـا الغِمَـارُ[4] اللـواتي لا يتـمُّ بها ... ريٌّ ، فَطَـمَّ[5] عليها سيْـلُكَ العَـرِمُ
أمْطَرْتَني نِعمـاً من بعدهـا نِعـمٌ ... كأنَّهـا دِيَـمٌ، من بعدهـا دِيَـمُ
مالٌ لديَّ، ومـال في الطريـق إلى ... بيتـي، وآخـر يدعـوني فأحـتشمُ
لذَّت على ألسن الأحيـاء غيرك لا ... واستعذبوهـا فمـا تحلـو لهم نعـم
أصبحتَ أملك لي مني بعارفـةٍ ... جوارحـي لك من عرفـانها خَدمُ

سقطت أثناء النسخ نرجح أن تكون كلمة (لدى) ومكانها بعيد كلمة : (البلاد). وقد جاء بياض في النسختين . وقد وجدناها مؤخراً في نسخة ثالثة مصورة عن معهد المخطوطات ذات الرقم ٣٠٤٨ وهـي الحرف : (على) وهكـذا يصبـح الشطر على النحو الآتي : «كلُّ البلاد على استحيائها إرَمُ» .

(١) في نسخة ثالثة مصورة عن معهد المخطوطات بالقاهرة ذات الرقم ٣٠٤٨ورد البيت هكذا :

لا تحسبـن بنـي العبـاس أنهم ... إلا كَمَـنْ ولَـدَا مروان والحكـم

(٢) في نسخة (ج) «يرجع» بالياء بدلاً عن التاء .

(٣) في نسخة (م) . فيهم . وفي نسخة (ج) فيكم .

(٤) الغِمَار : الأرض الخراب، القاموس المحيط ج٢ ص١٠٤، قال أصحاب المعجم **الوسيط: الغامر** من الأرض خلاف العامر وهو ما غَمَرهُ ماء أو رمل أو تراب فصار لا يصلح للزرع، ج٢ ص ١١٦ .

(٥) طَمَّ : غمرها وأرواها . قال أصحاب المعجم الوسيط : طما الماء : ارتفع وملأ النهر، ج٢ ، ٥٦٧ .

فالفكرُ ينظــر والأفكــارُ طائفـــةٌ والقـلبُ والكـفُّ والقرطـاس والقلـمُ
لَينـــدَ مَنَّ على التفريـــط من قِبَلي أهـلُ الريـاسةِ إذ لا يَنفــعُ النَّــدمُ
فالبسْ من الحُلل التِّبْرَيْـنِ أَعْلَمَهَــا حَبكُ اليراعـةِ حتــىٰ كلُّهـا علَــمُ
فالنـاسُ مَنْ فاخرُ الديبـاج بِزَّتُـــهُ(١) ومنهُـــمُ مَنْ رِدَاهُ(٢) الصوفُ والأَدمُ

(١) بِزّتُه : هيئته، المعجم الوسيط ج١ ص ٥٤ .

(٢) رِدَاهُ : أصلها رداءه فخفف الهمزة لوزن الشعر .. والرداء ما يلبس فوق الثياب كالجبة والعباءة.. المعجم الوسيط ج١ ص٢٤٠ .

٦ ــ وقال أيضاً يمدح القاسم بن علي الذرويّ ويذكر أن بعض قومه اختلفوا عليه

حييت (من طللٍ ومن رسم)[١] كالرَّقْمِ، أو كبقيَّةِ الرَّقْمِ
مَحَتِ الرياحُ سطورَ آيِهِمَا دَرسُوا فما يُعْرفْن بالوَهْمِ
يبدو لعينك من عِراصِهِمَا كَفٌّ كمثل دوائرِ الوشْمِ
فكأنّما كانت ربوعُهُما لثمودَ أو لجديسَ، أو طَسْمِ
ياهل ترىٰ الأيامُ معقبةً زمناً يقيض[٢] الوصل بالصرِّم
ما عيشُنا الماضي بذي سَلَمٍ إلاَّ كأضغاثٍ من الحُلْمِ
أسَفِي على نعمٍ ولا حرجٌ إن قلْتُ وآأسفاً على نُعْمِ
رودٌ[٣] يضمُّ المسكُ صورَتَها تحت الغلالة[٤] أيَّما ضَمِّ
غَنَّي الشبابُ بها وحكَّمها في الحسنِ فانْتَهبتْهُ بالحُكْمِ
صنَمٌ توشَّحَ خصرُهَا هيفاً وأَغَصَّ حَلْيِ ساقُها الفَعْمِ[٥]

---

(١) في نسخة (ج) ورد هذا الشطر هكذا : «حيت من رسم ومن طلل» ولعل الصواب هو ما جاء في نسخة : (م) وهو مارسمناه .

(٢) يقيض : المبايعة بالمبادلة والمعاوضة شيء بشيء القاموس المحيط ج٢ ص٣٤٣. يبيعه بيع المقايضة فيستعيض عن الصرم بالوصل .

(٣) رود : من معاني رود : كثرة الارتياد تمشي على مهل .. وقيل المرأة الطوافة في بيوت جارتها . القاموس المحيط ج١ ص٢٩٦ . وانظر ص٣٨١ من المعجم الوسيط ج١ .

(٤) الغلالة : شعار تحت الثوب يباشر الجسد ويلبس تحت الدرع ايضاً .. محيط المحيط ص ٦٦٤ .

(٥) ساقها الفعم : أي ساقها الضخم الممتلىء قال أصحاب المعجم الوسيط : فعم الإناء : امتلأ ج٢ ص ٦٩٦ .

تسقيكَ من يَدِهـــا ومـــن فَمهَـــا خمَرْيْـــن من عِنبٍ ومـــن ظَلْـــمٍ[(١)]
ضنَّتْ[(٢)] بها وبكأسِهـــــا أفـــــلَا بنْت الكُـــروم ولا **ابنةُ** الكَـــرْم
جِسْمـــي بلا رُوحٍ (وروحُكِ)[(٣)] يا ذاتَ اللَّمــــــــىٰ رُوحٌ بلا جِسْمِ
هيهات منك علـــــوٌّ مرتبـــــــةٍ إنْ نمتَ[(٤)] أو فرَّطتَ في الحَـــــزْمِ
فاعـــــزمْ ولا تَنْظُـــــرْ لعاقبـــــةٍ إنَّ النَجــــاحَ نتيجــــةُ العَـــزْمِ
من لم يَشِدْ مَجــــدْاً بمكرُمَـــــةٍ وبسَالَـــــةٍ، فَبنَـــــاهُ كالْهَـــــدْمِ
لا غَرْوَ إنْ حلــــمت من سَفَـــــهٍ إنَّ الـــــعضىٰ[(٥)] فرع لذي الحلـــــم
فإذا سَفُـــــلْتَ فلا يفيـــــدك من شيءٍ علـــــو الخالِ والعـــــمِّ
هذا عصامُ جرىٰ لِطِيَّتِـــــــــــــه ما نالَ، لا بأبٍ، ولا أمِّ[(٦)]
... ...

---

(١) ظلم : الظلم: ماء الاسنان، القاموس المحيط ج٤ ص١٤٦ قال اصحاب المعجم الوسيط : الظلم ماء الأسنان وبريقها والثلج. ج٢ ص ٥٧٧ .

(٢) ضنت : بخلت قال أصحاب المعجم الوسيط : الضنين البخيل بالشيء النفيس ج١ ص٥٤٥ .

(٣) في نسخة (م) «وراحك» وكذا في النسخة المصورة عن معهد المخطوطات ذات الرقم ٣٠٤٨ .

(٤) أوْ نمْتَ : هكذا في نسخة (م) و «أو» لا تلائم المعنى وإنما ملائمها حرف «إن» كما هو مثبت أعلاه وكما هو في نسخة (ج) : «إنْ نمْتَ أو فرطتَ في الحزم.» .

(٥) العضىٰ : جزء الشيء. عضا الشيء : جزَّأه . المعجم الوسيط ج٢ ص ٦٠٧ وفي نسخة ١٦٩٢ «إنَّ العَصَى قُرِعتْ لذي الحلم» .

(٦) يشير في هذا البيت إلى قول الشاعر (نفسُ عِصامٍ سوَّدَتْ عِصَاماً .:. وعلمته الكرَّ والإقداما)

دولُ الكـــــرام تقسَّمتْ شَرَفــــاً ... ونَــداً، ودولـــةُ قاسمٍ[1] قَسْمـــي

مَلِكٌ إذا كُشِفَ الحجـــابُ لَنَـــا ... أزْرَىٰ ببـــدر التَّـــمِّ في التَّـــمِّ

وإذا تَتَـــــــــوَّج ظَلَّ في فرحٍ ... تيجَانُـــــه والبــــــيض في غمٍّ

متـــــواضعٌ براً ومـــــــرحمةً ... وهــو المُعَظَّــمُ غايـــةَ العظـــمِ

يُقْــرِي إذا أَقْــرَىٰ الــورَىٰ لَبَنــاً ... أَشْهــىٰ الثَّريــدِ وأَطــيبَ اللَّحْــمِ

وينـــوبُ عن تقبيـــــل راحتِـــهِ ... لثــمُ الأشاجــع[2] قُبْلَــةُ الكــمِّ

قطبٌ تدورُ رَحَـــىٰ الأمــــور بِهِ ... في طَحْنها والحَرْبِ والسلـــــــمِ

خَصْمٌ ألـــدُّ إذا اعــــتصمتَ به ... أيقَـــنْتَ أنَّكَ فالـــجُ الخصمِ[3]

طلْــقٌ إذَا الزمــنُ العبـــوسُ غدا ... جَهْــمَ السنين فلـــيس بالجهْــمِ[4]

ثبتٌ يسدُّ الثغرَ منهُ بِعَـــــا..... ... ديِّ الجلادة ماجــــــــــدٍ قرمٍ[5]

إيــهِ أبــا الصيّــاد[6] ملــكُكَ ما ... أوتيتـــــــه إلاَّ على عِلْـــــــم

---

(١) قاسم : هو القاسم بن علي الذروي ممدوح الشاعر وقد سبقت ترجمته .

(٢) في النسخة الثالثة المصورة من معهد المخطوطات ذات الرقم ١٦٩٢ بدل كلمة : «الأشاجع» البساط .

(٣) فالج الخصم : الفلج : الفوز والظفر ومعناه : فائز على الخصم وظافر عليه، القاموس المحيط ج١ ص٢٠٢ .

(٤) الجهم : الغليظ الكريه ـــ القاموس المحيط ج٤ ص ٩٢. وفي أساس البلاغة : وجه جهم : غليظ كثير اللحم ضيق الخلقة ص ١٠٨ . في النسخة الثالثة ذات الرقم ١٦٩٢ جاء الشطر الثاني هكذا : «جهم الجهات فليس بالجهم» .

(٥) قَرْم : سيد .. ومن معانيها صار كبيراً ج٤ ص ١٦٢ القاموس المحيط . والقَرْمُ من الفحول : الذي يترك من الركوب والعمل ويودع للضِّراب ومن الرجال السيد المعظم، المعجم الوسيط ج٢ ص ٧٣٠ .

(٦) الصيَّاد : أحد أبناء ممدوحه القاسم بن علي الذروي .

عزَّتْ بعزِّكُـــمُ بنـــو حسنٍ والليحـــمُ معتمـــدٌ على العظـــمِ
وأراهـــمُ عن مُعْجِزَاتِكُـــمُ قسمين من عُمـــيٍ ومـــن صُمِّ
سخِـطَ الـذي أعطيتَـه نَفَـرٌ عنهم وقـــد قَبضوه بالرغـــم[1]
داويتَ (علَّتهـــمَ)[2] بعلَّتِهـــم يامـــن يُداوي السقـــمَ بالسقـــمِ
وسقـيتهم كأساً ومـــا شعـــروا حتـــى علَـــلْتَ السُّمُّ بالسُّمِّ
إنْ طَاوَلُـوْكَ لغايـــةٍ بَعُـــدتْ عنهم فلـــيس الحرْفُ كالإسْمِ
أَوْ أَحْدَثُـــوا فِعْـــلاً برأيِهـــمُ مستقبَـــلاً فابـــدأْهُ بالجزم[3]
لا تستَشِرْ في فرصَة عَرَضَتْ فالحزمُ دفـعُ الظِّلـم بالظُّلـــمِ[4]
وأَرَىٰ توقِّــي الظّلـــم في فئـــةٍ من غير حزبِكَ غايـــةَ الإثْـــمِ
يَامَـــنْ غنـــيتُ بفضلِ نعمتِـــهِ (في الأرضِ)[5] عن عَرَبٍ وعن عُجْمِ
حَسْبَـــي وحسبُك عن ولـــيّك ما (قَدَّمْتَـــه في دِقَّـــةِ الـــجِسْمِ)[6]

---

(١) في النسخـة ذات الرقـم ١٦٩٢ جاء الشطـر الثـاني هكـذا : «وزعيمهـــم فرضوه بالرغم» .
(٢) في نسخة (ج) «غلتهم» بالغين .
(٣) يؤكد هذا البيت ثقافة الشاعر وحذقه باللغة العربية فيشير إلى عمل حرف الجزم إذا دخل على الفعل المضارع مستوفياً ذلك من ناحية اللفـظ . ومـن ناحيـة المعنى .. والشاعر يحضّ ممدوحه على اتخاذ الحيطة والحذر مع قومه .
(٤) كأنَّ الشاعر يؤكد المعنى الذي ذهب إليه المتنبي حين قال :
والظلـم من شيم النفـوس فإن تجد ذا عفـــةٍ فلعلـــةٍ لا يظلِـــمُ
وقد جاء هذا البيت في صورة المخطوطة الثالثة رقم ١٦٩٢ هكذا :
وأرَى توقي الظلــــم في فئـــــة فالـــرأي دفـــع الظلـــم بالظلـــم
(٥) جاء في النسخـة المصورة عن معهـد المخطوطـات رقـم ١٦٩٢ كلمـة : «وَنَـدَاهُ» بدل : «في الأرض» .
(٦) وفي النسخة رقم ١٦٩٢ ورد هذا الشطر هكذا : «أَوْ ليتَهُ مِنْ دَفْعَةِ الوَسْمِ» .

٧ ــ وقال يمدح الشيخ علي بن محمد الخواجي (*) بصيباء

علـــــيَّ صنيعــــــةٌ لنسيم نجدِ ... بما أهــــداهُ من نفحـــــات نجدِ
أتـــىٰ بالمسكِ تَحْمِلُــهُ النُّعَامـــى ... ومــاء الــورد في شيـــح ورنـــدِ
وعـــرَّضَ لي لسانُ الحال عنْهَـــا ... بردٌ تحيَّـــــــــةِ من غير رَدٍّ
فأهـــلاً يانسيـــمُ بما أَتَتْنَـــا ... به النَّفَحَـــاتُ من هزْلٍ وجـــدٍّ
أَقِـيْضُ مُعَذِّبـي حبّـاً ببـــغضٍ ... وأَجْـزِي هاجِـــرِي وَصْلاً بصدٍّ
وأَقْضيهِـمْ ليـــوم غدٍ وحُبِّـــي ... كما عَهِـــدُوهُ في قُرْبٍ وبُعـــدِ
صبيبُ جَوًى فلا فجْعٌ كفجْعـــي ... لمن أهْـوىٰ، ولا وَجْدٌ كوَجْـدِي[1]
ولا والله لأنسا وداعــــــــــاً ... ظفـرتُ به ولا خطـأي وعمــدي[2]
وقـد شبك النــوى كفــاً بكـــفٍ ... وألصَقَ وَشْكُـــهُ خدّاً بِخــــدٍّ
فلـــيت الحب أطلَـــقَ كُلَّ عانٍ ... وأَفْردَنِـــي بداءِ الحبِّ وحـــدي
أيـــدري النـــاسُ ألّا قبــــلَ قَبْلي ... لِذي مِقَـةٍ وأنْ لا بَعــدَ بَعْـدِي؟[3]

(*) في نسخة (ج) لا وجود لكلمة الخواجى فقد جاء العنوان هكذا: «وقال يمدح الشيخ علي بن محمد بن مرير» ولم أجـد له ترجمة فيمـا وقـع تحت يدي من مصادر ولعله أحد أقارب ممدوحه الذروي .

(١) هذا البيت والبيت الذي سبقه غير موجودين في نسخة (ج) .

(٢) ولا خطأ وعمد : هكذا وردت في النسخـة المصورة (م) كذلك كلمـة : (لا أنسا) في الشطر الأول هكذا وردت في هذه النخسة وصواب الأولى : (لا أنسى) والثانية : ولا خطأي وعمدي ــ كما أثبتناها . أما في نسخة (ج) فقد أتى بدلاً عن الكلمتين (خطأ وعمد) بكلمتي : (وجد كوجدي) وهما موجودتان في البيت السابق له ولكن صاحب هذه النسخة حذفه!!

(٣) لذي مقة : لامريء ذي مقة : والأمقة : الذي يهيم على وجهه لا يدري أيـن يتوجه المعجم الوسيط ج٢ ص ٨٨١ .

وسَبْسبــةٍ تَكِــلُّ الريــحُ فيها وتعُيى البُدنَ من عنــق ووَخْــدِ(١)
نصبتُ لحرِّهــا وجهــا ترامَـــى به الفلـــواتُ في حرٍّ وبَـــرْدِ
إلى علــم الــذي عكــفت عليــه قبائــل يَعْــرُبٍ وبَنُـــو مَعــدِّ
متى عَلِقتْ بحبــل علــيّ كَفِّــيْ فَقــدْ عُوِّضتُ من نَحْسٍ بسعْــدِ
ولو **بِعْتُ** الـوَرَىَ بِوفَـا علــيٍّ لبــعتُ **نسيَّةً** منهم بنقـــد(٢)
سليـلُ محمــد بنِ (مريــر) أزكَـى بنــــي حوَّاء في غَوْرٍ ونجدِ(٣)
فتًى كالسيــفِ يَقْطــعُ بين غمــدٍ وليس السيفُ يَقْطَــعُ بين غمــدِ
وأبلـــج كفـــهُ يَهمِـــي نُضَاراً على العـــافي بلا بَرقٍ ورعـــدِ
جوادٌ صيـــغَ من مُرٍّ وحُلـــوٍ له طعمــانِ من صَبِــر وشَهْـــدِ
يهولُكَ في المَقالـــةِ وهْـــوَ فيها يُعيــدُ بوصلِ عزمَتِــةِ ويُبْــدِي
فأيُّ دريِّـــةٍ للطعــــن حلين(٤) وأيَّ مَنيِّـــةٍ والخيـــــلُ تُردي
فَدَعْ سطـواتِ عنترةَ بن عمــرو بْـ ـنِ شدَّادٍ،ودعْ عمــرو بن مَعْــدي
حيــاءٌ تَقْطُــرُ الوجَنَــاتُ منــة (ونصلٌ(٥) يُحــبسُ بالفِرنْـــدِ)!!

---

(١) عنق : السير المسبطر للابل ، القامــوس المحيــط ج٣ ص ٢١٩ . والوخـــد : إسراع الابل في سيرها وسعة خطوها القاموس المحيط ج١ ص ٣٤٤ .

(٢) لبعت نسيئة : يؤكد ثقافته الدينيـة فيشير الى نوعين من أنـواع البيـوع المعروفـة في كتب الفقه الإسلامي .

(٣) سليـل محمـد بن (مرير)أزكـى بني حوىٰ كلمـة (حوىٰ)هكـذا وردت في نسخـة (ج)وفي نسخة (م)كما رسمناها

(٤) فأي دريّة للطعن حلين : هكـذا جاء الشطر الأول وكما يبـدو في اضطـراب الـوزن فالمعنىٰ غير مستقيم مع ماجاء في الشطر الثاني ممايـدل على أن البيت دخلـه بعض التصحيف في شطره الأول.

(٥) وفي الشطـر الثـاني كلمـة سقـطت في الـ تين ربما تكـون كلمة(ظل)بعـد كلمـة ونصل

اَلــــدُّ إذا اعـــــتصمتَ به نصيرا نُصِرتَ بة على الخصمِ الألـــــدٌ
أبــا حسنٍ وأنتَ رئــيسُ قومـــي ورأسُ الصّيـد في حَكَـم بن سعـد[1]
ومـن فخـــرت به يَمَـــنٌ وألـــقَتْ إليـــه الأمـــــر في حلٍّ وعقـــــدِ
فكـمْ لكَ من صَنيـعٍ عنـدَ صِنْـوِي[2] وكـــمْ لَكَ من يدٍ بيضاءَ عِنْـــدي
فتعزيــــــرٌ وتوقيـــــــــرٌ،ووُدٌّ ورفـــدُ بعـــد رفـــدٍ بعـــد رفـــدِ
وأنت أجـــلُّ من أوفـــا بعهــــد وجـادَ فلـم يَخُـنْ بضمـانِ عَهْـــدَ[3]

---

(١) لعله يشير الى القبيلة المشهورة التي تنتمي الى :سعد العشيرة اللذين يسمون مذحج ولد مالك ابن أدد.الاشتقاق لابن دريد ص٤٠١ ط مكتبة الخانجي مصر.

(٢) صِنْوِي:الصنو:يطلق على الأخ الشقيق ويطلق على **ابن العم** ـالقاموس المحيط ج٤ ص٣٥٣

(٣) هذان البيتان الأخيران لايتضح منهما سوى الكلمات الأولى في نسخة (ج)ولا توجد في هذه النسخة الأربعة الأبيات التي تسبق هذين البيتين مع أن في تلك الأبيات المحذوفة بيت القصيد كما يقال.

٨ ـ وقال يمدح الشريف أبا المهدي عز الدين قتادة بن راجح(*) الحسني صاحب مكـة

غَضِبْتِ بغير ما سببٍ فُؤادَه ... ومَلَّكتِ الهوى قهراً قِيادَه
لقد أَمرضْتِ ما أبقيتِ منه ... فهلْ لَكِ في معاودَة العيادة(١)
بَخلتِ فزوديه! ولاتَضنِّي ... عليه بنظرة، لتكون زاده
فربَّتَما قَضى نَحباً وأودَتْ ... حشَاشَتُه ولم يَبْلُغْ مرادَه(٢)
ومَالَكِ قضيتهِ سَهراً بنومٍ ... فصارَ سُهاد نَاظِره رُقادَه
أعيدي قلبَه نِضْواً(٣) تعيه ... فليس عليك ذنبٌ في الإعادة
أجائلة الوشاح صِلِي غويّاً ... يبيعُ بغيِّه منكُم رشَادَه
وكيف سَرىٰ خيالُك من أناجٍ ... فحيّا الرَّكْبَ من جَبلَيْ جِيَادَة(٤)

(*) هكذا ورد اسم أبيه في مخطوطات الديوان ، وربما تصحيف أو خطأ في النسخة الأصلية التي نقلوا عنها ذلك أن قتادة هذا هو: قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن حسين... إلخ يكنى بأبي عزيز ولي إمارة مكة عشرين سنة بدأت من سنة ٥٩٧ كما ذكر عدد من المؤرخين وكانت له صولات وجولات حتى اتسعت ولايته فشملت قراح من اليمن وبلغت اطراف المدينة المنورة كان أدهى وأشهر من ملك مكة من ابنائه : راجح وحسن وعلي ويقال إنه قتله ابنه حسن سنة ٦١٨هـ .

(١) العيادة : زيارة المريض ويقال : عاد المريض عيادة وعوادة . محيط المحيط ص ٦٤٢ .

(٢) هذا البيت غير موجود في نسخة (ج) وكذلك الأمر بالنسبة للبيت الذي يليه : «ومالك قضيته...» .

(٣) نضواً : هزيلاً . قال أصحاب المعجم الوسيط ج٢ ص ٩٢٩ : النضو : الهزيل من الحيوان، ويقال فلان نضو سفر : أي مجهد .

(٤) (جبلي جيادة) هكذا وردت كلمة (جبلي) في نسخة (م) أما في نسخة (ج) فقد وردت هكذا : (خيلي) .

ألـــذُّ العــــيش نشوةُ كسرويٍّ   وصبــوةُ أغيــدٍ يَصبُــو لِغَـــادَة
تبـــيتُ وطوقُهـــا يَدُهُ وتُـــمْسي   قَلائِدُهـــــا للبِّتِــــــه قِلادَة
وساعدُهـــــا لمفرقِـــــهِ وِسادٌ   وساعِــــدُهُ لمفرقِهَـــا وِسَادَةٌ[1]
إذا ما الـــحُبُّ عُوْلــجَ بالــتَّصابي   فلـــيسَ صلاحُـــــه إلَّاَفسادَه
فسلِّ القــلبَ عن نُعـــمٍ وهنـــدٍ   وخــلِّ نوارَةً واهجــرْ سُعـــادَة
فإن لكـــل ذاهبـــةٍ معـــاداً   وأخــرةُ الصِّبـــا لَيْسَتْ مُعـــادَةْ
عرفتُ النـــاسَ حتـــى كدتُ أدْري   بمافي (البطـنِ)[2]من قبـل الــولادَةْ
فلـــم تَزِدِ الريـــاضةُ في نَفِــيسٍ   ولم تُغْــنِ الريـــاضةُ في البـــلادَة
عليكَ بكرمة الكـرم احتــذِيها[3]   إلــيك فإنّ كرمَتَهـــا قتـــادة[4]
فتــــىً شرُفَ الخصيبُ به فأنسي   سويقــةَ مثـــل ماأنسي جِيَـــادَه[5]
وأروعَ من بنـــي الحسن المثنَّـــى   أفــادَ طريفَـــهُ ونَفَـــىٰ تِلادَه[6]
سِدادَ الثَّغْــر لو خَرجتْ ألـــوفٌ   من الأمـــراءِ ما كانُــــوا سِدَادَه
إذا نَكصَتْ[7]جِيادُ الصَّيـــد خوفـا   لحَــــوْض الموت أورده جيـّـــاده

---

(١) هذا البيت لا وجود له في نسخة (ج) .

(٢) في نسخة (ج) «القلب». وفي نسخة (م) وردت كما ذكرنا أعلاه : «البطـــن» ولعلها أقرب للصواب .

(٣) في نسخة (م) هكذا وردت بالحاء والياء. وفي نسخة (ج) وردت بالجيم والباء الموحدة : «اجتذبها» .

(٤) هذا هو بيت التخلص كما يسميه دارسو الشعر . قتادةَ : هو ممدوح الشاعر في هذه القصيدة وهو : أحد أشراف مكة في القرن السابع .

(٥) سويقة .. وجياد : أماكن مشهورة في مكة المكرمة بلد الممدوح وعاصمة ملكه آنئذٍ .

(٦) الطريف : المستحدث ، والتليد :قديمه .

(٧) نكصت: أحجمت ورجعت على عقبها خوفاً القاموس المحيط ج٢ ص٣٢٠ . وفي المعجم الوسيط : نكص نكصاً : رجع إلى خلف أو عن الأمر أحجم ج٢ ص ٩٥٣ .

(....)[1]راجـــح بن أبي عزيـــــز وسار بهديـــــــــــه ما شاد شاده

تعـــود ضرب أعنـــاق الأعـــــادى وجـــــز رؤوسهـــــم والخير عادة

فهـــم كالـــزرع أحصد فاستبـــدت عليه(عــــاده)[2]فكفـــــوا حصاده

ترعـــرع سيــــــداً ونشا رئـــــيساً فحسبك في الريــــاسة والسيـــــادة

تمنـــىٰ[3] السادة[4] العـــــرنين[5] لما نشا[6] في الـفضل لو كانـوا عبـــاده

إذا قابـــلت طلعتـــــه صباحـــــاً محوت رسوم نحسك[7] بالسعـــــادة

سعى وجرى الكرام ففـــات عنهم وقـــد جهـــدوا ومابلغـــو اجتهاده

وأورى زنـــده وكبـــوا زنـــاداً فلـــم يشبـــه زنادهـــم [8]زنـــاده

فكيـــف يقـــاس أعظمهـــم إليـــه ولـــيس عتـــاد أعظمهـــم عتـــاده

---

(١) كلمة غير واضحة في النسخة المصورة عن مخطوطـة معهـد المخطوطـات وفي مخطوطة جامعة الملك عبد العزيز «تُقبِّل» .

(٢) هكـذا جاءت هذه الكلمـة من غير تنقيط في نسخـة (م) وفي نسخـة : (ج) : «عبيده» وهي توضح المعنى المراد وتقرّبه .ج

(٣) «تَمَنّـى» هكـذا وردت الكلمـة في نسخـة (م) وفي نسخـة (ج) : «تَمَنَّتْ» بتـاء التأنيث وليست بالألف المقصورة .

(٤) «السادة» هكـذا جاءت معرّفـة بالألـف والـلام في نسخـة (م) وفي نسخـة (ج) : (سادة) دون أل التعريف

(٥) (العرنين) هكذا وردت في نسخـة : (م) وجـاءت في نسخـة : (ج) العـربين بالبـاء وليست باالنون .

(٦) «نشى» هكـذا وردت في نسخـة (م) وجـاءت في نسخـــة «ج» نشا كما رسمنـــاه وهي الصواب .

(٧) «النحس» : كلمـة تطير ضد كلمـة : (الفـأل) الـواردة في قول رسولنـا الكـــريم محمد صلي اللة عليه وسلم : (ويعجبني الفأل) بعد قولـه عليـه السلام : (لاعـدوىٰ ولا طيرة) .

(٨) في نسخة (ج) «زيادة» بالياء ولعل الصواب ما نقلناه أعلاه من نسخة :(م) .

فإنْ تعـــدل به الثقـــلين جوداً ... فلـيس البحـــر يعـــدل بالمزادة[1]

أعِـــزّ الدِّيـــنِ يابحرَ المعـــالي ... ويـــابحرَ الفوائـــد والإفـــادة[2]

شَهِـدْتُ لقـد كَمُلْتَ، فإن يَغِظْني ... أخـو حسدٍ حلـفتُ مع الشهـــادة

فيـــومُكَ للطـــراد وللأيـــادي ... وليـــلُك للتِّـــلاوةِ والعبـــادة

مدحـتُك يا أبـا المهـديّ حُبـــاً ... لوجـــهِكَ لا لجَائـــزةِ الإفَـــادة

فكـــنتُ كمثـــلِ قُبَّـــرةٍ تَوَخَّتْ ... فأهـــدَتْ لابـــن داوُدٍ[3] جَرادَةْ

ولـــولَا جُوْدُ كفِّك للبَرَايـــا ... لقـــامَ عليهـــمُ عامُ الرَّمَـــادَة[4]

وَقِـفْ شِعـرِي عليكَ! فكـلُّ شعـــرٍ ... أتـــــاكَ سِواهُ ما يسْوَى مدادَه

فلـم يَحمـلْ أبُـــو تمّـــامَ[5] شِعـــري ... ولا الُلسِنِ البليـــغ أبـــو عُبَـــادَة[6]

---

(١) المزادة : هي الراوية التي تصنع من الجلد أو شبهه ليتزود فيها المسافر بقليل من الماء القاموس المحيط ج١ص٢٩ ، ولاشك أن المقارنـة بين ماتستوعبه من الماء وبين عباب البحر منعدمة كانعدام مقارنة جود ممدوحه بجود الآخرين على حد مبالغة الشاعر .

(٢) (الإفَادَةْ) هكـذا وردت في نسخة (م) وجاءت في نسخة (ج) الوفَادَةْ ولعلهـا الأصوب

(٣) ابن داود : يقصد سيدنا سليمان بن داود عليه السلام وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام وقد جدد الشاعر في المثل هنا فقد ألف الناس القول : كبائع التمر في هجر فنقلنا إلى صورة أجمل و أجد فالمهدية : قبرة ، والمهـدي إليـه سيدنـا سليمان الذي آتاه الله ملكاً لاينبغي لأحد من بعده ، أما الهدية فهي على قدر مهديها إنها : جرادة..

(٤) عام الرمادة : هي سنة أصابت الناس فيها مجاعة شديدة وجدوب وقحوط قد حصلت في السنة الثامنة عشرة من الهجرة ، تاريخ الطبري ج٢ ص٥٠٧ .

(٥) أبو تمام : هو الشاعر العباسي الشهير : حبيب بن أوس الطائي .

(٦) أبو عبادة : الشاعر الشهير أبو عبادة : هو : الوليد بن عبيد البحتري الطائي وقد عرف الشاعران بالطائيين وبلغا بالشعر منزلة رفيعة في عصرهما .

وإنْ سَبَقَـــا زَمانـــــاً أوْ أجَـــادَا فإنّـــــي ماقَصَرْتُ عن الاجـــادَة
فلا نَقَصَتْ سَعـــادَتَكَ اللّيالِـــــي وزادتْكَ الكمـــالَ على السعـــادَة

٩ـ وقال يمدح الشريف سلطان بن علي القاسمي صاحب ضمد:

تَشَبَّــــثَتْ بِتَلابِيْبِــــــي وأَرْدَاني ... وعَوَّقَتْنِيَ عن نَهْجِــي وعَــنْ شَاني

وحـاولَتْ عقْلَتِي عَنْ نيَّةٍ حَمَــلَتْ ... على تَبــدُّلِ أوطـــانٍ بأوطـــان

باتَتْ تُغالِطُنــي والعــزمُ يأمــرُني ... بِرحْلتي،واغترابي،وهْــيَ تَنْهـــاني

فحينَ عاصَيْتُهَا في أمرِهَا وكَفَتْ[١] ... على ترائِبها عَيْنَــان عيْنـــانِ

فاسْتَيْــأَسَتْ وأمــدَّت في صَواحِبها ... شجواً[٢] بشجوٍ وإرْنَانــاً بإرْنَــان

وَطَــرَّرَ الدَّمْــعُ خَدّيهَــا فلؤْلُــؤهُ ... في صحنٍ وجنَتِها سِمْطَان سمطان

من أبْيَضٍ فوق خدٌ أبيضٍ يَقَــقٍ[٣] ... جارٍ، ومن أحْمَــرٍ قَانٍ علــىٰ قاني

كالسِّلك بتَّتْ قُواهُ الكفّ فانحَدَرَتْ ... منــــه بوادِرُ من دُرٍّ ومرجـــان

شَمسٌ من العالم النوريّ فس غَسَقٍ ... من الأثِيثِ[٤] على غُصنٍ من البَــانِ

حوريــةٌ قصبــاً إنسيــةٌ نسبـــاً ... جنيةُ الطبــع من إنسٍ ومـــن جان

إذا رَمَىٰ طرفُها عن قوسِ حاجِبِهَا ... أصمَتْ بِنَافِذَةٍ من غيــرِ مرنَــانِ[٥]

---

(١) وكَفَتْ : ذرفت دمعاً غزيراً . (أساس البلاغة ص ٦٨٨) وقال أصحاب المعجم الوسيط ج٢، ص١٠٥٤ : استوكف الماء : استقطره واستدعى جَرَيَانه .

(٢) شجواً بشجوٍ وإرناناً بإرنـــان : الشجـــو : الحزن .. القامـــوس المحيـــط ج٤ ص٣٣٧. والترنيم: التطريب، القاموس المحيط ج٤ ص ٣٤٧ .

(٣) أبيض يقق : أي أبيض شديد البياض، القاموس المحيط ،ج٣ ص٢٩١ .

(٤) الأثيث : الشعر الكثيف العظيم، القاموس المحيط ج١ ص١٦١. قال أصحاب المعجم الوسيط : أثَّ: كَثُرَ وعَظُمَ، والنبات : تكاثف والتفَّ،.. والشَّعَرُ : غَزُرَ وطال فهو أث وأثيث . ج١ ص٥ .

(٥) من غير مرنان : من معاني مرن : لآن في صلابة القاموس المحيط ج٤ ص٢٧١ فطرف حبيبة الشاعر يصيب قلب العميد برغم صلابته وتخشنه. وإصابته تكون برداً وسلاماً على فؤاد المحب .

ياهـذه ما كأنّي في القناعـة بالـ ـعيش المُرَمَّق[1] إلا طيُّ حِرْمَـانِ
المرءُ يفنىٰ ويُبْلِـي الدهـرُ جِدَّتَـهُ وعمـرَهُ والجديـدان الجديـدان
لاتكْرَهِـي ليَ سَعْيـاً أستفيـدُ به زيـادةً وكالاً بعـد نُقْصَان
فإن إتيـانَ نارِ الطُّـورِ أظهـرَ بُرْ هَانَ النُّبُـوَّةِ في موسىٰ بن عمـرانَ
وصارَ مُستعْدياً سيفُ بن ذي يزنٍ فردَّ كسرىٰ عليـه ملكَ غمـدانِ
وابن المُهَـلَّب أبْلَـىٰ في تَطَلُّبِـه حتـى استقـامَ أميراً في خُرَاسَانِ[2]
وشارفَتْ فارسٌ ملكَ الخلائِـفِ بالْـ ـفضْلِ بنِ يحيىٰ وبالفتح بن خَاقَان
لا يَطْمَـع النـاسُ في إسقـاطِ منزلَتِـي فمـا بأيديهُـمُ رزقي وحِرْمَـاني
فرب شؤْم أتـىٰ من باب مَلأَمَةٍ ورب ربـحٍ أتَـى من باب خُسْرَان
ياقائِضاً ــ وبقـاعُ الأرضِ تَلْفظـهُ ــ أهـلاً بأهـل وجيرانـاً بجيرانِ
طنّبْ[3] بدُورِ بَنِي يَحْيىٰ بنِ قاسمَ أهـ ـل العِزِّ من حَيّ قحطان وَعَدْنَانِ
وانـزل بأَركـان ثَهْـلانٍ[4] فإنَّهُـمُ أوْفَـىٰ وأمنَـع من أركان ثَهْـلان
المطعمـونَ إذا ما أُخلَـفَتْ[5] سَنـةٌ والمانِعُـونَ بأيـدٍ، إنْ جَنـىٰ جاني

---

(١) المرمق : العيش الرمق : الضعيف ، القاموس المحيط ج٣ ص٢٣٨ وفي المعجم الوسيط ج١ ص٣٧٣ : المرمق من العيش : اليسير الدون .

(٢) في هذا البيت والثلاثة الأبيات السابقة له يبرر شدة سعيه في طلب الرزق بسِيَرِ هؤلاء العظماء الذين نالوا مكانتهم التأريخية وحققوا طموحاتهم عن طريق سعيهم الحثيث، وشتّان بين ما حقّقه الشاعر الذي مات فقيراً وما حققه أولئك الأعلام من أمجاد خالدة وعلى رأسهم سيدنا موسى بن عمران عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى التسليم الذي كلمه الله وآتاه النبوة .

(٣) طنّبَ : أقام إقامة دائمة، القاموس المحيط ج١ ص٩٨ وفي المعجم الوسيط : طنّبَ بالمكان : أقام ج٢ ص ٥٦٧ .

(٤) ثهلان : الأولى اسم قبيلة وثهلان الثانية الجبل المشهور / أساس البلاغة ص ٧٩ .

(٥) أخلفت سنة : أي أجدبت فأخلفت المطر / القاموس المحيط ج٣ ص ١٣٨ .

هم أمَّنُوا آل رحَّال وهــم مَنَعُــوا بالسيـف أمـلاك حسّان بن سرحـان
وهـم أجـاروا سليمانــاً وأخرجــه سادات (حـازم) خوفـاً من سليمـان
وهم حَمَوْا بالقَنَا سرْحَ ابـن أختِهِـمُ من ابن حيِّدَ في حيْـل ابـن عبـدان[1]
وأُقدَمُـوا وصدورُ الخَيْـلِ جانِحَــةٌ عن التقـــدم ميـــــلاً، يَومَ جازان
مثلُ الأُسُودِ الضَّواري في سروجِهِـمُ آسادِ بِيْشَةَ أو آسادِ خفَّــــــان
من كلِّ أَرْوَعَ مِطعــــامٍ إذا نَزَلَتْ به الضيـوفُ سفيهِ الرمح مِطْعَـــانِ
وليس أَعْلَـىٰ ولا أَسمَـىٰ وأشرفَ منْ جار السَّمَــوْأل الأَجار سلطـــان
ما الأَسْوَدُ بن قنـــانٍ؟ أو معاويـــةٌ؟ وما المُعَلَّى؟ ومـاحصنٌ؟ وماهـان؟
ومـــــا جوار ابن همام بن مرةًّ؟ أو جَسَّاس وائـل؟ في ذهـلِ بنِ شيبـانِ؟
دع السمـاعَ ففـي تحصيـل رُؤْ يتِــه كفايـةٌ لكَ عنْ قَاصٍ وعـــنْ داني[2]
الأبـيضُ الوجـه والمقـــدامُ إن بَرَقَتْ تحتَ البـــوارقِ أَقْـــرانٌ لأقرانِ
يَلْقَــىٰ المنيَّــةَ طَلْقــاً والمنـــونُ لها طعمــــــان في قَصَبِ المرَّان مرَّان
عفُّ الأزار، عمٍ عن بيت جَارَتِــــه عفُّ الضمائـــرِ في سرٍّ وإعــــلان
أشَمُّ تَخْلُــفُ عَيْنَ الشمسِ طلعتُــهُ أَغَــرُّ، غُرَّتُـــهُ والبـــدرُ سيَّـــان

---

(١) في هذا البيت والبيتين السابقين له أعلام انقرض أصحابها : (آل رحّـال ــ حسان ابن سرحان ــ ابن حيدّ) وهـي أعـلام لمعاصرين لابـن هتيمـل، بل لمواطنيه في ضمـد انقـرضوا ولم نجد لهم ذكـرا فيمـا بين يدينــا من المصادر أمــا سادات آل حازم فلازالت بيوتـاتهم عامرة بالعلم والسيـادة ولا يزال فيهم رجّـال ذوو علــم وفضل وسؤدد تتناقـل تراجمهـم في الماضي والحاضر كتب التأريخ وكـتب التراجـم المطبوعة والمخطوطة ويشرف صاحب هذه الدراسة أنه ينسب إلى هذه القبيلة .

(٢) في هذا البيت والأبيـات الثلاثـة السابقـة له أسماء لاعـلام مشهوريــن بالشجاعــة والكـرم وحمايـة الجار يبالـغ الشاعـر فيجعـل ممدوحـه اعظـم منهم وأجــل في تلك الصفات .

انْظُرْ إلى قَمَرٍ قد صِيغَ من بَشَرٍ — فِي الحُسْن أَوْ مَلَكٍ في خَلْقِ إنْسانِ
كأنَّمـا فيضُ كفيـه بنائِلِـه .... — وجـودُ كفيـه سيحـان[1] وجيحـان
يجزي المسيءَ ويجزي المحسنينَ به — سوءًا بسوءٍ وإحسانـاً بإحسان
خلائقٌ كسحيـق المسك نَفْحَتُهـا — أُمْنيَّـةُ الـرُّوح من رَوْحٍ وريحان
يابـنَ الفواطـمِ لولا لطـفُ بِرِّكُـمُ — ما كنتُ فارقتُ أولادي وإخـواني
ولا سلوتُ — وأرض الله واسعة — — بأهـل عَوْسجَـةٍ عن أهـل نجران[2]
وإنما لكُـمُ أيـدٍ تُبَاكِـرُني — بالنَّيـل والنَّيـل من مَثْنَىٰ ووحـدان
فإن عَرَفتُـم وداري بين أظهُرِكُـمْ — حقّـي، ومُـوجب حقّـي أيَّ عرفـان
فآل جَفْنَـةَ لم يَمْنَـعْ تَنصرُّهُـمْ — وبُعْـدُ شُقَّتِهِـمْ مِنْ بِرِّ حَسَّان[3]
وكان عنـدَ بَنِـي بْدرٍ لجارِهُـمُ الْـ — ـبَاقِـي وكان لَهُـمْ مِنْ مالِه الفَـاني
وفي الحميَّـة والإحسان قَدْ قَتَـلَتْ — ساداتِهـا وتفـانَتْ قيسُ عيـلان[4]

---

(١) سيحان وجيحان : النهران العظيمان المعروفان بـ (سيحون وجيحون) .
(٢) نجران : بلدة الشاعر وممدوحه سلطان القاسمي التي اندثرت كما يقول الحسن ابن أحمد عاكش في كتابه : الديباج الخسرواني ورقة ٨٢: (وضمد القديم كان بموضع مختارة التي بنى فيها الوزير الحسن بن خالد الحازمي قلعته وهو الذي سماها بهذا الاسم وكان **سالفا يسمى نجران**) .
(٣) جفنة : هو والد ممدوحي الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه الذي قال عنهم :
أولاد جفنـة حول قبر أبيهم — قبر ابـن ماريـة الكـريم المفضل
(٤) في سائر النسخ الخطية (غيلان) بالغين .

وهذه قصيدة أخرى من مطولات ابن هتيمل التي لم تنشر ضمن مختارات العقيلي ولكنها نشرت ضمن كتاب (العقود اللؤلؤية في أخبار الدولة الرسولية ج١ ص١٥٨ المطبوع سنة ١٣٢٩هـ بمطبعة الفجالة بمصر كما نشرت أيضاً في كتاب قصة الأدب في اليمن لأديب اليمن وشاعره الاستاذ/أحمد محمد الشامي، وتعتبر من غرر قصائده التي لا يوجد مبررٌ لبترها .

١٠ ــ قال ابن هتيمل يمدح المظفر الرسولي(*)

قل يانسيم لأهل الضال(١) والسَّمُرِ(٢) ماصد سامر كم عن ذلك السمَر
واشرح حديث الغضا والنازلين به وإن بخلت بشرح الكل فاختصر
وهات عن عطرات الحي ما حملت من مسكهن حواشي ذيلك العطر
ناشدتك الله لا وَرَّيْتَ(٣) عن خبر مما علمت ولا موهت في خبر

(*) المظفر الرسولي : هو يوسف بن عمر بن علي بن رسول أحد الملوك الرسوليين الذين وفدوا على اليمن في صحبة طغتكين بن أيوب من أصحاب جيشه وقصة تسميتهم بالرسوليين وقصة استيلائهم على الحكم مبسوطة في كتب التواريخ . انظر ص ١٩٣ من كتاب تاريخ اليمن الميمون للواسعي وانظر ج١ ص ٢٦ ــ ٤٤ من كتاب العقود اللؤلؤية للخزرجي . والمظفر ولد سنة ٦٢٠هـ تولى الملك في اليمن مدة تزيد عن أربعين عاماً توفى سنة ٦٩٤هـ . انظر ج١ ص ٢٨٣ من العقود اللؤلؤية .

(١) الضال : قال صاحب القاموس المحيط ج٤ ص٦ : الضال من السدر ما كان عذيا .

(٢) السَّمُر : بالتحريك شجر به شوك .. ولعلك تلاحظ ما بين السَّمُر والسَّمَر من جناس يكثر في شعر ابن هتيمل .

(٣) وَرَّيتَ : التورية أحد أبواب علم البديع وهو أن يذكر المتكلم شيئاً ويريد غيره . ومثله التمويه .

فتـــحت رمــــــزك سر ما نممت به ... إلا وأنت من الـــــــواشي على حذر

ما كان من سرحة الوادي أهل هصرت ... أغصانها[1] لتعاطـــي ذلك الثمــــــر

وهـل نشجن[2] قلـــوب اليهم غلتها ... من طلها الطلق أو من مائها الخصر[3]

ياصفْقَة الغَبْـــنِ غَرَّتْنـــي جُوَيْريـــةٌ ... فبعتُ قلبـــيَ منها بيعـــةَ الغَـــررِ[4]

باتَتْ تُروِّعُنِـــي بالبيْـــن طالبـــةً ... قَتْلي فلـــم تُبـــقِ في قتلي ولم تَذَر

خوطيـــةُ القـــدّ لا طولٌ ولا قصرٌ ... في قدِّهـا فهـيَ بين الطُّولِ والـقِصَرِ

حَيِيَّةٌ في مغيبِ الشّمس يَحجُبُهَــا ... عن أمِّهــــا وأبيها قُوَّةُ الخَفَــــر

حُوريَّـةٌ شَهِــدتْ آيــاتُ بهجَتَهـا ... ونورِهـا أنَّهــا ليسَتْ من الـــبشرِ[5]

كأنَّمـــا هيَ في تركيبِهـــا خُرطَتْ ... من صُورة الشّمسِ أو من صُورة القَمرِ

جسْمٌ أرقُّ من الخَمْرِ الشَّمُول على ... قلبٍ قساوتُـــهُ أقسىٰ من الحجـــرِ

إذا رمىٰ طرفُهـا عن قوسِ حاجِبِهَا ... أصمتْكَ بالرَّمْـي عن قَوْسٍ بلَا وتـرِ

ما أطيبَ العيشَ لولا علـةٌ حكَـمَتْ ... فينـا بموت الصِّبـا من ميتـة الشعـــر

فجَانبِ النـاسَ وانظُـرْ في تفاضُلِهـم ... إلى الطِّبـاع ولا تَنظُـــر إلى الصُّوَر[6]

فإن طمـــعتَ بفضْلٍ من يديْ مَلَكٍ ... فاطلبْ من اللّهِ واطلبْ من أبِي عُمَرِ[7]

---

(١) في نسخة (ج) «أعصانها» كما أثبتنا بعاليه وفي نسخة (م) «غصونها» .

(٢) نشجـن :قـال صاحب القامـوس المحيـط ج١ ص ٢٠٩ : النشج محركـــة : مجرى الماء .

(٣) الخصر : من الماء البارد . وعليـه يصبـح معنـى البيت : هل رويت الإبـل من ماء سرحة الوادي البارد المتفيِّيء بظلالها الوارفة؟؟

(٤) بيعة الغرر: نوع من أنواع البيوع المحرمة في علم الفقه وهـو بهذا يعـرض لنـا دليـلاً على ثقافته وسعة علمه وإحاطته بمعارف عصره .

(٥) هذا البيت غير موجود في نسخة (ج) .

(٦) يشير الشاعـر بهذا إلى معنـــى الحديث : (إن الله لا ينظـــر إلى صوركم وأبدانكـــم ولكن ينظر إلى قلوبكم) .

(٧) كان الأولى والأوجب أن يأتي بثم بعد قولـه : فاطلـب من الله . لأن الـواو تقـتضي التشريك وهو شرك بالله .

مولىً المُلوك الذي لو أنَّهُم وُزِنُوا | بظُفرهِ نقصُوا وزْناً عن الظُّفُـر[1]
أغـرّ بالشرف العْلـويّ رُتبتُـه | كرُتبةِ الخيلِ بالأوضَاحِ والغُـرَرِ[2]
مُظفَّـرٌ ما أتتْ من وقعـةٍ يَدُهُ | إلا مسوَّمـة الأظفـار بالظفـر
ترى المصانعُ والغيطانُ منه بشَمْـ | ـسيٍّ العداوةِ ليليّ السُّرىٰ نَهِـرِ[3]
لا يستريـحُ ولا يُفْضي به سفـرٌ | من بعـد همّتـه إلاّ إلى سَفَـر
هديٌ كهـدي رسول الله مُتَّبـعٌ | ما سارَ آل رسول الله في السِّيَـر
وعزمـةٌ كُلُّ حدٌّ من صرامتِهـا | أمضى[4] من الموت أو أمضى من القدر[5]
لو أن هيبتـه أو بعض هيبتـه | تلقـى على الفـلك الـدوار لم يدر[6]
أحيـا التبابـع والأذواء فاشتمـلت[7] | بالعـدل دولـة قحطـان على مضر

---

(١) هذه مبالغة لا تخرج عن مبالغات الشعراء الذين يذهبون بممدوحيهم كل مذهب ويرفعونهم إلى أعلى من السماكين .

(٢) الغرر : بياض في مقدمة الوجه تتزين به الخيول. والأوضاح : بياض في اليدين والرجلين منها .

(٣) ليلي السرى نهر : أعماله وجهاده مستمرة ليلاً ونهاراً .. وهذا الشطر يذكرني بقول الشاعر الراجز: لست بليلي ولكني نهر .

(٤) أمْضَىٰ : هكذا بالميم وردت الكلمة في نسخة (ج) أما في سخة (م) فقد وردت بالقاف : أقضى .

(٥،٦) في هذين البيتين مبالغات في المدح فليس هناك أمضى من القدر ولا من الموت لا ممدوح شاعرنا ولا ممدوحو سواه من الشعراء وكذلك فلن يتوقف الفلك عن الدوران وتعاقب الليل والنهار من هيبة ممدوح ابن هتيمل ولا هيبة ممدوح أي شاعر سواه ولكنها المبالغة التي يذهب اليها كثير من الشعراء وترتفع إلى ظلالها خيالاتهم . والكلمة الأخيرة في البيت : (لو أن هيبته ...) : (يدر) جاءت في نسخة (م) بالتاء : (لم تدر) .. ولعل ما رسم بعاليه هو الصواب والأقرب للمعنى .

(٧) التبابع والأذواء : التبابعة بعض ملوك اليمن قبل الإسلام وكذلك الأذواء ومنهم : ذو يزن .. وذو رعين.. .

وجال في الأرض حتى قال ساكنها ... هذا خليفة ذي القرنين (1) والخضر

يايُوسُفَ الحُسْنِ والإحْسَانِ يامَلِكَ الدْ ... دُنْيَا وَمَالِكَ أَهْلِ الْبَدْوِ وَالْحَضَرِ

إنّ الخلافةَ قد أَمَّتْ وقد فَنِيَتْ (2) ... عَنْها مُلُوكُ بني العباس والتَّتَرِ

وإن طلبتَ مطاراً للتّي **عضلتْ** ... فقد وَجَدْتَ جَناحاً طَائراً فَطِرِ

هذا قميصُكَ إمَّا قُدَّ من قُبُلٍ ... كابنِ النبيِّ وإمّا قُدَّ من دُبُرِ (3)

فانهضْ لعذرتِها واعلَمْ بأنّكَ إنْ ... أهملْتَهَا كانت الإحْدَىٰ من الكُبَرِ

وما أظنُّ قناةَ الدّين إن عُجِمَتْ ... إن لم تطاعن بها تخلُو عن الخَوَرِ

يَهنَىٰ دُثينةَ أَنَّ الله ظَفَّرهَا ... من الدآدي(4) ببيض البيض والغُرَرِ

غُرِّ الجحافل حِصْنَيْهَا وماعِلِمُوا ... أَنَّ الزُّجَاجَةَ لا تَقْوىٰ على الحجرِ

أُرْسِلْتَ صاعقةً في غيم بارقةٍ ... تُرْدي وتَبْرُقُ في رعدٍ بلَا مطرِ

فسلَّمُوا الخيلَ واعتاضُوا بها حُمُراً ... فاعجبْ على حُمُرٍ مِنْهُمْ على حُمُرِ

أعميتَهُمْ فتمنَّوا أنَّهم خَلَصُوا ... عُوْرَ العيونِ ومَنْ للعمي بالعَوَرِ

جاءوكَ ياشمسُ أرسالاً وقد بَذلُوا ... لكَ الحكُومةَ في الأُنثَىٰ وفي الذَّكَرِ

---

(1) ذو القرنين والخضر عبدان من عباد الله الصالحين ورد ذكرهما في سورة الكهف. والأخير كانت له قصة ذكرها القرآن مع سيدنا موسىٰ عليه السلام .

(2) أَمَّتْ : أصابها الضعف والوهن الذي آل بها إلى الفناء والزوال .

(3) **يشير إلى الآيتين الكريمتين ويضمنهما:** ﴿إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين•وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين﴾ [سورة يوسف ٢٦،٢٧] **في قصة سيدنا يوسف عليه السلام .**

(4) الدآدي : قال صاحب لسان العرب ج٤ ، ص ١٤٧ هي آثار أراجيح الصبيان . ومعنى البيت أن الله عوضهم عن بقايا الأراجيح ببيض السيوف. وتأتي الدآدي بمعنى الليالي المظلمة .. والبيض : الليالي البيض، وهي ليالي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر فهي ليالٍ مقمرة، ويصبح المعنى حينئذ : إن الله عوض دثينة عن الليالي المظلمة **بالليالي المقمرة** أي أنها قد حصلت على عوض أفضل .. وخرجت من الظلمات .

اسمعْ بقيتَ مصُوناً عَنْ منافَسةِ الْـ أَغْيَارِ في المُلْكِ محْروساً (من الغِيَرِ)[1]
إنّي أمرؤٌ في فَمِي[2] ماءٌ وفي كَبِدِي جِراحةٌ من أميرٍ غيرِ مُؤتَمِرِ
قدْ ذُقْتُ من غُصَصِ الدنْيَا وفجْعَتِهَا ما كان منه جميلُ الصبْرِ كالصَّبِرِ[3]
إنْ جَرْجَرَ[4] العَوْدُ[5] فانظرْ مابِغَارِبِهِ[6] فإنَّهُ إنْ رَغَىٰ[7] يَرْغُو مِنَ الدَّبَرِ[8]

(١) (من الغير) هكذا جاءت (من) في نسخة (ج) أما في نسخة (م) فقد أتى الحرف (عن) بدلاً من الحرف (من) والأغيار : جمع (غير) ومعنى الكلام : بقيت مصوناً عن منافسة غيرك أيا كان .. الغير : من تغير الحال وهو اسم من التغيير . يقال : غَيَّر الدهر أحواله المتغيرة : بتصرف عن لسان العرب ج٦ ص ٣٤٥ .

(٢) إني امرؤ في فمي ماء : تعبير بلاغي جميل ومعروف ولكنه قد اكتسب جمالا بحسن المقابلة التي أجراها الشاعر حين قابل برودة الماء في فمه .. بجراحة في كبده .

(٣) الصبر كالصبر : جناس غير تام تغير الشكل ؛ فالأولى الصبر على الشدائد والثانية شجر مُرٌّ المذاق .

(٤) جَرْجَرَ : قال صاحب لسان العرب ج٥ ص ٢٠١ : الجَرْجَرَة ترديد الفحل للهدير وهو صوت يردده البعير في حنجرته. وقال أيضاً : والجرجرة : صوت البعير عند الضجر . وفي المثل (إن جرجر العود فزده وقرا) .

(٥) العَودْ : الجمل المسن ، قال الجوهري في الصحاح : هو الذي جاوز في السن البازل . وقيل هو الذي مضت له ثلاث سنين أو أربع بعد بزوله .

(٦) الغَارِب : قال صاحب لسان العرب ج٥ ص ١٣٧ : الغارب : الكاهل من الخف .. وهو ما بين السنام والعنق .

(٧) رغىٰ يرغو : اسم صوت البعير ، يقال : رغاء الابل ــ والمقصود يرغو البعير مُتَألِّماً من شدة جراحه .

(٨) الدبر : قال صاحب القاموس المحيط : بالتحريك : قرحة الدابة وقال صاحب لسان العرب ج٥ ص٣٥٩ : الدبر : الجرح الذي يكون في ظهر الدابة ويقصد الشاعر تشبيه حاله وقد لجلج عن بعض معاناته التي لم يساعده على شدة تحملها سوى كبر سنه وطول خبرته بالحياة والأحياء .. بحال الجمل المسن الذي يتحمل الأسفار المتواصلة ويتحمل الأثقال حتى إذ زادت الجراح بمقدمة سنامه ـ

فَانْظُــرْ إلــيَّ بعيـــنٍ منكَ رَاحمةٍ لا تَقْصدَنْ غيرَ وجهِ اللّهِ في النَّظَرِ
والبَسْ من الحبــرِ الموشيِّ مُذْهَبَــةً يُنسيكَ مُذْهَبهــا موشيَّـــةَ الحبَــرِ

= جَرْجَـر من شدة الضجـر . وهـو يطـلب من ممدوحـه أن يدرك حالــه ويــداوي جراحه .

١١ ـ وقال يرثي شجاع الدين : القاسم بن علي الذروي صاحب صبيـــاء

الـرُّزْءُ أَهْــوِنُ أَنْ يكـــونَ عظيمـــاَ والحُـــزْنُ أَقلُ[١] أن يكـــون أليما
فَقْـدُ العيـــونِ الشَّمْسَ أودَىٰ علَّـــةً من فقدهـــنَّ أهلَّـــةً ونُجُومَـــا
ومصائبُ الثقــــــــلين إلاَّ هذِهِ جَللٌ ، وإنْ رُزِئَ الحميــمُ حميمـاً
روحُ النَّدىٰ قُبِضَتْ وكان بقاؤُهَـــا في الخَلْـقِ أرواحــاً لها وجُسُومـاً
وهـي الحيـاة تَرَحَّـلَتْ أفَـلا تَرَىٰ؟ ذَافي حَيـاتِك ظَاعنـا ومُقيمَـــا؟
أُفاً[٢] على الدنيا فما خُلِقَتْ لأَنْ تَبْقَــىٰ لخَاطِبِهـــا ولا لِتَدُومَـــا
تَرْعَـىٰ المنايَـا السائمــات نُفوسَنَـــا رَعْـيَ السوامِ الشّيْــحَ والقيصُومَـا
وتَلُسُّ[٣] عُمْـرَ صغيرنَـا وكبيرنَـــا لسَّ البهائم بَارِضاً وجَميمــــاً[٤]
لا يُشبِعُ الـرطبُ الجنـيُّ جِياعَهَـــا عن أكْلِهَا الْخِيطَانَ[٥] ... والتُّنومَـا[٦]
وَمِـــنَ البليَّـــة في الرزيَّـــة أَخذُهـــا منِّي الشُّجَاعَ[٧] وتركُهَا العُلْجُومَا[٨]

---

(١) هكذا في النسختين المصورتين ولعلها : (أفٍّ) .

(٢) تَلُسُّ : تأكل . لسَّ البهائم : أكل البهائم .

(٣) بارِضاً وجميما : البارض : أول ما يظهر من نبت الأرض قبل أن تعرف أنواعه قال لبيد : (يلمج البارض لجاً في الندى من مرابيع رياض ورجل) لسان العرب ج٩ ص٣٨٥ . الجميم : مرحلة ما بعد البارض؛ فإذا تعاون بارض الأرض وطال تبين نبته صار جميما . المصدر نفسه .

(٤) الخيطان : جمع خُوط . وهو الغصن الناعم .

(٥) التنُّوما : شجر له حمل صغار كمثل حب الخروع ويتفتق عن حَبٍّ يأكله أهل البادية اللسان ج١٤ ص ٣٣٨ .

(٦) الشجاع : وصف للشديد المقدام من الرجال ومن معانيه ذَكَرُ الحيّة . القاموس المحيط ج٣ ص٤٣ .

(٧) العُلْجُومَا : من معاني العلجوم : الضفدع الذكر. أو الثور المسن . وقيل الجماعة من الناس اللسان ج١٥ ص ٣١٦ كأنَّ الشاعر يريد القول : من رزايا البلايا أن =

بَكَرَتْ عليَّ تَلُومُ في نَوْحِـــي وفي ... جَزَعـي وفي ولَهِـي وَلَسْتُ مَلُومَـــا
عَذْلٌ تُحَمِّلُنـــي به من جَهْلِهـــا ... ومِنَ السفَاهـةِ أن تكـونَ حليمَـــا
قالتْ تأَسَّ فقبْــــــلَ قاسمَ جدُّهُ ... ما يومُ آزَرَ مثـــــل إِبْراهيمَـــــا
ياقَاسمُ بنَ علـيّ مَنْ لخصَاصَةِ الـرَّ.. ... كْبِ الخمَاص ومـن يبلّ الهِيمَــا[1]
ومَنِ الزَّعيـــمُ إِذَا سليمـــانٌ غَدَتْ ... فَوْضَىٰ ولم يرَ للخمـــيس زَعيمَـــا[2]
ومَـنِ المغيثُ إذا الجهاتُ تعـذَّرَتْ ... بَنوالِـــــه المرزوقَ والمحرومَـــــا
ماذا؟ إذا أمُّ الكتــائب أقْبَـــلتْ؟ ... للحـــرب ردَّ أمَامَهُـــنَّ أَمِيمَـــا
(وأبيك)(*) ماخلَّفْتَ بعدكَ سيِّداً ... في الخافقيْـــنِ ولا تَرَكْتَ كَريمَـــا
وَلَـــدَتْكَ أمُّ الجود ثُمَّتَ أُعقِـــمَتْ ... بَعْـــداً فكَـــانتْ والـــداً وعَقيمَـــا
ولقـد وزنتُ بكَ الـورىٰ فوزَنْتَهُـــمْ ... حِلْماً وهـم زِنَـةُ الجبـال حُلُومَـــا
فإذا اختُبِـــرْتَ فأنتَ أغـــــزرُ ديمةً ... وأجـــلُّ أبهة وأكـــرَمُ خِيمَــــا[3]
جهلـتْك أمـــةُ أحمد إذ ضيَّـــعت ... بركـوبك الْخَطَر العظيـــمَ عَظيمَـــا
لَوْ أنَّهـــم وفَّـــوْكَ حقَّكَ كُلَّـــهُ ... صَلُّواْ علـــيكَ وسلَّمُـــوا تسليمَـــا

= تسلبني الثعبان وتترك لي الضفـــدع أي أنها تأتي على ذوي المكانـــة والسطـــوة وتَغْفَلُ عَمَّنْ لا أهمية لهم .

(١) الخصاصة : الحاجة ــ الركب الخماص : الجياع . يبل الهيما : يروي ظمأهم .

(٢) سليمـان : نسبـة المخلاف السليمـاني ــ إلى سليمـان بن طرف الحكمي ويـــقصد الشاعـر بالسليمانيـة هنـا آل سليمـان بن داود أجداد الممـــدوح ــ الخمــــيس : الجيش .

(*) هذا قسم بغير الله غير جائز وهو شرك به تعالى .

(٣) حيما : الحيم : أكثر موقع في البحر عمقـا . فممـدوح الشاعـر ديمته غزيـرة وبحره عميـق عميـق: وهاتـان كنايتـان عن كرم ممدوحـه وسخائـــه. وفي بعض الـــنسخ الخطية جاءت الكلمة بالخاء : (خيما) ومعناها : سجية فممدوحه أكرم سجية .

لَخُلِقْتَ نِحْرِيـراً لَبِيـاً حازمـاً برّاً ـ رؤوفـاً بالعبـاد رحيمَـا[1]
فَكَفَـلْتَ أطفـالَ المعـالي بَعْدَمَـا يُتِّمتْ، ورَبَّـيْتَ السمَـاحَ يتيمَـا
فكأنّمـا كانتْ علـيك أَلِيَّـةٌ[2] ألاَّ تمُوتَ ومَا وجَـدْتَ عَدِيمَـا
بؤساً لدهـرٍ غيبَّـتْك صُرُوفُـهُ عنَّـا فمـا تَرَكَ النعيـمَ نَعيمَـا
قَنَصَ البـزاةَ الشُّهْبَ في أَشْرَاكِـهِ بالغـدر واخْتَـرَمَ القَطَـا والبُومَـا
أَرْدَىٰ كلـيب وحـاجبَ بنَ زرَارةٍ فَضْعـاً ودَمَّـنَ وائِـلا وتَمِيْمَـا
وذَوَتْ علَىٰ الأَذْوىٰ[3] وأتْبَعَ مكْرهُ كِسرْىٰ وأَتْبَـعَ قيصراً والرُّومَـا[4]
وسطَـا على لَخْـمٍ وآل مُحـرِّقٍ فَتَخَـرَّمَ النعمـانَ[5] واليَحْمُومَـا
ودهَـا بيـوم الطَّـفِّ آل محمـدٍ رُزْءاً. وهَـدَّ بخالـدٍ مَخْزُومَـا
وبنـو أُميَّـةَ لم تَزَلْ نكباتُـهُ يَهْمِيـنَ أو ترك الأَغَرَّ بَهِيمَـا
وتنـاولَ السفـاحَ والمنصورَ والـ ـمهـديَّ والمأْمُـونَ والمعْصُومَـا[6]
صورٌ ملكْـنَ الأرضَ ثُمَّتَ أصبحَتْ أشلاؤهَـا تحت التـراب رَمِيمَـا

---

(١) في هذين البيتين مبالغات غير مستساغة جعل ممدوحه من المصطفين الاخيار بل تمادى في المبالغة فجعله «براً رؤوفاً بالعباد رحيماً» .

(٢) ألية : قسماً أو عهداً .

(٣) الأذوى : عرفت دولة الأذواء باليمن . ومن أشهرهم : (ذويزن) .

(٤) في هذا البيت والستة الأبيات التي تليها : (أردى كليب ...)الى : (تحت التراب رميما) في هذه الأبيات يستقريء الشاعر تاريخ الأمم وأحوال الملك ممن أتى الدهر على سلطانهم وكأنه يحاول التأسي عن ممدوحه الذي يرثيه أو يواسي ذويه فيه

(٥) النعمان بن المنذر : أحد ملوك الحيرة العظام . واليحموم اسم فرس كان للنعمان ابن المنذر سمي يحموماً : لشدة سواده . انظر لسان العرب ج١٥ ص٤٧ وقيل فرس للحسين بن علي وقيل فرس لهشام بن عبد الملك وقيل فرس لحاتم الطائي . والأول أقرب الى قصد الشاعر . القاموس المحيط ح٤ ص١٠١

(٦) ربما يكون قصد الشاعر بالمعصوم الخليفة المعتصم .

أَغَنْـيتَ عن ملكٍ سواكَ فلـم أَزرْ مِصراً ولا حلبـاً ولا إحميمَـا[1]
ووردتُ بحرَكَ فاغتـرفتُ بحصرمٍ[2] يُمسي ويُصبِـحُ لجُـهُ مَوْغُومَـا
فَحَبَوتَنِي المطْبُـوعَ والملبُوسَ والْـ ـمَرْكُـوبَ والمشْرُوبَ والمطْعُومَـا
ولـو انَّ عُمـرِي تَمَّ فيـه قِسمـةٌ بَيني وبيـنَكَ كنْتَ فيـه قَسيْمَـا
سَأُقِيـمُ بعـدَكَ مأتَمـاً أبكـي به عقـلات[3] عيشي طَارِقـاً ومُقيمَـا
وحديقـةً غنـاءَ أصبـحَ بيتُهَـا بَنـواكَ تذروهُ الريـاح هَشِيمـاً
رَضاً لفيَّ[4] إن اغتذىٰ من بعدِ مُخْـ ـخِ الحنطـةِ الغسليـنَ والزَّقُومَـا
ومنيتُ بعَـدَك إن بقـيتُ لسيِّـدٍ لَحْـزٍ[5] يبدِّلُنـي بيُمْـنِكَ شُؤْمَـا
وكَفىٰ بطـول حيـاةٍ من خَوَّلتَـهُ لَوْمـاً[6] علـىٰ طول الحيـاة ولُوْمَـا

---

(١) إحميماً : بلدة بالشام، لسان العرب ج١٤ ص ٤٩ .

(٢) حصرم : ملأ القربـة .. وقيـل بحصرم : بماء زَبَدُه مُتَفَـرِّقٌ لشدة برودتـه . محيـط المحيط للبستاني . ص١٧٣ .

(٣) عقـلات عيشى : العقـل الديـة : يقـال عقلـه : وَدَاه ص ٣٧ تاج العـروس ج٨. والمعنى : يقول الشاعر : سأقيم بعد موتك مأتماً أبكي فيه ثمن عيشي الهانيء بجوارك والذي مات هناؤه مع موتك .

(٤) رضًّا لفيَّ : يدعو الشاعر على فمـه بالـرضوض إن استعـاض عن ممدوحـه بممـدوح آخر يجعل حاله كحال من يستعيض عن الغذاء بالحنطة بالغسلين والزقوم .

(٥) لَحْـز : من معـانيها : بخيـل . انظـر المعجـم الوسيـط ج٢ ص ٨١٧ ولا شك أن معناها : البخيـل هو الأقـرب إلى المعنـى الـذي يقصده الشاعـر فالبخيـل هو الـذي سيبدل حياة الشاعر بعد النعيم شؤماً .

(٦) لؤما .. ولوما هنا جناس وأكثر ما نجده في شعر ابن هتيمل .

١٢ ـ قال يرثي الإمام[١] المهدي صاحب ذيبين [*]

أقسمتُ أحلفُ صادقاً وأنَا الذي ... ماقــطّ أحلـــفُ آثما بيمنـــي
أن الشجاعةَ والسماحــةَ والنَّـدىٰ ... حلَّت بقبــرٍ في رُبَــا ذِيبَيْـــن
في الدَّرب لا بَرِحَ الغَمَامُ يَجُــودُه ... قَبــرٌ به علـــمُ الهدىٰ والديـــن
حيثُ الإمامُ ابنُ الحسيــنِ مُخيِّــمٌ ... ياحبَّـــذَا من طاهـــرٍ وأمين
حيث ابنُ فاطمةَ الإمام مضمَّـــخٌ ... بَدَم الشهــادة ثَاويــاً في الـــطين
ذاكَ الــذي أحيــا شريعـــةَ جده ... بحُسَامــــه وأَذَلَّ كُلَّ قريـــن
ونَفىٰ الضلالَةَ والجهَالَــة وانثنـىٰ ... لجهـــاد أهــل الشرك والتَّبْـــطِين
فَبَــغَتْ عليــه أُمَّـــةٌ ضِلِّيلَـــةٌ ... ظُلمـــاً بغير دَلَالَـــةٍ ويـــقين
قَتَلَتْ إمامــاً كان سيِّــدَ مَجْدِهــا ... وأعزَّهـــا من هاضِمٍ ومـــهين
وجَرَتْ على الأعمىٰ[٢] معاد سنائه ... ونَفَتْ عن المجنون طيــف جنــون
ما كان يوم فراقـــه في عصرنـــا ... إلاَّ كَيَـــوْمِ الطَّـــفِّ أو صِفِّين
ماكان أحمدُ حائـــــداً عن ضِدِّه ... كلاَّ، ولا عنـــــد المدىٰ بضنين[٣]

(*) هذه القصيدة نقلتها عن مخطوطة : (مطلع البدور ومجمع البحور) لأحمد بن أبي الرجال ولا توجد لدى صورة لها من المخطوطة . وقد قال ابـــن أبي الرجال بعد البيت الأخير هذا ما حضرني من القصيده . وقد بحث عنها في صور المخطوطات الخمس المتوفرة لدى من ديوان الشاعر فلــم أجدهـــا .. وربما تكون في قصائد لا يضمها الديوان .

(١) الإمام المهدي :هو أحمد بن الحسين بن القاسم بن عبد الله المهدي أحد أئمة اليمن في القرن السابع الهجري كان من أعلم أهل زمانه وأخبرهم بالأمور وكان كريماً جواداً مات شهيداً سنة ٦٥٦هـ انظر تاريخ الواسعي ص١٩٧ ج١ الدار اليمنية والعقود اللؤلؤية ج١ ص١٢٤ــ١٢٥ . وانظر ج٣ ص١٨٢ من كتاب تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي لأحمد محمد الشامي .

(٢) في الأصل كتبت هكذا : الأعما

(٣) ضنين : بخيل وشحيح .

أَغْنَــىٰ الفقيــرُ ولم يردَّ مُؤمِّـــلاً   لَمَّـــا أتـــاهُ خائبـــاً بظنـــون

بل كانت الأيـــامُ مشرقـــةً له   وسنينُـــهُ أُزْرَتْ بكـــل سنين

فَثَوىٰ فأظلمت البـــلادُ وعُطِّـلتْ   تلك السنـــون وخـــابَ كلُّ أمين

فعليـــه منّـــي ألـــفُ ألـــف تحيـــةٍ   وعـــدوُّهُ المسجُـــونُ في سجِّين

من لم يزرْ قبر النبِّـــــي بيثربٍ   فعليـــه بالمهـــديِّ في ذيـــبين[1]

(١) بالغ الشاعر في زيارة قبر ابن الحسين مبالغة غير مقبولة وإن كانت زيارة القبور عامة سنة للرجال دون النساء وزيارة قبر الرسول عليه السلام من القرب لأنها تأتي بعد زيارة المسجد النبوي الذي جعله الرسول ثاني ثلاثة مساجد لاتشد الرحال إلا إليها فهي أفضل من زيارة قبر ممدوح الشاعر ولاشك أن هذه مبالغة من الشاعر غير مقبولة .

١٣ ــ وقال في العتاب : معاتباً قومه

أَبـىٰ الله أن يمضِي الزمــانُ وأنتــمُ ... عليَّ يدٌ ياآل عمــرو بن عامــر(١)
ثُلَاقُونَنِـــيْ كُلٌّ مِصرٌ ضَغِيْنَـــةً ... بَوَاطِنِكُـــمْ فيها خِلَافُ الظَّواهِـــر
رجالُكُـم مثـل الطَّـلا(٢) ونساؤكُـمْ ... لَهُنَّ اصطخَابٌ كاصطخَابِ الضرائـر
أمن خيفة المولىٰ اقشعرَّتْ جُلُوْدُكُمْ ... وصارَتْ قلـوبٌ منكُـمُ في الحَنَاجـر
دعُـوني فمـا أُرتَـابُ مِنْ خَذْلِ خَاذِلٍ ... ولا أَتَرَجَّـــىٰ منكُـــمُ نَصْرَ ناصر
فو الله ماطـــيبُ الحيـــاة بنَافِـــعٍ ... ذليـلاً ولا خُبْثُ المَمَـــات بَضَائِـــر
مع الـــعُسْرِ يسرٌ والأمــورُ يَحلُّهـــا ... عن الحالـةِ الأوْلَـى صُرُوفُ المقَـــادِر
وفي الله لي ظَنٌّ فَيـــارُبَّ عاجِـــزٍ ... أُديـــلَ على مَاضِي(٣) الْعَزِيمَـــةِ قادر
وطالعـــةُ الأفـــلَاك غيـــرُ طَوَالـــعٍ ... ودائـــرةُ الأفْلَاك غيـــرُ دَوائـــرِ
إذا كان حلـوُ العـــيش تحتَ مذلَّـــة ... سَعَيتُ لمُرِّ العيش تحتَ الحَوافِـــرِ
فإنْ لم يكـنْ لي من جِوَار بَنـــي أُبي ... رفاهيـــةٌ جاورتُ أهـــلَ المقَابـــر

---

(١) الشطـر الثـاني غير مستـقيم الـوزن وكـذلك مضطـرب المعنـى لخلل وقـع فيـه ربما بسبب سقط بعض الحروف .

(٢) الطَّلاء : تأتي بمعنى: الذئاب وحذفتِ الهمزة للضرورة الشعرية !

(٣) ماضي العزيمة : مضى السيف مضاء صار حاداً سريع القطع، يقـال : هو أمضى من السيف (المعجم الوسيـط ج٢ ص ٨٧٥) والمعنـى (رب عاجـز ضعيـف نصر على نافـذ الغريمة قويها فهزمه) .

١٤ ـ وكتب إلى موسى بن علي الكناني في حلي يعاتبه قائلاً

مَدَحْتُكَ مدحاً لو مَدَحْتُ ببعْضِه   وأدناهُ صُمُّ الصَّخْرِ جَادَتْ جَنَادِلُه
فما زادني حَظًّا لديكَ فَصاحَتي   ولا أَنْزَلَتْنِي منزِلاً أَنا نَازِلُه
فو الله ما أدري لأيِّ إرادة   جفاؤك لي أو أيَّ أمرٍ (تُحَاولُه)[1]
وَمَالَكَ لاَ سَاويْتَ بِي من رَفَعْتَهُ   عَلَيَّ، ولا مَاثَلْتَ بي مَنْ أُمَاثِلُه
فهْبنَي فَهّاً[2]، لا أَفُوهُ بِلفْظَةٍ   ولا أُحْسِنُ القولَ الذّي أنا قائِلُه
أَمَا بيننَا وُدٌّ قديمٌ مؤكدٌ ؟   أواخِرُهُ مَحْفوظَةٌ وَأَوائِلُه

١٥ ـ وقال يعاتب الأمير علي بن محمد الخواجي [3]

عجباً يامحمدُ بن علي بن أبي طالبٍ بنِ عبد مَنَافِ
ياصلاحَ الصلاح ياأجْودَ الأجْواد حقاً ياأشرفَ الأشرَافِ
كيف أخلفتَنِي ومثلُك لا يقدِمُ في وعده على الإخلاَفِ
ليس ضدّ الوفاء من شِيَم الحُرِّ ولا من شرائِطِ الإِنْصَاف
أتعمَّدتَ قطع جاهيَ؟ أمْ أَغرَاكَ في قطعهِ أَبُو العُرَّافِ

---

(١) في نسخة (ج) بالألف «أحاوله» والاسناد هنا للشاعر بخلاف ما في نسخة (م) المثبت أعلاه .

(٢) فهّاً : الفهاهة : هي العيّ . جاء في أساس البلاغة : رجل **فهٌّ** وامرأة فَهَّة ص ٤٨٦ .

(٣) في نسخة (ج) لا ذكر للكلمة : «الخواجى» وإنما جاء فيها العنوان هكذا : «وقال يعاتب الأميرعلي بن محمد ويعاتبه » ومطلع القصيدة يشير إلى أن المعاتب اسمه : محمد بن علي وليس علي بن محمد وهذه الشخصية لم أجد لها تعريفاً فيما بين يدي من المصادر .

غَشٌّ في نُصْحِهِ، وقد يَحْطِمُ الصَّعْدةَ[1] حِيْناً مُقيمَهَا بالثِّقَافِ
فإذا كَانت القوَادمُ[2] لا تعرفُ حقّي بَسطتُ عذرَ الخَوافِي[3]
وتَـفضَّلْتَ بالمئين وأتْبَعْتَ هِبَاتِ الألُوف بالآلاف
وملأتَ المِخْلاَفَ جُوْداً، فِقارُوْنُ فَقيرٌ في سَاكِنِي المِخْلاَفِ
كرم ما (جمحْتَ)[4] فيه إلى القَصْدِ فأسْرفتَ غايةَ[5] الإسراف
ومَسَاعٍ كَسرن كسرى وعفّينَ مَسَاعي سَابُورَ ذِي الأكْتَافِ
كلَّما جرَّ مُتْرَفُونَ .. ذُيُولَ الفسْقِ تِيْهاً.. جَرَرْتَ ذَيْلَ العَفَافِ
ياأبا عبدِ اللّهِ أحلَلْت في الحج الجَدَا والنَّدَا بترك الطَّواف
قَدْ لَعمري خَفَّفْتُ عنكَ فَمَا سَلَّمتُ حتَّى هممْتُ بالإنصرَافِ
وتَجَافِيْتُ عن سؤالك حتى إنَّنِي قَدْ حَمدت غِبَّ التَّجَافِي
جئتُ مستلطِفاً فكنتُ كمستَسْقِي عادٍ في سورةِ الأحْقَافِ
وبِوُدِّي لوْ اعتذرتَ لسامحتُ ولكنْ أسعفتَ بالإسعَافِ
هبةً كنتُ حاملاً جَبَلَ الطور بهَا أو مُكَلَّفاً حملَ قافِ

---

(١) الصعدة : القناة المستوية التي تستخدم للرمح القاموس المحيط ج١ ص ٣٠٧ .. والثقاف : ما تسوى به الرماح يقال : ثقَّفه تثقيفاً : أي سوَّاه . القاموس المحيط ج١ ص ١٢٠ يقال ثقف الرجل ثقافة : أي صار حاذقاً .

(٢) القوادم : ريش في مقدمة الجناح/ القاموس المحيط ج٤ ص ١٦٢ قال صاحب محيط المحيط : هي ريشات عشر في مقدمة الجناح واحدها قادمة . محيط المحيط ص ٧٢٠ .

(٣) الخوافي : ريش في مؤخرة الجناح! قال الزمخشري : وليس القوادم كالخوافي . أساس البلاغة ص ١٧١ .

(٤) في نسخة (م) : جمعت . بالعين وليس بالحاء .

(٥) في نسخة : «أشرفت» بالشين . ولعلها بالسين أصوب .

هيَ في القَدْرِ طُعْمَةُ الشَّاحِذِ المَرْذُولِ مثلَ أُجْرةِ الإسكَافي[1]
خطرٌ تافِهٌ وقد كُنْتُ لو تَمَّ أُجَازي عنْ مثلِه أو أكافي
بعقودٍ من لُؤْلُؤِ الفكر أَنْهَىٰ من عُقُودٍ من لُؤْلُؤِ الأصْدَاف
كَلِمٌ لا يُرِيبُهَا كَلِمُ الشِّعرِ ولا تُشبِهُ القَوافي القَوافي
ومنَ الغَبْنِ أن ضَنَنْتَ على نفسك منِّي بِحُلَّةٍ أَفْوَافِ
لي (مشتىً)[2] في غير قومي وكَمْ من مَرْبَعٍ فيهِمُ ومنْ مُصطَافِ
أنكَرَتْنِي أَرْضِي فعَرَّفَتْنِي أَرْضاً سِوَاهَا(خَفِيْفَةَ)[3] الأخْفَافِ
بَلْدَةٌ مَا قُرَيَّةٌ يَنفَقُ الدُّرْدِيُّ[4] في أهلِها نَفَاقَ السُّلَافِ[5]
ويُبَاعُ المحَّانُ[6] فيها ويُزْرِي الودْعُ[7] فيها بالجَوْهَرِ الشَّفَّافِ
هبْ ونَازِلْ فيهَا فما سمن الأعجَاف إلاَّ مَعَ الجُسُومِ العِجَافِ
واجتَنبْ خُلَّةَ اللِّئَام فَخلاَّنُ القَوافِي مثلُ السباع القوافي[8]

---

(١) الإسكافي : الخراز (أساس البلاغة ص ٣٠٣.. وقيل كل صانع، القاموس المحيط ج٣ ص ١٥٣) .

(٢) كلمة (مشتىً) غير موجودة في نسخة (ج) وترك مكانها بياض .

(٣) في نسخة (ج) «خفيَّة» .

(٤) الدُّرْدِي : مارسب أسفل العَسَل والزيت ونحوهما من كل شيء مائع وميل الخميرة تترك على العصير ليتخمر وفي الحديث (أتجعلون في النبيذ..) انظر المعجم الوسيط ج١ ص ٢٧٨ .

(٥) السلاف : أفضل الخمر وخالصه . (المعجم الوسيط ج١ . ص٤٤٤) .

(٦) المحان : الثوب الخلق . القاموس المحيط ج٤ ص ٢٧٠ .

(٧) الودع : خرز بيض جوف في بطونها شق كشق النواة . المعجم الوسيط ج٢ ص ١٠٢١ .

(٨) القوافي : التي تقفو الأثر وتتبعه . المعجم الوسيط ج٢ ص ٧٦٦ .

١٦ ـ وقال ناصحاً قوم الشريف محمد بن قاسم المهدي بالتحـــول إليـــه

بنـــي عمِّنَـــا إن التَّحَـــوُّلَ خُطـــةٌ ... على الرَّحم الأقْصىٰ فكيفَ على الأدنَا[1]
اقِيـمُ على السوأىٰ إليكـمْ ولم يَكُـــنْ ... من الرأي إلا أن تُقيمُوا على الحُسْنَىٰ
إذا أنتـــمُ لم تأنفـــوا العـــارَ لم تَزَلْ ... وُجُوْهُكُـمُ سُوداً، وألسنُكُـمْ لُكْنَـــا
دعـوا خَيْمَتـيْ نجرانَ إن سرُوْرَكُـــمْ ... بعَقْوتَهـا أضحىٰ بعقوتهَا[2] حُزْنَـــا
ولا تَسترِقَّـــنَّ الديـــارُ قلوبَكُـــــمْ ... فمـا عيشُهـا خَفْضاً ولا ماؤُهـا يَهْنَا
فإنـــــيَ قد فَارَقْتُ سادةَ أهلِهَـــــا ... غُلَامـاً فلـم أقْرَعْ لفُرقتِهِـمْ سِنّـــاً
نَزلتُـــمْ على قومٍ تَبِـــيتُ عُيُوْنُهُـــمْ ... لحفظكـم يَقْظىٰ وأعينكُـــمْ وَسْنَـــا
إذا آنَسُوا من جارهـــــم بخَصَاصَةٍ ... أنالـوه من هُنَّا وهُنَّـــا ومـــن هُنَّـــا
هم اكتنفـوا موسىٰ وعـيسىٰ وأبدلُـوا ... عليّـــاً ووهّـــاساً بخوفِهِمَـــا أمْنَـــا
وآوَوْا أبـا بكـر بن عيسىٰ وأسكنـوا ... صلاحاً ويحيىٰ[3] خيرَ دارهِـمُ سُكْنَا
فلوا كان حكـمُ الموت يُدْفَعُ دافعـوا ... عن الجار ضَربـاً بالصوارم أوْ طَعْنَـــا
فإنْ أنتَ جَاوَرْتَ امـرءاً ليس منهُـمُ ... فَخَفْ يَدَهُ اليُسْرىٰ ولو كنتَ في اليُمنىٰ
وماشرفـــاً (حب) (ورأس ذمَرْمَـــر) ... بأحصنَ من مهـديّ قاسمِهِـم حِصْناً
أميـــرٌ رأىٰ فرضَ الكفايــــة نَاقِصاً ... فَسَنَّ من الجُـود الرَّسُولـــيِّ ماسَنَّـــا
وأُقْسِمُ مامَــــرَّتْ من الدهـــر ليلـــةٌ ... عليـه ومـا أغنـىٰ الفـقير ومـا أقنـــىٰ

---

(١) (أرثـا) : هكـذا في النسخـة المصورة عن معهـد المخطوطـــات العربيـــة وصوابها : (الأدنى) .

(٢) عقـوة : العقـو والعقـا .. الموضع المتسع أمـام الـدار ، المعجـم الوسيـــط ج٢ ص ٦١٩ والمعنى أن سروركم بفسحة خيمتي نجران قد أضحى حزناً .

(٣) (يحيـى .. وصلاح .. وأبـو بكـــر بن عيسى .. ووهـــاس .. وعلي ومـــوسى .. ودعيس) أعلام معروفة في وقتـه من أسرة ممدوحـه ليس فيمـا بين يدي من المصدر تعريف بأحدهم .

١٧ ـ وقال يستعطف ممدوحه القاسم بن علي الذروي لشرفاء وادي[١] وســاع

محاوِلُ حلِّ عقـــدِكَ ياشُجَـــاعُ محاولُ آيـــةٍ لا تُستَطَـــاعُ
وناطـــحُ طودِ عزمِكَ مُستعيـــنٌ بِرأْسٍ حَشْوُهُ منهَـــا صُدَاعُ[٢]
أيَرْتَفِـــعُ الحضيضُ بغيـــرِ لُبٍّ يُدبِّـــرُهُ، وَيَنخـــفِضُ اليَفَـــاعُ؟[٣]
وماعُـــذرُ السَّنَـــامِ إذا تطَاطَـــا فطـــالَ الخفُّ عنـــهُ والكُـــرَاعُ
أضاليـــلٌ تسوِّفُهَـــا الأمـــاني وتَرجُـو كونَهَا الهَمَجُ الرِّعَـــاعُ[٤]
وأَضْغَـــاثٌ تَمَثَّـــلُ في مَنَامـــي عبارتُهـــن يوسفُ والصُّوَاعُ[٥]
إذَا لَمْ يَنتفِـــعْ بالـــلُّبِّ حيٌّ فلـــيسَ لهُ بصورتِـــه انتفَـــاعُ
وإن لم يُغـــنِ فيـــه الفكـــرُ شيئـــاً فما يُغْنِـي العِيَـانُ ولا السَّمَـــاعُ

---

(١) وادي وساع : أحد أودية المخلاف السليمـاني ويشتهر في أيامنـا باسم وساع وشهدان ويسكن على ضفافه بعض أشراف المخلاف من السادة النعميين وغيرهم من أشراف المنطقة .. وساداتها .

(٢) يشير إلى قول الشاعر :
كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهـي قَرْنَـهُ الوعـل

(٣) الحضيض : القرار الوطيء من الأرض القاموس ج٢ ص٣٢٨ واليفاع : الأماكن المرتفعة ، القاموس المحيط ج٣ ص ١٠٢. قال أصحاب المعجم الوسيط : اليفاع : المرتفع من كل شيء ج٢ ص ١٠٦٥ .

(٤) الهمج الرعاع : الخائفة ومن لا فؤاد له، القاموس المحيط ج٣ ص ٣٠ وفي أساس البلاغة : فلان رعاعة من الرعاع ص ٢٣٧ .

(٥) يوسف والصواع : يشير إلى قصة سيدنا يوسف عليه وعلى نبينا السلام مع إخوته حين أمر بوضع صواع الملك في رحل أخيه ليبرر بقاءه لديه ويستجلب به حضور أبويه وبقية إخوته . والقصة مذكورة في سورة (يوسف) . والصواع : المكيال .

مَتَى طَابَ امْرُؤٌ قَوْلاً وفِعْلاً   ومَخْبَرُهُ إذَا طَابَ الرَّضَاعُ
يُقَعْقِعُ بالشِّنَانِ عليك كَيْمَا   تُراع به ورَضْوَىٰ[1] لا يُرَاعُ
وتُحْسَدُ أنْ تُضيءَ وأيُّ شَمسٍ   تَدُورُ ولا يَكُونُ لها شُعَاعُ
لقد أُخْمِدتَ نارَ الضِّدِّ حتَّىٰ   تلاشَتْ فهيَ لاشيءٌ يُذَاعُ
فذاكَ الملكُ ،فيءٌ أو خيالٌ   وذاكَ العيشُ حُلْمٌ أو وَدَاعُ
تَجَاوَزْ عن بني الحسنِ المثنَّىٰ   خداعَهُمُ وإنْ طالَ الخِداعُ
ودافِعْ عنهم الجُلَّىٰ فلَوْلَا   دفاعُ الله مانفَعَ الدِّفاعُ
فهمْ عَيْنٌ وأنتَ لَهَا سوادٌ   وَهُمْ كفٌّ وأنتَ لهَا ذِرَاعُ
لعمرُكَ ما رويْتَ وهُمْ ظِمَاءٌ   لديكَ ولا شبعْتَ وهُمْ جِيَاعُ
ولا سَأَلُوكَ إلَّا ظَلْتَ تَهْمِي   ومالُكَ بينَهُمْ نَهْبٌ مُشَاعُ
فصبراً فاجتماعُهُمُ افتراقٌ   بِجِدِّكَ وافتراقُهُمُ اجتمَاعُ
ولا تعجلْ على شُرَفَا (وُسَاعِ)   فآلُكَ بيتُ عِزِّهِمُ(وُسَاعُ)
ولو جَنَحُوا إلى بلدٍ وأضْحَوا   لَهُم فيهَا اصطِيَافٌ وارتِبَاعُ
فللظِّلِّ انقباضٌ وانبساطٌ   ولِلشَّمْسِ انخفاضٌ وارْتفَاعُ
فَرُبَّتَمَا دَعَوْتَهُمُ فَلَبَّتْ...   مُنَادِيكَ الْقَوارِحُ[2]والجِذَاعُ[3]
وخَاضَتْ دُونَكَ الغَمَرَاتِ خيلٌ   كأنَّ قَنَا فَوارسِهَا شِمَاعُ
ولو كَشَفَتْ قناعَ الحربِ رومٌ   كقولِهِمُ ومَاكُشِفَ القناعُ
لَطَاوَلَكَ الضِّبَاعُ وأنتَ أعْلَىٰ   وأشْرَفُ أنْ تُطَاوِلَكَ الضِّبَاعُ

(١) رضوى : جبل بالمدينة المنورة .. ومعنى تقعقع بالشنان : مأخوذة من تحريك الجلد اليابس للبعير ليفزع ، المخصص لابن سيده . ج٢ ص٨٢ .

(٢) القوارح : البزل من الإبل : وهو الذي شق نابه وطلع . محيط المحيط ص ٧٢٣ .

(٣) الجذاع : ما بلغ سن الخامسة من الابل ولم يبلغ مبلغ البزل . القاموس المحيط ج٣ ص ١٢ قال صاحب محيط المحيط : الجذع من البهائم الثني إلا أنه من الإبل في السنة الخامسة . ص ٩٨ .

أجــلْ فَيُجَــالِسُ الأسَد ابــنُ آوىٰ | نَعمْ ويُحاَسِنُ القمــرَ الصيــاعُ(١)
فقــلْ لمُعَانــدِيكَ وإنْ أُهينُــوا | فلــم تُكتَـــلْ لهمْ بالصَّاع صاعُ
كُلُوا وتَمتَّعوا ، وقِــرُوا، وكُفُّــوا | عن الهفَــوَاتِ فالدنيــاَ مَتَــاعُ
فكَمْ جَبَــلٍ صدمتَ فلــمْ تُنَهْنــهْ | جيــادكَ عنــهُ إلّا وهْــوَ قَاعُ
ومَغْرُوريــنَ قد دَلَفُــوا بِطــاءً | إلــيكَ فأدبْــرُوا وهُــمُ سِراعُ
كأنَّهُــمُ ونــارُ السيــفِ فيهمْ | أبــاءٌ(٢)،أو ثمامٌ(٣)،أويَــراعُ(٤)
فداكَ أبي وأمِّـــــي إنَّ ودِّيْ | لوجــهِكَ لايُعــاَرُ ولا يُبــاعُ
فكيـفَ أضعتَنِي وغفــلتَ عنِّــي؟ | ومَــا حقِّــي التغافُــل والضَّيــاعُ
وماطــيبُ الحيــوٰةِ لدىٰ حَيــوٰةٍ(٥) | ولا ذهَبٌ لديَّ ولا ضِيَــــاعُ
فهبْ لي منكَ عَفــواً واصطناعــاً | فخيــرُ البِــرِّ عفــوٌ واصطنــاعُ

---

(١) الصياع : جمع صاع .. وهو ما اطمأن من الأرض .

(٢) **(أباءٌ)** هكذا وردت في نسخة (م) أما في نسخة (ج) فقد جاءت بالتاء : (إتاء) ولعلها بالباء أصوب **والأباء:** الكلأ **والمرعى، القاموس المحيط ج١ ص٣٥ .**

(٣) أوثمام : نبات معروف لا تطول سيقانه، القاموس ج٤ ص٨٦ قال صاحب محيط المحيط : الثام : نبت ضعيف له خوص أو شبيه بالخوص وربما حشي به خصاص البيوت ويقال لما لا يعسر تناوله : على طرف الثام لأنه لا يطول محيط المحيط ص ٨٤ ج١ مكتبة لبنان سنة ١٩٨٣م .

(٤) يراع : من معاني يراع القصب وهو ما يتناسب مع سياق البيت والمعنى المراد ، القاموس المحيط ج٣ ص ١٠١ . ومنه قول الشاعر :
أحِــنُّ إلى ليلى وإن شطت النــوى | بلــيلى كما حن اليراع المثقــف

(٥) الحيواة ــ حَيوَاة : هكذا رُسِمَتَا مثل رسم المصحف والمتعارف عليه أن ترسما هكذا (حياة) .

١٨ ـ وقال متغزلاً (*) في صباه

زَمـــانُك كُلُّـــهُ فَنَـــدٌ وعــــذْلُ ... أمَـالَكَ عَنْ عنيفِ اللَّـومِ شُغْـــلُ؟
أراك تَلُومُنــــــي لذَهـــــابِ عَقْلي ... أقِـفْ عنِّـي فَمَـالَكَ أنتَ عقـــلُ
تُسَهِّـــلُ كلَّ صعبٍ وهْـــوَ صَعْبٌ ... أهــلْ حُدِّثْتَ أنَّ الــبين سهـــلُ؟
وتطـــلُبُ بالملامِ الحِلْـــمَ منِّـــي ... إلــيكَ فإنَّ بعضَ الحِلْــمِ جَهْـــلُ
ألعــدَ البــان بَانَ علــيَّ عينـــي ... تقرُّبــه وبعــدَ الرَّمْـــلِ رَمْـــلُ
ومــــن لي بالجَـــلَادَة إن بدَا لي ... بجَـــنْبِ متَاعــه سَلَــمٌ وأثْـــلُ
أقَاتِلَتـــــي بلا سَببٍ وثـــأرٍ ... طُلــبْتُ به، أكَــانَ علــيَّ قتــلُ؟
بُلـــيتُ بكـــم فَلَا للصرمِ صرمٌ ... أسرُّ به ولا للـــــــوصل وصل
أبــيتُ فلا أعــوجُ بجنبِ تيْمَـــا ... (....)[1] ولا أبــيتُ ولا أظـــلُّ
وبـــــــالجيران جيرانٌ ودارٌ ... سوىٰ داري، ولي بالأهــلِ أهـــلُ
وكيــفَ أُقيـــمُ في بَلَـــدٍ سواءٌ ... بهَـا العَوْجــاءُ[2] والسِّمْـعُ الأزَلُّ[3]
يديـــنُ الصَّقْـــرُ فيها للحُبَـــارىٰ ... ويضطهــد الأعـــزُّ بهَـــا الأذلُّ
بحيثُ يكـــونُ لي شِبَـــعٌ وريٌّ ... وسائمتــــــي لها ماء وظـــلّ
وإن عرّضتُ في طلب بـــــعضٍ ... أتَـىٰ في ساعـــة التعـــريضِ كلُّ

(*) هكذا جاء عنوان هذه القصيدة في النسخ المصورة ولكن يبدو أن القصيدة عتابٌ لقومه شديد الهجة .

(١) (....) بياض في النسخة المصورة عن معهد المخطوطات العربية .. وكذلك في نسخة جامعة الملك عبد العزيز وتختلف بداية البيت في نسخة جامعة الملك عبد العزيز حيث جاءت بدايته هكذا : (أتيت به فلا عوج ....)

(٢) العَوْجَا : ضرب من جياد النخيل . (المعجم الوسيط ج٢ ص ٦٣٥) .

(٣) السِّمْعُ الأزَلُّ : ذئب يتولد بين الضبع والذئب يكون هزيلاً : (القاموس المحيط ج٣ ص ٣٨٩) .

(أمغـــرورٌ[1] بِدَار) الخمـــر هوّنْ   علـيكَ فإنَمـــا في الـــدَّنّ خَلُّ
ولا تَنْظُـــرْ إلى التِّجْفـَــاف وانظُـــرْ   لحامِلِــه ففــي التِّجفـــافِ بَغْـــلُ
حسبتَ النعـــلَ تاجـــاً أيُّ عقـــل   يحُـــلّ به مَحـــلَّ التـــاج نَعْـــلُ
ألم تر أنَّنــي خفَّـــفْتُ عمَّـــن   صحِـــبْتُ فلا أمَـــلٌ ولا أمِـــلٌّ
ففــي رِجْلي عن الشُّبُهـــاتَ قيـــدٌ   وفي عُنُقِـــي عن الشُّبُهَـــات غِلّ
ولـــــــو أني وردْتُ (.....)[3]   وكانَ بحوضهـــــا نهلٌ وعـــــلٌّ
فمـــن لي بامـــريء واع فيصْغِـــي   لهَيْنَمَتـــي ويكـــتب ما أمِـــلٌّ[4]
فوآ أسفـاً أيـــخْشَىٰ الكـــلب لَيْثٌ   ويخدمُ ضفـــدعَ الغمـــرات صلٌّ[5]
عُكُـــوسٌ تمرضُ المهجـــــاتُ منها   ولـــيس مريضُ خسرتِهـــا يُبِـــلُّ
ففـــــي قلبـــــي من الأَقدار غلٌّ   وفي صدْري على الآثارِ غِلٌّ

---

(١) «أمغروراً بدن الخمر هوّن» هكذا ورد الشطر الأول في مخطوطة (ج) .

(٢) التجفاف : آلة للحرب يتقي بها كالدرع للفرس والإنسان. يقول : لا تنظر للدرع وانظر لحامله فإن حامله هذه المرة «بغل» وليس فرساً .

(٣) «.......» بياض في النسخـــة المصورة عن معهـــد المخطوطـــات العربيـــة . وفي نسخة (ج) كلمة غير واضحة يشتبه بانها كلمة : «وردْتُ رَفْهاً» .

(٤) هذا البيت ورد في نسخة (ج) هكذا : «فمن لي بامريء واعٍ لهينتي ويكتب ما أملّ» دون كلمة «فيصغى» .

(٥) صل : الصل : الحيَّة : انظر القاموس المحيط ج٤ ص ٣ .

١٩ ـ وقال متغزلاً أيضاً

ياقـــــلبُ ذُبْ إن كنتَ عاشِقْ	حُقَّتْ بفُرقَـــتِك الحقائــــقْ
أزِفَ الفـــــراقُ ولم تَمُتْ	هلْ أنتَ تعـــرِفُ من تُفَـــارِقْ
بَلــــغَ المحالَ الجدَّ حسْــــ	ـبُكَ كمْ تماحِــلُ[١] كم تُمَـــاذِقْ[٢]
كمْ كاذبٍ في السِّرِ يُـــــو	هِـــمُ أنَّـــه في الجهـــرِ صادقْ
ومنافـــقٍ في الـــحُبِّ يعْـــ	ـــدِلُ دينُـــهُ ديـــنَ المُنَافِـــقْ
أمُطارحـــي خَبَـــرَ الأَبَـــا	رق كيـــفَ ساكِنَـــةُ الأبـــارِقْ
ولَهِـــي لِولْوَلَـــةِ النِّسيـــ	ـم وَبَـــارقٍ يَانِعْـــمَ بَارِقْ
طَرَقَ الخَيـــالُ وكـــنتُ أعـــ	ـهَـدُ طيـفَ عُلْـوةَ غَيْـرَ طَارِقْ
والجوُّ مسودُّ المغـــــ	ـارِبِ غيـــرَ مبـــيضٌ المشارِقْ
فكـــأنَّ جلبَـــابَ الظـــلا	مِ وثوبَـــه خَلَـــقٌ شَبَـــارِقْ[٣]
فَضَمَمْتُـــهُ ولَثَـــمْتُ نَـــرْ	جَسَ خَدِّهِ تَحتَ الشقائـــق
ضَمَّ المُضَاجِـــع للـــمُضَا	جِعِ والمُعَانِـــق للمُعَانِـــقْ
يافـــاسق (العيـــنين)[٤] كَيْـــ	ـــفَ لمسلـــم من جَوْر فاسِقِ
راجـــعتَ وَصْلِـــي بالصُّدُو	د فكـــانَ وَصْلي منك طالِـــقْ
لا تَحْتَمِـــلْ وِزْري فإنْ	نَ علاقتـــي غيـــرُ العلائـــقْ
وتـــوقَّ في يومِ القيـــا	مة من يُنـــاقِشُ في الدقائـــقْ

(١) تماحل : المِحَال : التدبير والمكر والكيد يقال تَمحَّلَ له : احتال، القاموس المحيط ج٤ ص ٤٩ والمخصص ج٢ ص ٨٤ .

(٢) تُمَاذق : المذاق : الملول الكذاب : ماذق فلان في الودّ : لم يخلص له الود. المعجم الوسيط ج٢ ص ٨٥٩ .

(٣) ثوب شبارق : مقطع ممزّق، المعجم الوسيط ج١ ص ٤٧١ .

(٤) في نسخة (ج) : «العينان» .

٢٠ ـ وقال متغزلاً أيضاً

تُعنِّقُني بالعُنْف والرِّفقُ أرْفَقُ … وتُرْعِدُ لي فيمنْ أحبُّ وتُبْرِقُ
وتُظهِرُ إشفاقاً عليّ من الأسَا[2] … كأنَّك لي منِّي برُوحيَ أَرْفَقُ
ذُقِ العشقَ واعذلْ إنْ قدرتَ فإنَّمَا … يُعنِّفُ أهلَ العِشْقِ من ليسَ يَعْشَقُ
أراني ونِضْوي[3] أن نَبَا الأثْلِ معرضاً … يَحنُّ لمأثول البديع (ويشهَقُ)[4]
تُباري خُطاهُ الطيرَ وهْوَ مُقيَّدُ … فكيف به من سيره وهو مُطْلَقُ
وإن المياهَ اللائي تحتَ ظلالِه … يَغصُّ لها بالماء ثُمَّتَ يَشرقُ
علاقةُ حبٍّ أُودِعَتْ بين قلبهِ … وقلبي فكلٌّ منهما مُتعلِّقُ
ألابارق الغوري ينزع والهاً … ففي كلّ أرضٍ من تهامة أبرُقُ
مُحَدِّثتِي بالبَينِ عَهْدي بأهْله … فَريقان:مِنهمْ مُكْذِبٌ ومُصدِّقُ
أحقَّقْتِ أنَّ الحيَّ حيٌّ مغرِّبٌ … وآخر منهم (للفراق)مُشرِّقُ
لعمرُكِ ماأقبحتِ فيناً وإنَّما … فَتَحْتِ لنا بابَ البُكا وهو مُغلَقُ
ومُستَتِرٍ يوم الغدير بكفه … يُجمِّعُهُ في وجْهِهِ ويفرِّقُ
طَلَعْتُ عليه وهو لا مُتَبَرْقِعٌ … على غِرَّةٍ منهُ ولا مُتمنطِقُ
فَجَاذَبْتُه الجلباَبَ وهو مُجرَّدٌ … وراودته عن حاجتي وهوَ مُطرِقُ

---

(١) (الاسا) هكذا في النسخة المصورة (م) وفي نسخة (ج) : «الأسىٰ» . وهو الصواب .

(٢) نضوى : النضو : الجمل الهزيل من شدة السير انظر القاموس ج٢ ص ٣٩٦ .

(٣) «يشهق» هكذا في نسخة (م) وفي نسخة (ج) : «وأشهق» .

٢١ ـ وقال متغزلاً أيضاً

أَلْـوى بسمــعك عن ملامِكَ فيها نشواتُ خمرتها بخمـرة فِيْهَـا[١]
دَعْنِـي وتَذْليه . الغَـرام فإنَّنـي أهْـوىٰ الغـرامَ وأعشقُ التَّـذْلِيها
أحلىٰ حيـاتي أن أكُـونَ معـذَّلاً فيها وحِلْمـي أن أكـونَ سفيها
خوطيـــةٌ[٢] قمــرُ التمام أخٌ لها في حسنــه من أمِّهـا وأبيها
تاهَتْ دلالاً فاكـتَسَتْ بِدلَالِهـا دَلاً يُكاثـر دَلَّهـا والتِّيْهَـا
إمَّـا مَرَرْتَ بذي الأراكَـةِ فانْشدنْ دِمَـن اللِّـوىٰ عنها وعـن أهـليها
أبلىٰ الهوىٰ وجدي وأبْلتهَا النَّـوى فَحـكَتْ بقيـةَ عاشقٍ يَحْكِيهَـا

---

(١) في نسخة (ج) : «للعراق» .

(٢) (فيها) : في هذا البيت جناس تام حيث جاء بلفظة فيها في نهايـة الشطـر الأول بمعنى الظرفية وجاء بها في نهاية الشطر الثاني بمعنى الفم مع توافق حروفها .

(٣) خوطيّة : أي قدهـا يشبـه الخوْط ج والخوط الـغصن الناعـم . أساس البلاغـة ص ١٧٧ .

٢٢ ـ وقال متغزلاً أيضاً

أيُجْري دَمـي ودُمُوعـي طَلَـلْ ... رسيمُ الجمـال ورسمُ الطَّلَـلْ(١)
ومـن دِمَنتيْـن بِجَـنْبِ الـغَضَا ... وأرْسُمنَـا بالعقيـق الأوَلْ
وقـفتُ (وواقـف)(٢) لي صاحبـي ... فَلَمَّـا نزلتُ أُحيِّـيْ نَزَلْ
فلا أنـا (خبرت)(٣) عمـا سألت ... ولا هو أخبر عمـا سأل
وفي الظعـن الباكـرات الغـداة ... أصبـح(٤) مكتحـل بالكحـل
كثيـرُ المطـال قَليـلُ النَّـوَال ... خفيـف (القـوام)(٥) ثقيـل الكفـل(٦)
يِوَرِّدُ خَدَّيـهِ طولُ العتـاب ... ويَصْبَـغُ وجنتَـهُ بالخجـلْ
هجـرت الزيـارة إلا القليـل ... فقـال سَلا عَنْ ودادي ومـلّ
ودون زيـارة ذاك الحبـيب ... رقـاق السيـوف وسُمْـر الأسل(٧)
ألست ترى الليـل يبكـي الصبـاح ... وقـد شاب مفرقـه واكتهل
فمـا كان إلا ككحـل محاه ... دمـوعٌ جرت وخضابٍ نَصَلْ(٨)

---

(١) طلل في الشطر الأول والثاني بينهما جناس غير تام وطلل الأولى معناها : هدراً والطلل في الشرط الثاني معناها آثار ديار الأحبة .

(٢) هكذا في نسخة (م) أما في نسخة (ج) فقد جاءت هذه الكلمة هكذا : «وأوقفتُ» .

(٣) هكذا في نسخة (م) أما في نسخة (ج) فقد وردت الكلمة هكذا : «أُخبِرْتُ» .

(٤) هكذا وردت في نسخة (م) وفي نسخة (ج)

(٥) هكذا في نسخة (م) وف نسخة (ج) : «المقام» .

(٦) الكفل العجز والردف . انظر القاموس المحيط ج٤ ص ٤٥ .

(٧) الأسل : كل ما رقق وحُدَّ من الحديد سيف أو سكين أو سنان . المعجم الوسيط ج١ ص ١٨ .

(٨) خضاب نصل : أي خرج . هي ناصل : أي خرجت من الخضاب . القاموس المحيط ج٤ ص ٥٧ .

وفي البيتين صورتان جميلتان يصور فيهما تلاشي جيوش ظلام الليل .

أعــزْ نَاظـــريكَ بروقـــاً سَرَتْ كَمثلِ السيوفِ هَجَـرْنَ الخَلَـلْ
إذا ما ضَحِكْـــنَ بكَتْ تَحتَهـــا سحـــائبُ للرعـــد فيها زَجَـلْ

٢٠٣ ــ وقال متغزلاً أيضاً

أُميْــطَ عن الصَّبَابـــة بالإذالَـــةْ وكان يُقَـــالُ لو طَلَبَ الإقالَـــةْ
ولـيسَ ــ وإنْ تحمَّلَ حُبَّ أسمىٰ ــ بأوَّل عاشقٍ صَرَمَتْ حِبالَـــــه[1]
يَظُـــنُّ خَيَالَهـــا والليـــلُ مُلْـــقٍ رواقَ دُجَاهُ أنْ (يلقـــى)[2] خيالـه
مسائلتــي عن المُثــلاتِ رِفقـــاً أعـــنْ علـــمٍ سُؤالُكَ أمْ جَهَالــه
تفـــرَّدَتِ المحاسنُ بِي ولَكـــن غرابُ البيـــنِ مِن أحَـــدِ القَتَالـــه
أقلبـــي جمرةٌ تَكْـــوي ضُلُوعـــي بنَـــارِ الصَّرْم أمْ كَبـــدي ذُبَالَـــه
ومـــالي لا أليـــقُ كأنَّ جَنبـــي فَرَشْتُ له القَتَـــادَة[3] والسيَّالَـــه[4]
(مُوَاعِدَتِي)[5] بوعـــدِ غَدٍ حيـــاتي لعمـــرُ أبـــيك في تلك العُلالَـــه

---

(١) صرمت حباله : أي قطعت الوصال والوُدّ وكأنه يشير إلى معنى قول الشاعر :
صرمت حبـالك بعـــد وصلك زيـــنب والدهـــر فيـــه تصرم وتقـــلب
قال الزمخشري في أساس البلاغـة : صرمتُ أخـي وصارمتـهُ وتصارمنـــا وبينهمـــا صرم وصريمة : قطيعة . ص٥٤ .

(٢) في نسخة (م) : «يلقى» بالياء، وفي نسخة (ج) : «تَلْقَىٰ» بالتاء وليس بالياء .

(٣) القتـادة : القتـاد : شجـر صلب له شوك كالإبـــر ، القامـــوس المحيـــط ج١ ص ٣٢٥ .

(٤) السيَّاله : نبـات له شوك أبيض طويـل إذا نزع خرج منـه اللبـن أو هو ما طال من السمر، القاموس المحيط ج١ ص ٣٩٨ .

(٥) هكذا وردت في (م) وفي نسخة (ج) : «مُعلِّلَتِي» .

أأنتِ البـــدرُ أنصفَ في سعــــودٍ ... فتـــمٌّ أم الغـــزالُ أم الغزالَـــةْ[1]
أراكِ من الجَلالَــــــة فَوْقَ مالَا ... تكيفُّـــه العقـــولُ من الجَلَالـــةْ
ومـــا لجوارحـــي هاتـــيكَ حتَّـــى ... كأنَّ يدي تغلّ (عـــن)[2] الغلالـــةْ
حرارةُ أَضْلُعـــي يُطْفـــي لَظَاهـــا ... لماكِ وبـــرد رِيقَـــتِكِ الزُّلَالـــةْ[3]
أَمَـــا عَقِبٌ لزورتِنَـــا بنجـــدٍ ... فيـــالكِ زورة ماتَتْ كَلَالَـــــةْ
تَوَقَّ بَنـــي الزمـــان فكـــلُّ خِلٍّ ... من الخلاَّنِ مذْمُـــوم الخِـــلاَلَةْ
وخفِّـفْ مااستطـعتَ فربَّ وغْـــدٍ ... يَرَىٰ ردَّ السلام من الثَّقَالـــــــةْ
ولا تَنْظُـــرْ لجسم المرءِ واخبُـــرْ ... طبائعَـــــه فإنَّ الجسمَ آلـــــةْ[4]
وإن عايـــــنتَ ذا نُسُكٍ وديـــــن ... فَخَفْـــهُ فذاكَ أَخْتَـــلُ من ذُوَالَـــةْ[5]
إذا خَبُثَ الدقيـــقُ علـــيكَ طعمـــاً ... فأخبثُ منـــهُ في الطَّعـــمِ النُّخَالَـــةْ
وكيـــف تغصّ بالصافي وترجُـــو ... من الحُلْقُـــوم تَسْويـــغَ الحُثَالَـــةْ

---

(١) الغزالة : الشمس : قال صاحب أساس البلاغة : جئتك مع الغزالة، أي مع طلوع الشمس ص ٤٥٠ .

(٢) هكذا في نسخة : (م) أما في نسخة (ج) فقد جاء حرف الجر : «من» .

(٣) الزلالة : الزلال : الماء العذب الصافي البارد السلس . وقيل الصافي من كل شيء المعجم الوسيط ج١ ص ٣٩٨ .

(٤) في هذا البيت يشير إلى معنى الحديث النبوي الكريم : (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأبدانكم وإنما ينظر إلى قلوبكم) أو كما قال ﷺ . وقد كرر هذا المعنى في شعره .

(٥) بلغ التشاؤم بالشاعر منتهاه فقد وصل به إلى عدم الثقة بأحد كائناً ما كان .

٢٤ ــ وقال متغزلاً

عليٰ الجـزْعِ من وادي العقيـق سلامُ وإنْ مَرَّ عامٌ لا أراهُ وعـــــامُ
ولا انفَكَّ سقي الغيث من كل وجهةٍ عليٰ الرِّفْـهِ طَرْفـاً هَامِعـاً وبَشَامُ
أصمٌّ عن النـاهين فيـه وتـارةً ألـومُ علـىٰ مَنْ حلَّـه وألَامُ
ومـا كلَفـي بالجزْعِ إلاَّ لأنَّنِـي أقـمتُ به مَعْ أَهْلِـهِ وأَقَامُـوا[١]
مُكَلَّـفُ نفسي خطـةً لاتَنَالُهـا وِرايـمُ أَمْـرٍ مَاإليـه مَرَامُ
فيـا بانَتَيْ سَفْحِ العميمِ سقَاكُمَـا ولَـوْ مِنْ دَمـي يابانتـانِ غَمَـامُ[٢]
أُوَامُكُمَـالَا مِنْ أوامٍ[٣]تَرَاكُمَـا أخُـوه لمن (أحبـبتماهُ) [٤] أُوَامُ
كانّ قوام المالكيـة فيكمـا لِهَـذَا قوامٌ أو لتِـلْكَ قَوَامُ
أَمَا مِنك ياذاتَ الوشاحِ علَىٰ (النَّوا)[٥] لِمَـامُ خَيـالٍ إنْ عَدَاك لِمَـامُ
بَخِلْتِ بَمَا عُونِ الكلام على امرِيءٍ (وحَلَّلْتِ قَتْلَ الصيد وهْوَحَـرَامُ)[٦]
ومـا زلتِ حتَّىٰ شَابَ وهْوَ مُمـوَّةٌ شبَابـاً وحتَّـىٰ شَاخَ وهْـوَ غُلَامُ
أمَـا زَوْرةٌ ياعلـوُ في أُخْرَياتِهَـا يُحَـلُّ نِطَـاقٌ أو يُمَـاطُ لِثَـامُ
وماليلةُ الرّمـل العقيقـيّ إن مَضَتْ بَمذْمُومَـةٍ إن ذُمَّ مِنْك ذِمَـامُ

---

(١) لعله يشير إلى معنى قول الشاعر :
وحـبب أوطـان الرجـال اليهمُ مآرب قضاهـا الشبـاب هنالكـا
(٢) البان : شجر الحناء المعروف ؛ وسفح العميم : ضفة وادي نخيلان الواقعة قرية العميم على ضفته والمعروفة الآن باسم وادي الخيلان .
(٣) الأوام : شدة العطش .
(٤) في نسخة (م) : «أحببتموه» بصيغة الجمع ولعل صيغة التثنية هي الأصوب كما نقلنا عن نسخة (ج) .
(٥) هكذا في النسختين ولعل الصواب بالألف المقصورة «النوىٰ» .
(٦) ورد هذا الشطر بألفاظ أخرى في نسخة (ج) حيث جاء على النحو الآتي :
بخلت بماعون الكلام على امرىء (أحَلَّ الـذي تَبْغِيـهِ مِنْـج كَلَامُ)

٢٥ ـ وقال متغزلاً في صباه[1]

تَنَصَّلَتْ وخُضَابُ الليـــل قد نَصَلَا	وقَبَّلَتْــهُ بِأَنْ يَرضىٰ فمـــا قَبِـــلَا
وخَالَطَ الصّبحُ نَجواهَا فما عقَلَتْ	ما قالَ من خَشْيَةِ الواشي وماعَقَلَا
تَنَهَدَّتْ والدُّجَىٰ طفلٌ فما سكَتَتْ	من التنهُّدِ حتّــىٰ شابَ واكتَهـــلَا
لمَّا استَمرَّ بها توديعُهَـــا وغَــدَتْ	تَجْنيه عنـد الوداع الصَّابَ والعَسَلَا
بَكَىٰ (أساً)[2]فتَدَاعَىٰ شَجْوُهَا وَلَهاً	واستبكيت[3] أسفاً واستضْحَكَتْ خَجَلاً
مُحَــدثي بحديث الــركب لا تَرِبَتْ	كَفّــاكَ زِدْ عَلَــلاً أَوْ زِدْ به عِلَــلاً
حدَّثْتَ عن ساكني الوادي فَمَافَعَلتْ	من بعدِنا سَرْحةُ الوادي ومافَعَــلاَ
وكيـــفَ حيٌّ بحصرانٍ عَهِدتُهُـــمُ؟	وَمَنْ أقام بهم بَعْدي؟ومَنْ رَحَلَا؟
ياطاعنـــي بقنــاةِ القَـــدّ لاشَطَطـــاً	وأنتَ ياراشِقِـــي بالنّبْــل لاشَلَــلَا
ويامُــغِبّ زيـــارَاتي أَعَـــنْ ملَــلٍ	أعيَا بها، أمْ لِحَـــالٍ أوجَبَ الملَــلَا
ماكان ضرَّكَ والأوقَـــاتُ مسعفَـــةٌ	أن تجعلَ السَّمَرَ المُستَعذَبَ الطَّفَلَا[4]

---

(١) إذا كان هذا هو شعر الصبا وبداياته الشعرية فلسنا مبالغين إذا ادعينا أن ما نشر من شعره سابقاً وما نقدمه من قصائد لم تنشر بعد جمعه إنما يمثل جزءاً بسيطاً من إنتاج الشاعر ابن هتيمل الغزير والرائع .. وسوف نظل على صلة بتراث هذا الشاعر حتى نستجلي منه المزيد من الروائع بإذن الله .

(٢) هكذا في نسخة (م) والصواب على ألف مقصوره «أسى» كما في نسخة (ج) .

(٣) لعلها ضرورة الشعر جعلته يضيف (ياء) إلى استبكت بمعنى تباكت أو استدعت دموع عيونها أسفا .

(٤) الطفلا : أول الليل . وقيل الطفل : قبل غروب الشمس. وهذا أقرب للمعنى . تاج العروس ج٧ ص ٤١٧ .

٢٦ ـ وقال في صباه متغزلاً أيضاً

أتُــرىٰ ماسَنَّ ذيَّـــاكَ الطَّـــــلا وَقَفَ الحبَّ علىٰ عبـد[١] الطِّـلا
رَشَأٌ صَعَّـــر خَدَّيْـــه لَنَـــا وخليـلٌ جَرَّ ذيـل الخُيَـلا
نامَ عن ليلــة مَشْغُـــوفٍ به فَعَـــلَ الحبُّ به مافَعَـــلا
أيها القاتِـــلُ لاذُقْتَ الــرَّدَىٰ والـــذي تَرْشُقُنـــي لاشَلَـــلا
كلَّمـــا فَوَّق[٢] سهمـــاً صائبـــاً لم يُصِبْ منِّـــيَ إلاَّ مَقْتَـــلا
كلَّفتنْـــي عِلَّـــةٌ عذريـــةٌ أنـدُبُ الرَّبْـعَ وأبكـي الطَّلَـلا
مِلَّـــةٌ أحدثَهَـــا أَهْـــلُ الهوىٰ أصبـحَتْ في تابـعيهم مِلَـلا
يافـــؤادي لا بَرِي منك الجوي وضلُوعـي لافقَـدْتِ العِلَـلا
جنَّـةُ الـعُشَّاقِ[٣] في نارِ الهَـوىٰ حيثُ (لايبغُـونَ عنْهَـا حِوَلاَ)

---

(١) لا عبودية إلا لله ولا يجوز للشاعر ولا لغيره أن يتجاوز هذه الحقيقة .

(٢) فوَّق : صوَّب .

(٣) في أصل الصورة المخطوطة : (العاشق) وهي بالافراد لا تتناسب مع الفعل . (يبغون) الوارد بصورة الجمع . في الشطر الثاني : (حيث لا يبغون عنها حولا) وهذا اقتباس واضح من الآية الكريمة .. فقد اقتبس الشاعر من الآية : ﴿ خالدين فيها لا يبغون عنها حولا ﴾ الكهف ١٠٨ .

خاتمـــة

حمداً لِلَّهِ في الآخرة والأولَىٰ وبعد : ــ فقد حاول البحث دراسة حياة الشاعر المُفْلِق : القَاسِمُ بنُ عليّ بن هُتَمْيِلْ الخُزَاعِيّ الضَّمَديّ المِخْلافِيّ من خلال شعره الضخم الرائع ــ بعد أن منَّ الله على الباحث بالحصول على عدد من مخطوطات الديوان كان الهدف الأساسي من تجميعها تحقيق الديوان وإخراجه إلى النور لولا بعض عوائق قد تزول وتقوىٰ العزيمة على التحقيق .. وحاولت الدراسةُ الاقتراب من قمة ابن هُتَيْمِلْ الشامخة فتسنَّمَتْ إلى تحقيق هذه الغاية فيضاً من شعره الزاخر فنهلت من معينه الثر بمقدار ما سنحت لها الفُرَص .. واستطاعت أن تحقق بعضاً من مطامحها .. والأمل في تحقيق البقية في مقبل الأيام بإذن الله .

بدأ البحث بمقدمة أوضحنا فيها البواعث التي ساعدت على مغامرة الدخول إلى عالم ابن هُتَيْمِلْ كما أوضحنا بها مُجْمَلاً أبواب البحث وفصوله أردفنا ذلك بمدخل أشرنا فيه إلى طول صحبتنا بالشاعر كما أوضحنا سبب وقوفنا على مختارات من شعر ابن هتيمل وسبب عدولنا عن تحقيق كامل الديوان ، نزولا عند رغبة أحد شبابنا الباحثين الذي ألح علينا بذلك فآثرنا بالفضل أهله آملين له التوفيق والسداد .

دَلَفَ البحث بعد ذلك إلى الباب الأول من أبواب الدراسة محاولا الولوج إلى عالم الشاعر متعرِّفاً على عصر الشاعر وبعض أحواله ــ كما تعرف على قبيلة الشاعر : (خُزَاعَة) ذات الماضي العريق وعن طريق شعر الشاعر تَعَرَّفَ البحثُ على زمن ولادته وأنه في مستهل القرن السابع الهجري على وجه التقريب كما تعرَّفَ على مكان نشأته وعلى تأريخ وفاته وأنها في آخر

القرن السابع أو أوائل الثامن ، كل ذلك من خلال شعره، بعد أن ضنت علينا كل المصادر بإرواء الغليل .. وعن طريق شعر الشاعر أيضاً تعرَّفنا على ثقافة الشاعر وإحاطته باللغة العربية وعلومها .. وعلوم الشريعة ومعرفته بأيام العرب في حاهليتها وإسلامها .. وإلمامه التام بديوان العرب وأعلامه إلى جانب صلاته الأدبية بأعلام وشعراء عصره ..

كل هذا وذاك من خلال شعره الرائع المليء بالومضات المشعة التي توزع الشذرات هنا وهناك فترسم صورة الشاعر الفحل وتمنحنا قبساً يعوضنا عن كزازة معلومات المصادر التي تناولت هذا الشاعر فلم تعط هذه الجوانب شيئاً من اهتماماتها .

وفي ختام الباب الأول تناول البحث جانباً مهما وهو إثبات انتماء الشاعر القاسم بن علي بن هُتَيْمِلْ إلى موطنه (المخلاف السليماني) «المعروف حالياً بمنطقة (جازان) » وقد أفاد البحث من شعر الشاعر الذي جاء حافلا بما يدفع باطل المدعين فساق نماذج حيةً منه، ثم عَرَّجَ على عدد من المصادر والمراجع التي لا يتطرق الشك إليها فسرد ما يثبت انتماء الشاعر إلى موطنه المخلاف السليماني؛ ومن بين تلك المصادر والمراجع ـــ مخطوطات الحسن بن أحمد عَاكِشْ ومحمد حيْدَرْ القُبِّي، وعدد من المطبوعات المهمة كالبدر الطالع للشوكاني ـــ وبلوغ المرام للعرشي ـــ وتأريخ اليمن للواسعي ـــ والعقود اللؤلؤية للخزرجي وغيرهما .. وغيرهما ..

وفي الباب الثاني كانت للبحث وقفات على شعر ابن هتيمل مطبوعه والمخطوط .. فأشرنا إلى أماكن النسخ الخطية للديوان ومنها : مصر ، واليمن، وعُمَان، والهند، والمملكة العربية السعودية . ثم استعرضنا النسختين اللتين اعتمدناهما في الدراسة إحداهما مخطوطة معهد إحياء المخطوطات العربية بالقاهرة ورقمها ٣٠٤٩ . والثانية مخطوطة جامعة الملك عبد العزيز

بجدة ذات الرقم ١٩٥ موضحين عدد ورقات كل نسخة ، وعدد قصائدها، وعدد أبياتها .. ثم تناولنا الجزء المطبوع من الديوان الذي اختاره الشيخ محمد أحمد العقيلي وأشرنا إلى طريقة صاحب المختارات وأنها لم تكتف بالاستغناء عن عيون شعر ابن هتيمل ولكنها كانت تعمد إلى حذف أبيات أو مقاطع من القصيدة الواحدة ؛ وضربنا لذلك مثلا أوضحنا من خلاله مقدار ما أصاب النص من البتر والحذف الذي أفقده تدفقه .. والنفس الشعري تسلسله ..

ثم تناول البحث بعد ذلك منهج ابن هتيمل الشعري وعرَّج على أهمية الصورة في شعر ابن هتيمل وأنها تَمرُّ لديه بثلاثة مستويات : بسيطة ، ومركبة، ومبتكرة، واستعرض البحث أمثلة لكل مستوىً مُقَارناً بمماثله في الشعر العربي قديمه وحديثه قدر الإمكان .. ثم امتد البحث ليتناول أغراض شعر ابن هتيمل وقد وجدها تتمثل الأغراض الشعرية السائدة في عصره وعصور سابقيه وإن جدد في بعضها إلا أنه في الغالب امتداد حيٌّ لعصر اللغة والأدب في المائة الثالثة من الهجرة وهو عصر الازدهار والتكامل .

وقد تناول البحث كل غرض من أغراضه الشعرية على حِدَة واستعرض أمثلة منه .. ثم تطرق البحث لتناول جوانب مضيئة من شعر ابن هتيمل كالألفاظ والصور الشعبية في شعره، تعرفنا من خلاله على مفردات شعبية ذات أصول فصيحة ، وكأثر البيئة في شعره وقد وجدنا في شعر ابن هتيمل صوراً حيةً لبيئة المخلاف السليماني ولمسنا تفاعله مع عناصر الطبيعة واندماجه في تفاعلاتها .. بل وجدناه يشاركها ذلك التفاعل ..

وتناول البحث اهتمام ابن هتيمل بنَجْدٍ وصَبَاهَا في شعره واستعرضنا نماذج لذلك يحنُّ فيها الشاعر لشيحها وخزاماها، وفي محيط اهتمام البحث بالجوانب المضيئة في شعره استعرضنا النصوص التي يبدو فيها الشاعر متشائماً

من بعض المواقف الحياتية وبعض الأحياء .. كما تناولت الدراسة جانب الحكمة من شعر ابن هتيمل؛ ولأن الشاعر قد عُمِّر طويلاً فقد ظهرت آثار التجربة الحياتية بارزةً في تجربته الشعورية . وفي سائر الأحوال استعرضت الدراسة ألواناً من النماذج الشعرية من شعر ابن هتيمل أغلبها من عيون شعره المخطوط الذي ينشر لأول مرة .

وانتقل البحث في الباب الثالث منه إلى معرفة مكانة الشاعر بين شعراء عصره وبخاصة في الجزيرة العربية ، فاستعرض بإيجاز موقف الشاعر من أحداث عصره وأثبت أن ابن هتيمل كغيره من معاصريه الذين حصروا مشاركاتهم في الأحداث الصغيرة وأغفلوا المشاركة في أحداث الأمة الجسام وإن مدح أمراء مكة أو أمراء حَلِيْ أو أمراء اليمن وظَفَار وأمراء وأشراف المخلاف السليماني !! ثم حاول البحث معرفة مكانة الشاعر مُقَارناً بمعاصريه في اليمن والأحساء والمخلاف السليماني وخَلَص إلى أن ابن هتيمل يمثل مركز الصدارة بين شعراء عصره بشهادة بعضهم مفيداً من أقوال بعض النقاد أمثال الدكتور شوقي ضيف والمؤرخ أحمد بن أبي الرِّجَال والناقد الأديب أحمد محمد الشامي وإلى جانب ذلك تناول البحث بشكل مفصل موقف الدكتور علي الخضيري من شعر ابن هتيمل مقارنا بشعر ابن المقرب، وأثبت تدفقها شاعرية ابن هتيمل، وإجحاف الدكتور الخضيري في دراسته المقارنة بابن هتيمل مستعرضا نصوصا شعرية مختلفة للشاعرين .

وفي الباب الرابع كانت المحطة الأخيرة والاستراحة إلى نصوص شعرية مختارة تمثل مختلف الأغراض الشعرية التى زخر بها شعر ابن هتيمل مفضلاً اختيار نصوص من شعره المخطوط حاول البحث مقابلتها على المخطوطة الأخرى محاولاً شرح غامضها مفيداً من معاجم اللغة المختلفة تاركاً للنصوص تدفقها دون حذف أو بَتْر أو تشويه ، معللاً النفس بالعودة إلى هذه النصوص ومثيلاتها المخطوطة في دراسةٍ أشمل إن هيأ الله السبيل إلى ذلك فهو وحده

ولي التوفيق والقادر عليه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

المصادر والمراجع

أولاً : المخطـــوطات :

١ ـ مطلع البدور ومجمع البحور لأحمد بن أبي الرجال المتوفي سنة ١٠٩٢هـ . توجد منه نسخة ناقصة لدى الأستاذ محمد بن علي الحازمي المحاضر بكلية اللغة العربية بفرع الجنوب في أبها وهي غير مرقمة الصفحات وتوجد منه نسخة أخرى لدى الأستاذ : محمد بن أحمد عيسى العقيلي بجازان وأخرى بجامع صنعاء .

٢ ـ الديباج الخسرواني في ذكر أعيان المخلاف السليماني للحسن بن أحمد عاكش المتوفي سنة ١٢٩٠هـ . صورة من النسخة الأصلية التي بقلم المؤلف توجد لدى الباحث والنسخة الأصلية لدى الشريف زيد بالحمىٰ .

٣ ـ مخطوطة ديوان القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي المصورة عن نسخة اليمن بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة ورقم الميكروفيلم ٣٠٤٩ والنسخة غير مرقمة الصفحات .

٤ ـ مخطوطة ديوان القاسم بن علي بن هتيمل المصورة عن نسخة جامعة الملك عبد العزيز بجدة ورقمها ١٩٥ .

٥ ـ التاريخ الأدبي لمنطقة جازان لمحمد بن أحمد العقيلي في أجزاء ، أعد الجزء الأول للطبع عن طريق نادي جازان الأدبي لعام ١٤١١هـ .

٦ ـ الجواهر اللطاف في أنساب أشراف صبياء والمخلاف لمحمد حيدر القبي نسخة مصورة عن نسخة المؤلف توجد لدى الباحث والنسخة الأصلية لدى أسرة المؤلف وتوجد نسخ أخرى لدي العقيلي وغيره .

٧ ـ ابن دنينير الشاعر المغمور . رسالة دكتوراه تحت الطبع للدكتور محمود سعيد رئيس قسم اللغة العربية بكلية إعداد المعلمين بجيزان .

ثانياً : المطبوعـــات :

أ ــ القرآن الكريم .

ب ــ الحديث الشريف .

١ ــ أحمد السباعي (تاريخ مكة) الطبعة الرابعة ١٣٩٩هـ، الناشر نادي مكة الثقافي ط. دار مكة للطباعة والنشر .

٢ ــ أحمد حسن الزيات (تاريخ الأدب العربي) طبعة قديمة رديئة الورق ليست عليها معلومات عن سنة الطبع أو النشر .

٣ ــ أحمد شرف الدين (دراسات في أنساب قبائل اليمن) ط ١٤٠٥/٣هـ وهي طبعة خاصة بوزارة المعارف السعودية .

٤ ــ أحمد محمد الشامي (قصة الأدب في اليمن) ط٢ عن دار العمير للنشر ١٤٠٥هـ وطبع في دار العلوم بجدة .

٥ ــ أحمد محمد الشامي (تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي) ج٤ طبع وتوزيع دار النفائس ببيروت ١٤٠٧هـ .

٦ ــ د. أحمد بن عبد الواحد (حميد بن ثور الهلالي/دراسة في شعر المخضرمين) ط مطابع الصفا بمكة عام ١٤١٠هـ .

٧ ــ د. أحمد موسى الخطيب (شعر علي بن المقرب العيوني دراسة فنية) ط دار المريخ بالرياض عام ١٤٠٤هـ .

٨ ــ البحتري . أبو عبادة الوليد بن عبيد (ديوان البحتري) طبع دار صادر بيروت دون أي معلومات أخرى .

٩ ــ البستاني المعلم بطرس (محيط المحيط) مكتبة لبنان عام ١٩٧٩م مطابع مؤسسة جواد للطباعة ببيروت عام ١٩٨٣م .

١٠ ــ الجوهري إسماعيل بن حماد (الصحاح) تحقيق أحمد بن عبد الغفور عطار ط٣ دار العلم للملايين ببيروت عام ١٤٠٤هـ .

١١ ــ الحازمي . الحسن بن خالد (من رسائل الوزير الحسن بن خالد الحازمي) تحقيق د. عبد الله أبو داهش ط مطابع الجنوب في أبها عام ١٤٠٧هـ .

١٢ ــ الحازمي حجاب بن يحيى (أبجديات في النقد والأدب) من منشورات نادي جازان الأدبي عام ١٤٠٥هـ ط١ .

١٣ــ الحازمي حجاب بن يحيى (نبذة تاريخية عن التعليم في تهامة عسير) منشورات نادي جازان الأدبي عام ١٤٠٩هـ .

١٤ــ الحسين بن علي بن الحسين الوزير المغربي (الإيناس في علم الأنساب) .

١٥ ــ الحصري. أبو اسحاق إبراهيم علي الحصري القيرواني (زهر الآداب) تحقيق د. زكي مبارك ط٤ دار الجيل ببيروت من غير ذكر لسنة الطبع .

١٦ ــ الرازي الإمام محمد بن أبي بكر (مختار الصحاح) ط مطبعة الحلبي بمصر وبدون ذكر لعام الطبع أو النشر .

١٧ ــ الزركلي خير الدين (الأعلام / ط ٤ دار العلم للملايين في بيروت ١٣٨٨هـ .

١٨ ــ الزمخشري / أبو القاسم / محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي النحوي (أساس البلاغة) تحقيق عبد الرحيم محمود الطبعة السادسة دار المعرفة بيروت عام ١٤٠٢هـ .

١٩ ــ الصمّة القشيري (ديوان الصّمة) تحقيق د. عبد العزيز الفيصل، الناشر نادي الرياض الأدبي ١٤٠١هـ .

٢٠ ــ الطبري/ أبو جعفر محمد بن جرير تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)ط دار الكتب العلمية ببيروت عام ١٤٠٧هـ الطبعة الاولى.

٢١ ــ الفاسي/محمد بن أحمد المكي ويُكنَّى أبو لطيف التقي الفاسي (العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين) ط مصر سنة ١٩٥٩م .

٢٢ ــ الفرزدق / همام بن غالب (ديوان الفرزدق) ط دار بيروت للطباعة والنشر عام ١٤٠٤هـ .

٢٣ ــ الفيروز أبادي مجد الدين/ محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي المعروف بالفيروز أبادي (القاموس المحيط) مكتبة النوري بدمشق دون ذكر العام الذي طبع فيه .

٢٤ ــ القاسم بن علي بن هتيمل الضمدي (ديوان ابن هتيمل) الجزء المطبوع من اختيار محمد أحمد العقيلي الصادر عام ١٣٨١هـ وسمى الطبعه الأولى : ديوان ــ وسمى الطبعة الثانية (مختارات) وصدرت عام ١٤١٠هـ .

٢٥ ــ القلقشندي أبو العباس/ أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب) ط١ دار الكتب العلمية ببيروت عام ١٤٠٥هـ.

٢٦ ــ المتنبي/ أحمد بن الحسين الملقب بالمتنبي (ديوان المتنبي) تحقيق البرقوقي الناشر دار الكتاب العربي ببيروت دون ذكر لعام الطبع .

٢٧ ــ الواسعي عبد الواسع بن يحيى (فرجة الهموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن) ط الدار اليمنية للنشر والتوزيع . دون ذكر لعام النشر .

٢٨ ــ اليعقوبي أبو العباس / أحمد بن أبي يعقوب اسحاق صقر بن وهب ابن واضح العباسي (تأريخ اليعقوبي) ج١ ط دار بيروت ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٠م .

٢٩ ــ ابن الرومي / علي بن العباس بن جريج (حياته وشعره) لعباس محمود العقاد . الناشر دار الكتاب العربي ببيروت عام ١٣٨٦هـ الطبعة السادسة .

٣٠ ــ ابن دريد / محمد بن الحسن (الاشتقاق) ط مكتبة الخانجي بالقاهرة تحقيق عبد السلام هارون عام ١٤٠١هـ .

٣١ ــ ابن سعد / محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري (الطبقات الكبرى) ط دار بيروت للطباعة والنشر عام ١٤٠٠هـ .

٣٢ ــ ابن سيده/أبو الحسن/علي بن إسماعيل النحوي (المخصص) ط دار الفكر بيروت عام ١٩٨٣م .

٣٣ ــ ابن عبد ربه / أبو عمر/ أحمد بن محمود (العقد الفريد) تحقيق أحمد أمين أحمد الزين، إبراهيم الابياري ط دار الكتاب العربي بيروت عام ١٤٠٣هـ .

٣٤ ــ ابن كثير/ إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (البداية والنهاية) ج١ و ج١٣ طبع دار الكتب العلمية بيروت عام ١٤٠٥ .

٣٥ ــ ابن منظور / جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (لسان العرب) ط الدار المصرية للتأليف والنشر دون ذكر معلومات عن تاريخ الطبع أو النشر .

٣٦ ــ ابن هانيء / محمد بن الحسن الأندلسي (ديوان ابن هانيء الأندلسي) ط دار بيروت توزيع دار الباز للنشر والتوزيع عام ١٤٠٠هـ .

٣٧ ــ أبو العتاهية / إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان (ديوان أبو العتاهية) ط دار صعب بيروت ولا يوجد تاريخ الطبع أو أي معلومات أخرى .

٣٨ ــ أبو تمام/ حبيب بن أوس (ديوان أبي تمام) تحقيق محمد عبده عزام ط دار المعارف بمصر ١٩٦٥م .

٣٩ ــ أبو عبد الله المصعب الزبيري (نسب قريش) تحقيق أ. ليفي بروفنسال ط دار المعارف بمصر عام ١٩٦١م .

٤٠ ــ أبو محمد علي بن حزم الأندلسي (جمهرة أنساب العرب) ط دار

الكتب العلمية ببيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .
٤١ ـــ د. بكري شيخ أمين (مطالعات في الشعر المملوكي) ط٤ دار العلم للملايين عام ١٩٨٦م .
٤٢ ـــ حسين أحمد العرشي (نيل المرام في شرح مسك الختام في من تولي ملك اليمن من ملك وإمام) تحقيق وتذييل انستاس الكرملي طبع دار الندوة الجديدة ببيروت دون ذكر لتاريخ النشر .
٤٣ ـــ جورجي زيدان (تاريخ آداب اللغة العربية) منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت ١٩٧٣م .
٤٤ ـــ رفيق المعلوف، كرم البستاني ، عادل(المنجد في اللغة والأعلام) الجزء الخاص بالأعلام ط/٣٠ عام ١٩٨٨م منشورات دار الشروق .
٤٥ ـــ سيد قطب (كتب وشخصيات) ط دار الكتب العربية ببيروت دون ذكر لعام الطبع أو النشر .
٤٦ ـــ شوقي ضيف (تأريخ الأدب العربي ـــ عصر الدول والإمارات) ط دار المعارف بمصر ١٩٨٠ .
٤٧ ـــ شوقي ضيف (العصر العباسي الأول / دار المعارف بمصر دون ذكر لعام الطبع والنشر .
٤٩ ـــ شوقي ضيف (العصر العباسي الثاني / ط دار المعارف بمصر عام ١٩٧٢م .
٥٠ ـــ عائشة عبد الله باقارش (بلاط الحجاز في العصر الأيوبي) ط دار مكة للنشر نادي مكة الثقافي عام النشر ١٤٠٠هـ .
٥١ ـــ عبد الحليم منتصر وآخرون ـــ المعجم الوسيط / مجمع اللغة العربية بالقاهرة الطبعة الثانية ١٣٩٢هـ .
٥٢ ـــ عبد الرحمن البرقوقي (ديوان حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه) ضبط وتصحيح البرقوقي . طبع دار الأندلس ببيروت عام

١٩٨٠م .
٥٣ ـ عبد الرحمن الوكيل (هذه هي الصوفية) ط٤ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٤ م.
٥٤ ـ عبد الله البردوني (رحلة في الشعر اليمني) ط دار العودة بيروت ط٣ ١٩٧٨م .
٥٥ ـ عبد الله الحبشي (مصادر الفكر الاسلامي والعربي في اليمن) ط مركز الدراسات اليمنية بصنعاء دون ذكر لعام الطبع والنشر .
٥٦ ـ عبد الله عبد الكريم الجرافي (المقتطف من تاريخ اليمن) منشورات دار العصر الحديث بيروت عام النشر ١٤٠٧هـ .
٥٧ ـ عبد الله كتون (مالك بن المرحل) طبعة خاصة بوزارة المعارف السعودية ١٤٠٥هـ .
٥٨ ـ علي بن الحسن الخزرجي المتوفي سنة ٨١٢هـ (العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية) ط مطبعة الفجالة بالقاهرة ١٣٢٩هـ .
٥٩ ـ علي الجارم وأحمد أمين وآخرون (المفصل في تاريخ الأدب العربي) طبع مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز بمصر ولم يدون به تاريخ النشر .
٦٠ ـ د. علي عبد العزيز الخضيري (علي بن المقرب حياته وشعره)ط دار بساط بيروت ١٤٠٣هـ.
٦١ ـ عمران محمد العمران (ابن مقرب حياته وشعره) مطابع الرياض عام ١٣٨٨هـ.
٦٢ ـ عمر رضا كحالة (معجم المؤلفين) ط دار إحياء التراث العربي ببيروت وذكر أن كتابة المقدمة عام ١٣٨٢هـ ولم يذكر تاريخ النشر .
٦٣ ـ عمر فروخ (تاريخ الأدب العربي) ط٥ دار العلم للملايين عام

١٩٨٤م بيروت .

٦٤ ــ قدامة بن جعفر (جواهر الألفاظ) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط دار الكتب العلمية بيروت عام ١٤٠٥هـ .

٦٥ ــ محمد أحمد الأشعري (التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب) تحقيق د. سعد ظلام . منشورات نادي أبها الأدبي عام ١٤١٠هـ .

٦٦ ــ محمد أحمد العقيلي (المعجم الجغرافي لمنطقة جازان) ط مطبعة نهضة مصر عام ١٣٩٩هـ منشورات نادي جازان الأدبي .

٦٧ ــ محمد أمين البغدادي (سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب) ط١ بدار الكتب العلمية بيروت عام ١٤٠٦هـ .

٦٨ ــ د. محمد سالم بن شديد العوفي (العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية في العصر السلجوقي) ط دار بساط بيروت عام ١٤٠٣هـ .

٦٩ ــ محمد شاكر الكتبي (فوات الوفيات والدليل عليها) تحقيق إحسان عباس طبع دار النفائس ببيروت عام ١٩٧٤م .

٧٠ ــ محمد عبد المنعم خفاجي (قصة الأدب في الأندلس) ج٢ منشورات مكتبة المعارف بيروت دون ذكر تاريخ النشر .

٧١ ــ محمد طلس (تاريخ الأمة العربية) دون معلومات عن تاريخ النشر ومكانه .

٧٢ ــ محمد بن علي الشوكاني (البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع) ط دار المعارف بيروت ــ مصورة عن نسخة مطبوعة بدار المعارف بمصر عام ١٣٤٨هـ . توزيع دار الباز بمكة .

٧٣ ــ محمد محمد زبارة (نيل الوطر في تراجم رجال القرن الثالث عشر) المطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٤٨هـ .

٧٤ ــ محمد محيي الدين عبد الحميد (ديوان عمر بن أبي ربيعة) تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط٢ ط مطبعة السعادة بمصر ١٣٨٠هـ .
٧٥ ــ مصطفى الشكعة (الشعر والشعراء) ط١ دار العلم للملايين عام ١٩٧٩م .
٧٦ ــ محمود كامل المحامي (اليمن شماله وجنوبه ــ تاريخه وعلاقاته الدولية) طبع دار بيروت للطباعة والنشر عام ١٩٦٨م .
٧٧ ــ ياقوت الحموي (معجم الأدباء) ط٣ عام ١٤٠٠هـ دار الفكر للطباعة والنشر بيروت .

ثالثاً : الدوريات :

١ ــ مجلة العرب العدد ٦ السنة الرابعة عدد ذي الحجة عام ١٣٩٠هـ .
٢ ــ (الأربعاء) ملحق صحيفة المدينة العدد (٤٩) بتاريخ ٢٣/٤/١٤٠٤هـ .
٣ ــ مجلة الأزهر الجزء الحادي عشر السنة الثانية والستون ذو القعدة عام ١٤١٠هـ .
٤ ــ الحولية السابعة ــ من حوليات جامعة الكويت الصادرة عن كلية الآداب لعام ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م .

المحتوى

المحتـــوى

البـاب الثالـث

موقف الشاعر من عصره وشعرائه (١٨٥ — ٢٢٤)

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة


مطابع الصفا بمكة
ت ٥٥٦٢٨١٠